# رسالة القصة فى الوحدة العربية

## آراء ثلاثة من أدباء القصة

**هل خدمت القصة فكرة القومية العربية ؟ وهل ادت رسالتها نحو تحرير الشعوب العربية ؟ وهل أثرت الثورة المصرية فى القصة ؟ توجهنا بهذه الاسئلة الى الاساتذة : الدكتور طه حسين ، ومحمود تيمور ، ونجيب محفوظ**

## للثورة أثرها فى تطوير القصة

### للدكتور طه حسين

**لا شك** أننى راض عن القصة العربية بشرط أن تكون دائما باللغة الفصحى حتى لا نحاول أن نترجمها اذا أردنا نقلها الى البلاد العربية الأخرى التى بدأنا نتوحد معها ونتداخل واياها فى كل شىء

أما واجب الاديب المصرى أو العربى بالمفهوم والمنطوق الجديد فهو انه ان استطاع طاف فى الارض بجسمه وعقله وذوقه فان لم تواته الفرصة فلا اقل من أن يقرأ انتاج أكبر عدد ممكن من الشعوب

وأما واجب الحكومات فهو أن تفتح لابنائها أبواب الثقافة ونوافذها على مصاريعها وأن لا تسمح بأن تحتكرها لغة أو لغتان ٠ ويكفى أن أقول انى لقيت ذات يوم مستشرقا انجليزيا فسألته كم يجيد من اللغات فقال فى تواضع أنه يقرأ ست عشرة لغة ويحسن التكلم بالانجليزية بعض الشىء

واذا فأول واجبات الحكومات أن تبذل كل جهد لتنظيم العلاقات الثقافية ليس بينها وبين شقيقاتها العربية فحسب ولكن بينها وبين كل البلاد وعلى الاقل البلاد الشرقية فى آسيا وأفريقا

ومما لا شك فيه أنه كان للثورة أثر كبير فى تطوير القصة تطويرا جديدا يربطها بالاهداف العربية التى نتجه اليها جميعا بأفئدتنا وقلوبنا متعجلين الخطوات العزيزة التى تتأكد بها وحدة العالم العربى كله قاصيه ودانيه

# القصة العربية أدت رسالتها

## للأستاذ محمود تيمور

**أعتقد** أن القومية العربية هي التي ستؤثر في القصة ، ثم يأتي بعد ذلك دور القصة في استنهاض الهمم لاستكمال بناء القومية العربية وتقويتها ، فالقاص يتأثر أولا ببيئته ، ثم يؤثر فيها بعد ذلك . وهو لا يستطيع خلق القومية العربية وفرضها فرضا أو يبشر بها اذا كانت بذور هذه القومية غير موجودة أو غير صالحة للاستنبات، شأنه في ذلك شأن الزعماء والقادة المصلحين وغيرهم من الرواد الذين يعبرون عن مشاعر الامة وآمالها ، ولكنهم لا يستطيعون خلق هذه المشاعر



والظروف وملابسات الاحوال من سياسية واجتماعية واقتصادية هي دائما العامل الاول في تكوين هذه المشاعر والاتجاهات

والادب العربي على وجه عام بما فيه من قصة وشعر قد عبر عن القومية العربية في الحقب السوالف تعبيرا صادقا ، وهذه آثار شوقي وحافظ ومطران والمنفلوطي والرافعي ونقولا الحداد والمويلحي تنطق بما نذهب اليه في هذا الشأن

والقصة في عصرنا الحاضر ستسهم بطبيعة الحال في الوثبة الجديدة ، وتعبر التعبير الصادق عن تطور القومية العربية في مراحلها القادمة

ولا شك في أن القصة أدت رسالتها نحو تحرير الاقطار العربية من الاستعمار والتقاليد القديمة بطريق غير مباشر، أي أننا نحن القصاصين كنا نكتب دائما مستهدفين بوحي خفي اقامة مجتمع جديد متحرر من السيطرة الاجنبية ساعين الى ابراز شخصيتنا ...

والثورة في الواقع هي التعبير العملي الصحيح عما كان يضطرب في جوانب المجتمع المصري القديم من هواتف وآمال ومطالب ، وهي بنظمها الجديدة التي استمدتها من رغبات الأمة تهدف الى اقامة مجتمع جديد قوامه نشر العدل والرخاء والطمأنينة

ونحن القصاصين نحيا في هذا المجتمع الجديد ونعبر عنه، كما عشنا في المجتمع القديم وأجدنا التعبير عن مساوئه واظهار أخطائه . ولن يعييك البحث عن تراث فني طيب يعبر أصدق تعبير عن أهداف المجتمع الجديد ، مثال ذلك قصة الصفقة لتوفيق الحكيم، وبين القصرين لنجيب

محفوظ ، وغيرهما من انتاج السحار والسباعي وباكثير

والواقع أن الكاتب القصصي لا يمكن أن يكون بعيدا عن أحداث مجتمعه فهو ينفعل بهـا ثم يغذيها ويدعم اهدافها بنفثات قلمه

والقصة المصرية والحمد لله كان لها دور ملموس في التمهيد دائما لاهداف القومية العربية بعد أن استمدت من الثورة المصرية ومن بيئتها الجديدة غذاء تؤكد به الخطوط الاولى للاهداف العربية

وعلى كل حال فان اللون القصصي قد أثبت جدارته كأدب ممتاز . لقد ارتفع الادب العربي وبدأ يأخذ طريقه في ركب الآداب العالمية، وأنها لبداية مشكورة لانتشاره مؤكدا خطوط القومية العربية وبنائها الشامخ

## القصة تخدم القومية العربية

### للأستاذ نجيب محفوظ

**القصة** تخدم القومية العربية فعلا بوسيلتين رئيسيتين : أولاهما أن يلتزم الكاتب كتابتها باللغة الفصحى باعتبارها صلة التفاهم بين البلاد العربية . والوسيلة الثانية معالجة المسائل العربية سواء من التاريخ أو من الحاضر

ويجب ألا ننسى أن الكتابة عن الاقاليم العربية ومعالجة مشاكلها المحلية لا تعتبر خروجا على القومية بل هي لون من ألوانها

وأعتقد أن القصة المصرية أسهمت في تحرير الاقطار العربية بأكبر نصيب وكثير من مؤلفات الشيوخ والشباب تستهدف تنوير الاذهان ضد الاستعمار والتقاليد القديمة والامثلة على ذلك كثيرة جدا ولولا كثرتها لضربت أمثلة لا حصر لها ولكنى أكتفي بأن أذكر في نطاق ضيق جدا أمثلة مشهورة مثل «حديث عيسى بن هشام» و «زينب» و«الايام» و «ابراهيم الكاتب » و « عودة الروح »



ولاشك أن الثورة كانت دائما عاملا هاما في تطور القصة أولا من حيث أنها أطلقت لبعض الكتاب حرية شاملة لنقد الماضى خاصة الذين يتهيبون نقده أثناء وجوده

وثانيا لانها هيأت مواقف ومواضيع جديدة عالجها القصصى ومنها حرب بورسعيد . أما الأثر الحقيقى للثورة فسيتضح مستقبلا بشكل فنى أعمق من هذا كله حتى ولو لم يعالج الثورة بطريقة مباشرة

أحاديث ونوادر في السياحة والأسفار

# خنازير بريطانيا

## وسوكي ياكي في اليابان

بقلم الدكتور محمد عوض محمد

تصل هذه السطور الى ايدي القراء ، بعد أن ودعوا شهر الصيام ، واحتفلوا بتوديعه احتفالا مؤثرا .. ولكنى اكتب هذه السطور في شهر رمضان . وللموسم تأثيره في اختيار الموضوع وفي الاسلوب ...

فعلى الرغم من أن رمضان شهر الصوم والزهد والتقشف ، فان من الواضح المؤكد انه هو ايضا موسم الطعام والتفنن في الطعام ..

وهكذا قضت ظروف هذا الموسم أن يكون حديثي اليوم عن بعض النوادر الطعامية ، التي صادفتني أو صادفتها في رحلاتي واسفاري ..

## ********** خنازير بريطانيا **********

في بلاد الانجليز يتناولون الشاى بين الرابعة والخامسة بعد الظهر كأنه نوع من العبادة والشعائر الدينية . وفي يوم السبت من كل أسبوع كان يقدم لي ما يسمى بالشاى العالي في نحو الساعة السادسة . وهو وجبة لا تشتمل على الشاى والخبز والزبد والمربى ، وحدها ، بل تشتمل أيضا على صنف من اللحم أو السمك أو البيض . لانه بمثابة عشاء مبكر ، لكي يستطيع الناس أن يتسابقوا الى مسارح اللهو ودور السينما ، ولديهم متسع من الوقت

واني لجالس مرة لتناول هـذا الشـاى العالي ، اذا بي أجد أمامي شيئا غريبا مريبا أسود اللون، يغشى سواده بياض ضئيل . كان عليـه غبرة ، ترهقها قترة

تناولت الشوكة وجعلت أجس ببطء هذا الكائن العجيب ، فتأكدت أن قوامه لحمي ما في ذلك أدنى شك .. اذن هو نوع من اللحم .. فجعلت أستخدم الأنف ، لاستجلي بحاسة الشم سره ، وأتبين أمره . فارتد الى الانف خاسئا وهو حسير

فلم أجد مناصا من قرع الجرس . فأقبلت ربة الدار تحمل قناطيرها الاربعة من الدهن والسمن . فقلت لها : يا مسز هرفي : لمجرد العلم والمعرفة ، هل أستطيع أن أحظى

باسم هذا الكائن الوسيم الجسيم ، المستلقي على هذا الصحن البديع الوديع ؟ قالت ألا تعلم أن هذا أشرف الاعضاء من أشرف الاجسام ؟ هذا رأس خنزير عظيم ، استخرج عظمه، وأضيفت اليه ألوان من التوابل وطهي طهوا فنيا ، وهو من أشهى الاغذية وأنفعها : يقي من الزكام ، ويكسب الذكاء ويحسن الاخلاق !!

قلت : لست أشك في أنه يؤدي وظيفة عظيمة في بريطانيا العظمى ٠ ولكني أناشدك الحق أن تجنبي مائدتي كل شيء له صلة قريبة أو بعيدة بالخنزير ٠ فنحن قوم لا نستطيب هذا الطعام ، مهما شفي من زكام ، وأزال من أوجاع وأسقام

قالت : من الجائز أن تكون خنازيركم من طراز غير ذي خطر ، أما خنازير أوربا الغربية ، بعامة ، وخنازير بريطانيا العظمى بخاصة ، فكائنات ممتازة ربيت على أحسن الاساليب البيداجوجية : وكثير منها حاصل على شهادات ودبلومات ٠ وهذه فرصة ثمينة لمثلك، لو أحسنت انتهازها ، وأنت ها هنا تطلب العلم في ديارنا ٠ انك لخليق أن تصيب من هذا الغذاء العظيم مكانة يعلو بها نجمك مدى الحياة ٠٠ ولكنك مع الاسف فتى ناشف الرأس ، ولابد لي أن أحرمك من هذه النعمة العظيمة، وأقدم لك بديلا منها قليلا من بيض الدجاج



## أعين البقر



**قضت علي** ظروف الحياة أن أجوب كثيرا من الاقطار والديار ، كأنني عيسى بن هشام أو الحارث بن همام ٠ وهذا التنقل بين مختلف البلدان والاقاليم علمني القناعة والرضى بضروب وألوان من الطعام مما لم نألفه في مصر

وأذكر أني كنت مرة في رحلة طويلة أقطعها سيرا على الاقدام وسط الجبال في بلاد الغال، وقد خلا وطابي من الزاد ، ومررت ببعض القرى ، فلم أوفق لشراء شيء من الطعام فيها ٠ وأخذ البطن يئن ويرن ، ويتبرم بهذا الحرمان الذى لم يكن له أدنى مبرر ٠ فجعلت أستذكر قصائد من الشعر العربي من عصور الجاهلية والاسلام والعصرين الاموي والعباسي ٠ لعلى أن اهدىء بهذه القصائد العصماء من حدة الجوع ، فلم يجد ذلك نفعا ٠٠٠ واني لفي هم وغم من أمري ، اذا بي أرى بقرة عظيمة دعجاء الطرف ، مليحة القد ،

أسيلة الخد ، فى عنقها جرس كبير ، مما يدل على أنها تحتل مكانا ساميا فى الهيئة البقرية • وكان بين يديها كوم عظيم من اللفت •• وهو ليس من طراز اللفت الذى اعتدنا أكله ، بل هو نوع ممتاز من لفت خاص ، يزرع في بريطانيا العظمى ليوفر الغذاء الجيدللماشية فىفصل الشتاء، وهو كبير الحجم عذب المذاق ، تزن الثمرة الواحدة منه رطلا أو أكثرمن الرطل

وأكبر الظن أن البقرة قد أكلت الكثير من هذا اللفت الجيد وأشرفت على الشبع ، ولذلك كان لديها متسع من الوقت لتنظر يمينا ويسارا•وقد التفتت نحوى ورنت الى بعينيها الدعجاوين ، فأدركت فى تلك اللحظة معنى ما قاله الشاعر العربى :

ماكنت أحسب خمرا ليس من عنب
حتى سقتنيه صرفا أعين البقر

وخيل الى انى لمحت فى نظرتها معنى الرضى والاطمئنان ، والدعوة الى المشاركة فى غذائها الشهى • فابتسمت ضاحكا ، ودنوت منها فلم تجفل ولم تغضب ، وكيف لا تأنس لى وأنا من سلالة قوم كان أجدادهم يحبون البقر ويكرمونه ، لهذا لم أتردد ومددت يدى وتناولت ثمرتين من اللفت زنتهما لا تقل عن الاقة ، ثم حييت المضيفة الكريمة وانطلقت فى سبيلى ، وقد توافر لى من الغذاء ما يكفينى بقية رحلتى

## الكبة النيئة

وعلى الرغم مما ذكرته من أن الاسفار عودتنى أن أتقبل معظم الاغذية بصدر رحب وان لم آلفها فى مصر ، أرانى ما زلت عاجزا عن استساغة اللحم النيىء ••• وقد يتوهم المرء لاول وهلة أن الطعام الذى لم يعالج بالطبخ لايصلح الا للجماعات البدائية ••• وهذه فكرة خاطئة كل الخطأ • فهناك شعوب من أرقى الشعوب حضارة ومدنية ، تتناول ألوانا من اللحم النيىء ، وتعدها أصنافا ممتازة ولست أنسى أمسية فى مدينة كوبنهاجن ، اذ قدم الى صنف ، نظمت فى وصفه الاشعار وألفت لتمجيده القطع الموسيقية • وهو عبارة عن لحم أبيض ، مفروم الى أقصى درجات الفرم ، من فوقه غطاء من البصل يضارعه لونا وفرما ••• وكان المطلوب منى أن أبسط لهذا الغذاء الشهى فراشا وثيرا من الخبز، ثم أتناوله برغبة عظيمة•وقدتناولته حتى لا أخيب ظن الذين أضافونى•

وأكدت لهم أنه طعام ليس له في العالم نظير !

ومثل هذا ما حدث لي في لبنان ، حين كنت ضيفا معززا مكرما بين قوم شيمتهم الجود والكرم . وقبل ذلك كنت آكل الكبة ( بكسر الكاف ) في المطاعم والفنادق ، وهي مطهوة ومقلية ، وبداخلها الحشو المنضد ، كأنه قطع الزبرجد . أما في اليوم الذي نحن بصدده ، وكنا في مدينة زحلة ، يجري من تحتنا نهر البردوني ضاحكا متدفقا ، فقد أكد لي أصدقائي الكرام أن ( الكبة النيه ) أشهى مذاقا ، وأسمى أخلاقا وأطيب أعراقا ، من الكبة الاخرى ، فلم أتردد في تصديقهم والائتمار بأمرهم ... وعلى شدة رغبتي في أن تسود المحبة والوئام جميع الروابط والصلات بين القطرين الشقيقين ، فاني مضطر لان أبدي الاحترام فقط لهذا الغذاء اللبناني الوطني ، دون أن يحظى مني بالحب والمودة



## جبور أثيوبيا

وفي دولة أثيوبيا العظيمة يعد اللحم النيىء الطعام الوطني المفضل وهي بلد اشتهر بوفرة ثروته من الماشية وقد جرت العادة أن يضيف النجاشي ، وهو ملك ملوك أثيوبيا جميع الرءوس ، من جميع الاقاليم ، في بعض المواسم أو الاعياد . ومع أن الضيافة مبذولة للقاصدين في كل وقت وحين ، سواء أكانوا من الرؤساء والزعماء أو من الجند أو العامة ، فان الوليمة الكبرى كانت حادثا خطيرا ويطلق عليها اسم « جبور » .. اذ يفد كل رئيس الى العاصمة بخيله ورجاله وحاشيته . بحيث لا يقل عدد المشتركين في الوليمة عن ١٥ أو ٢٠ ألفا .. وعلى الرغم من هذا العدد الضخم ، كانت الحفلة تجري في أتم نظام

لست أدري هل عادة الجبور لا تزال قائمة الى اليوم ، فاني أروى هذا الوصف عن مؤلف عاش في أثيوبيا منذ خمسة وعشرين عاما . وقد مرت على البلاد وسكانها منذ ذلك الزمان محنة الاحتلال الايطالي وغيرها من الاحداث ..

يصف الكاتب الحفلة التي شهدها بأنها تعقد في بهو كبير يتسع لخمسة آلاف من الضيوف . ولذلك كان المدعوون يجلسون الى الموائد على أربع دفعات ، وتستغرق الحفلة كلها ثلاث ساعات أو أكثر ، وفيما يلي وصف موجز لهذا الحادث العظيم كما

رواه ذلك الكاتب :

« فى بهو الضيافة الفسيح صفت موائد منخفضة بحيث يجلس المدعوون حولها صفوفا متوازية . وقد رصت على الموائد طوابير من الخبز ، وفى طى كل رغيف مقدار من اللحم المطبوخ ، وكذلك بعض الاطعمة الثانوية والملح والبهارات

ونفخ فى الابواق ودقت الطبول ، ففتحت أبواب البهو الواسعة ، وتدفق منها الزعماء بجندهم وحاشيتهم ، وقد أقبلوا جميعا الى أديس أبابا من جميع أنحاء الدولة للاشتراك فى هذا العيد . كان النظام بالغا حد الكمال . وعلى الرغم من أن هنالك خمسة آلاف من الناس يلتمسون مكانا حول هذه الموائد ، لم يكن هناك أى تزاحم أو ضوضاء

ولم يكد يستقر بهم المجلس حتى أخذوا يتناولون الطعام المعد على المائدة ، وهو بمثابة فاتح الشهية ، ريثما يحمل اليهم الصنف الأهم . ولم يطل الانتظار . فلم تمض لحظات حتى دخل مئات من الرجال يمشون اثنين اثنين : وكل اثنين يحملان على كتفيهما قضيبا من الخشب ، تتدلى منه قطع كبيرة من اللحم . وكلها من لحم العجول .. وهو مفضل على الضأن

يقف هؤلاء الرجال بين الصفوف ، بحيث يكون اللحم متدليا فوق الموائد أمام الآكلين ، فيجرد كل منهم سكينه ، ويقتطع من هذا اللحم ما لذ وطاب . ويتناوله كما هو ، بعد أن يضيف اليه بعض الملح والتوابل



## تمبورا .. وسوكى ياكى

وفى اليابان قضيت أياما سعيدة ممتعة .. وقد اشتهرت اليابان بالتمسك بعاداتها القديمة فى المسكن والملبس والمأكل .. وقد شهدت عددا من المآدب الوطنية الصميمة ، بعضها داخل القصور ، وبعضها فى هيكل من هياكل العبادة . وبعضها فى الحدائق الغناء والهواء الطلق

وفى معظم هذه الولائم ، كنا نجلس على الحصير الناعم الجميل ، ونتناول الاطعمة الوطنية الصميمة ، فى أوعية من الخزف أو الخشب ، بديعة النقش والتصاوير ، نمسكها باليد اليسرى ونمسك باليمنى خشبتين رفيعتين ، نتناول بهما طعامنا . وكنت أقضى ساعات فى غرفتى أتمرن على امساكهما وتناول الاشياء بهما ، حتى اكتسبت فى ذلك بعض الدراية

وفى الحدائق اليابانية الزاهرة كان الطعام يطهى علنا فى أكشاك

مفتوحة ، موزعة فى مختلف الارجاء، كل صنف له كشكه الخاص • فكنا نتنقل من كشك السمك ، الى كشك اللحم وبينهما عشرات الامتار ، ثم كشك الدجاج ، ثم كشك الحلوى ، فالفواكه والمشروبات وهلم جرا •• وكان صنف السمك يسمي تمبورا ، وهو عبارة عن قطع من السمك استبعدت عظامه ، أو الجمبرى المقشور : يغمس الطاهى كل قطعة فى عجين خاص ، ثم تحمر ، وتؤكل وهى ساخنة : وقيل لنا ان صنع العجين الذى يغمس فيه السمك هو من أسرار الصنعة ، وعليه المعول فى لذة التمبورا ، التى كنا نلتهم منها العشرات قبل أن ننتقل الى كشك اللحم

وهذا اللحم له أيضا اسم خاص وهو سوكى ياكى ، وهو عبارة عن شرائح من اللحم الجيد تشوى على النار ثم تغمس فى صلصة عظيمة•• وهو من أشهى الأطعمة فى جميع البلدان والقرون

وكل من تمبورا وسوكى ياكى من الاطعمة الوطنية الشهيرة •• لكن هناك طعام وطنى قرأت عنه فى الكتب والاسفار ، ولم يقدم الينا فى تلك المآدب الوطنية•هذا الصنف له اسم خاص لا أذكره • وهو على كل حال عبارة عن سمك نيء ، أعد اعدادا خاصا ، أكد لى كثير من الزملاء الاجانب والمصريين أنه لذيذ الطعم ، ولكنى أسمح للشك أن يساورنى ، لانه لو كان مما يستسيغه الاجانب عامة ، لقدموه لنا فى بعض الولائم • ولكن اليابانيين قوم لهم احساس مرهف ، ويدركون تماما أى الاطعمة الوطنية يقدره الاجانب ، وأيها يعجز عنه ادراكهم أو بطونهم ••

□

أما بعد • أيها القارىء الكريم ، لقد طفت بك مختلف الارجاء ، وعرضت عليك ضروبا مختلفة من التجارب الطعامية • ومع ذلك فان ألذ التجارب ، التى يصادفها الوطنى المخلص بعد كل هذه الرحلات والاطعمة ، أن يعود الى وطنه العزيز، ويجلس فى داره بين الأهل والاصحاب ، ثم يقدم اليه طبق الفول المدمس الذى لا يضارعه فى العالم طعام • فيقبل عليه وهو يترنم بقول الشاعر :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحب الا للحبيب الاول

مهداة الى الاخت الشاعرة فدوى طوقان ، تحية لقصيدتها الملهمة « نداء الارض »

# وعد!

## مأساة من فلسطين

ترويها الدكتورة بنت الشاطىء

هي قصة سمعتها في فلسطين حين زرتها في منتصف شهر مارس الماضي

او هي - بتعبير أدق - صورة من صور المأساة الأليمة التي كتب لي أن أشهد مسرحها الدامي الممتد على طول القطاع ، ما بين الخليل وجبل المكبر وجبل جرزيم وطولكرم ...

ولم تكن القصة مفاجأة لي ...

فمنذ قبلت الدعوة لزيارة « نابلس » وأنا أتوقع أن تكون رحلتي هذه المرة ، شاقة اليمة ، مثيرة للشجن ، حافلة بمشاهد النكبة ..

ولقد طوت « نابلس » أحزانها وهمومها ، وهي تستقبلنا ضيوفا أعزاء ، وهيأت لنا أعز منزل وأكرم ضيافة ، وباتت ساهرة تحاول بما عرف عن أهلها من سماحة ولطف وكرم ، أن تؤنس أمسيتنا الاولى بها ، وتخفف من مشاعر الأسى والوحشة آلتي استغرقتنا ونحن نعيش في صميم المسرح الذي مثلت عليه المأساة ، ونسامر شهودها وتجاور ألوفا من ضحاياها

ورآنا الصبح التالي نهب من مضاجعنا اثر ليلة مفزعة بروى المحنة الجاثمة على قيد ذراع منا ، فنسعى الى الخطوط الامامية حيث الفلذة المغتصبة من قلب هذا الوطن العربي

وهناك في بلدة « طولكرم » وقفنا على الربوة الصخرية تطل على الفردوس المغتصب ، تمرح فيه قطعان من ذئاب صهيون ، وتنعم بخيراته على مرأى من أصحابه الذين أخرجوا من ديارهم ونبذوا بالعراء..

وهناك سمعت بالقصة المثيرة ..

قصة الأم التي استشهد وحيدها دفاعا عن الوطن العزيز ، وضنا بمثوى الآباء ومهد الصبا ومراح الشباب ، على العصبة الدنسة من بني صهيون

ولم يحطمها مصرعه ، بل جمعت أشلاء شهيدها من الساحة المخضبة بالدم الزكي الطهور ، وأرقدتها تحت الثرى الطيب في بستان البرتقال الذي طالما ارتوى بعرق الشباب وعرق آبائه جيلا في اثر جيل

وأقامت الى جواره ، تؤنسها

روحه ، ويلم بها طيفه ، في هالة من النور الاسنى ، وحشد من الرؤى الباهرة ...

وألف الناس أن يروها عاكفة على مرقد الشهيد ، تناجيه وتناغيه ، وتريح فوقه ظلة من أغصان الليمون والبرتقال ، تنثر عليه ثمار ربيعها المزهر ، وتعطر الأفق حوله بالشذى الفواح ...

ولم تبكه قط عيناها ، فلمثل هذا المصرع النبيل تلد الأمهات العربيات أبناءهن

وهي بعد لا تحسه بعيدا عنها ، وانه ليملأ عليها دنياها ، وتجد ريحه في كل نشقة تتنفسها من هواء ، وتكاد تسمع صوته في كل ما تسمع من أصوات وأنغام وأصداء ..

على أن حياتها لم تكن — مع ذلك — مجرد أنس بالطيف ، واسترواح للذكرى ، والتماس للعزاء .. بل كان ثمة أمل تعيش به ، وهو أن ترى سواعد الفتية الأمجاد من رفاق ولدها ، تقذف بالعصبة الباغية الى اليم ...

وفي انتظار تحقيق هذا الأمل المرجو ، عاشت ويدها على سلاح « وحيد » متأهبة للدفاع عن تلك البقعة المباركة التي باع الشهيد حياته لها ثم رقد في ثراها راضيا

وطالما سمعت تردد بيتا من الشعر حفظته عن ظهر قلب :

قد يهون العمر الا ساعة
وتهون الارض الا موضعا

ثم تقسم لتفدين هذا الموضع بالروح ، لكي يكون ملاذها الاخير ومثواها ، حيث تأنس بقرب وحيدها حية وميتة ..

وإلى هنا ، لم تكن حياتها سوى نسخة مكررة من حياة جارات لها في الحي ، مجد الواحدة منهن أنها أم شهيد ، وأملها أن تكون ضجعتها الاخيرة في الموضع الذي يضم أشلاء ولدها

الى هنا ، وليس في القصة عنصر غير معتاد ولا مألوف ، وانما هي القصة المكررة المعادة ، تسمعها في كل مكان من فلسطين الممزقة المنكوبة

غير أنها ما لبثت أن أخذت وضعا مثيرا ، منذ قضى على أهل هذه المنطقة أن يجلوا عن أراضيهم ، دون معركة او قتال !

وكان القوم قد باتوا ليلتهم ، وما يساور أحدا منهم ريب في أن عصابة الصهيونيين لن تستطيع أن تنتزع شبرا واحدا من أرض الحمى ، ودونه ذوو البأس والايمان من المجاهدين الاشداء !

ولكن الصبح أتاهم بجنود عرب مثلهم ، يحملون اليهم أمر القيادة العليا بالجلاء عن ديارهم ، للحاجة اليها في الدفاع والهجوم

وأكدوا لهم أن المهمة لن تستغرق سوى أيام معدودات ، يرجعون بعدها آمنين لا يخافون ..

وقد رابهم الأمر حينا ، حتى اذا لم يجدوا في أيديهم حيلة ، أذعنوا لما حسبوه ضرورة مؤقتة ، تقتضيها سلامة الوطن

وأعجلوا ، فلم يحملوا معهم من

كل ما يملكون ، غير مفاتيح دورهم التى وعدوا بالرجوع اليها فى غد قريب

وهكذا انتقلوا أفواجا متتابعة ، الى خيام أعدت لهم فى « طولكرم » على بعد أمتار من مزارعهم ودورهم ·

وكانت « أم الشهيد » آخر من لحق بالقافلة المجلاة عن أرضها على عجل

لقد تشبثت بالموضع الغالى لا تريد أن تفارقه ، حتى اذا تكاثر الجند عليها ، قامت تعرج نحو المخيم ، وكانت كلما خطت خطوة ، استدارت ملتفتة نحو البستان ، وتعلقت به عيناها برهة ، ثم عادت فاستأنفت مسيرها فى تثاقل حزين ، فما بلغت أدنى المخيم حتى أخذ منها الكلال والاعياء كل مأخذ ، فتكومت عنده مدخل الدرب الدانى ، ووجهها يستقبل الدار والبستان والمزرعة ، فى انتظار ساعة العودة ··

لكن الايام مضت والاشهر ، وما من بادرة تلوح مؤذنة بالعودة المرتقبة

---

وراعهم ذات يوم أن يروا قافلة من الصهيونيين تفد الى المنطقة ، وتقتحم الديار الموصدة ، وتحصد الزرع الذى استوى وطاب ، فى الارض المروية بعرق اللاجئين ودماء شهدائهم

واذ ذاك علم التعساء بالحقيقة الفاجعة ، وهى أنهم أجلوا عن أرضهم للصهيونيين، تنفيذا لاتفاقية التقسيم المشئومة

وأدركوا أن كل ما بقى لهم من هذا الحمى المستباح والفردوس المنهوب ، هو أن يطلوا من خيامهم المبعثرة على السفح فى «طولكرم» ليروا معاهدهم وربوعهم ، تعيث فيها الذئاب مطمئنة لا تراع !

---

واصغت « أم وحيد » فيمن أصغى الى النبأ الرهيب ، فالتفتت حولها تسأل جيرتها أن يفسروا لها مغزاه ، فقد أعياها أن تفهم أن ذلك آخر عهدها بمغنى شبابها، وذخر حياتها، ومثوى ولدها ، ومرقد آبائها وأجدادها منذ ما لا يحصى من السنين

ثم ما راعهم الا أن رأوها تتهاوى منهارة متصدعة ، وقد ازرق لونها ، وابيض شعرها كله بغتة ، وعاجلتها نوبة اغماء

وطلبوا لها رحمة الموت ، لكنها عاشت سنين دأبا ، تطل على الحمى المستباح وهى تهذى بالعودة اليه ، وتردد قسمها القديم : لتفدينه بالمهجة والروح ، كى يكون لها آخر الأمر مثوى وملاذا

واعتادوا من بعد ذلك أن يروها حالة هباذية ، حتى قال قائلهم ان رحمة الله أدركتها بذهول يعفيها من وطأة الشعور بالنكبة الفادحة ··

الى أن رأوها فى أصيل يوم مشرق من أيام آذار ، تغادر موضعها فى أدنى المخيم ، وتخطو وئيدا نحو الفردوس المغتصب ، فحسبوها قد استردت بعض العافية من دفء الربيع المبكر ، فمضت تتنسم عبير الارض الحبيبة عن قرب

وتركوها وشأنها ، وما فيهم من يرتاب فى أنها لن تلبث أن تؤوب الى



المخيم بعد رحلة قصيرة ربما أتاحت لها شيئا من سلوى وعزاء …

وافتقدوها عند مغيب الشمس ، حيث يبدأ منع التجول ، وتطوع نفر من أبناء الحى ، فانطلقوا يلتمسونها عند أقرب نقطة من دارها المسلوبة لكنهم لم يقفوا لها على أثر

ومضى الليل بطيئا وانى الخطو كأنما يجر أثقالا من فولاذ ، وبات هذا الحى من مخيم اللاجئين مسهدا يساوره قلق مبهم على « أم وحيد » ، الى أن جاءهم خبرها مع مطلع الفجر . حدثهم به جندى من خفر الحدود ، سعى الى المسجد لصلاة الصبح ، واذ لحظ اشتغال الجماعة بالعجوز الغائبة ، ذكر حادثة عابرة من مناوشات الحدود ، لمح فيها جنود اليهود شبحا يتسلل عبر خط الهدنة ، فتبعوه وهم يمنون أنفسهم بصيد ثمين ، فلما رأوا يده تمتد لقطف ثمرة برتقال ، أطلقوا رصاصة شلت اليد السارقة ، ثم أحاطوا باللص ليحولوا دون فراره ، فاذا أمامهم جثة امرأة عجوز ، تهاوت على أرض البستان المعروف ببستان وحيد ، ولفظت روحها هنالك ، واحدى يديها ممزقة تقطر دما ، والاخرى متشبثة بحفنة من تراب …

وحملت الجثة الى المخفر فى انتظار تحقيق من مندوب الهدنة ، يسجل هذه الحادثة من حوادث التسلل وراء خط الهدنة لقصد السرقة

وسكت الراوى

ووجم من فى المسجد جميعا ، وهامت أرواحهم تشيع تلك التى يئست من العودة الى أرض الأب والولد ، فسعت اليها لتموت هناك

ثم آبت الارواح من مسراها ، وصوت المقرىء يتلو هنالك من قرآن الفجر :

« ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين . قل انما العلم عند الله وانما أنا نذير مبين ! »

# عفاف

## قصة طبيبة فى الريف

للدكتور أمير بقطر

**تخرجت** « عفاف » فى احدى المدارس الثانوية فى الدلتا ، ونالت شهادة التوجيهية بتفوق ، فعقدت النية على دراسة الطب ، بالرغم من احتجاج والديها ، وسائر أفراد أسرتها المحافظة . ولم تترك بابا الا طرقته لاسترضاء أهلها ، وحملهم على النزول على رغبتها

كان ذلك فى خريف سنة ١٩٥٠ ، حينما تبينت الفتاة ، وهى فى مستهل السنة الثامنة عشرة من عمرها ، ان الطريق الذى قررت أن تسلكه ، ليس مرصوفا بالورد والرياحين ، كما كان يخيل اليها ، فالقاهرة مدينة كبيرة مزدحمة بالسكان ، كثيرة الضوضاء ، تعج بالسيارات وحركة المرور الصاخبة ، والاضواء والازياء ، والكثير من معالم الحضارة التى تبهر الابصار ، وتأخذ بمجامع القلوب . وكلية الطب ماهولة بكثرة من شبان ، يغلب عليهم العنف ، والغلظة ، والجدل ، وشدة التنافس ، وقلة من فتيات ، يغلب عليهن الحياء ، والجبن ، وشبه اعتذار عن وجودهن فى ذلك المحيط الغريب

فلا غرابة اذا اختلط فى ذهن عفاف ووجدانها الحابل بالنابل ، وأسدلت غشاوة كثيفة على عينيها واضطربت مشاعرها ، وتبلبلت أفكارها . أليست هى فتاة ريفية لم تشهد فى حياتها حتى عاصمة المديرية التى توجد فيها بلدتها ؟

أخذت الصدمات النفسية تتعاقب عليها فى غير هوادة ، الواحدة تلو الاخرى ، من هن أولئك النسوة المتبرجات اللاتى يتهادين فى الشوارع التجارية الكبرى ، عاريات الأذرع باديات النهود ، حاسرات الصدور ؟ وما بال الطالبات فى قاعة المحاضرات يعنين بالمساحيق واحمر الشفاه ؟ وما بال بعضهن فى بيت الطالبات يتحدثن عن الاساتذة والطلبة الذكور ، بلغة وألفاظ ، لا تليق بالفتيات ؟ ولم يستقبل الطلبة زميلاتهم بعاصفة من الضحك تارة ، والمزاح تارة ، والتورية فى الكلام تارة أخرى ؟

ولم تكن هذه الصدمات شيئا ، بجانب ما حدث لها قبيل نهاية العام الدراسى ، حينما أخذ أحد الزملاء يتتبعها بنظراته ، ويفتر ثغره كلما

رآها عن بسمات، تحمرلها وجنتاها، وترتجف خفقاتها ، وظل على هذه الحال البقية الباقية من السنة ، واستأنف غزله الهادىء طيلة العام الدراسى التالى ، ولكنه لم يحاول التحدث اليها ، أو يجرؤ على تحيتها بكلمة واحدة . أما هى فقد كانت تقابل هذه اللفتات منه بالصد حينا، وعدم الاكتراث حينا آخر

وشاء القدر يوما أن تذوب كتلة الجليد التى كانت تعترض سبيلهما ، حينما تغيبت عفاف أسبوعا لوعكة طارئة ، وجمع « فؤاد » أطراف شجاعته ، بعد عودتها ، وقدم لها مذكراته حتى لا تفوتها المحاضرات الاخيرة ، وقد كان الامتحان على الابواب . كان مشهدا يستدر العطف والاشفاق على كل منهما . فمن جانب فؤاد ، يد ممدودة تحمل كراسة ، تنوء بحزمة ضخمة من الاوراق ، ومن جانب عفاف لسان منعقد عن الكلام ، وعينان شاخصتان محدقتان فى لا شىء

ــ أعرف انك يا آنسة فى حاجة الى هذه المذكرات

ــ شكرا . . .

لم تجد عليهما القريحة بهذه الكلمات الا بعد تريث طويل ،وتردد

كانت عفاف توجس خوفا ، لاعتقادها أنها خرجت عن حدود اللياقة ، وداست على تقاليد أهلها وعشيرتها ، ، بقبول هذه اللفتة من شاب لا ينتمى لها بنسب أو قرابة، وظلت طيلة أيام الاسبوع تحدث نفسها بالشر الذى لا بد من وقوعه، بسبب هذا الخطأ الذى ارتكبته . لطالما استهجنت بعض زميلاتها اللاتى رفعن كل تكليف بينهن وبين الطلبة الذكور ، فكيف تجرؤ هى على مجاراتهن ؟ أليست تخون أهلها، وتخالف ضميرها ، وتحنث العهود التى قطعتها مع والديها ؟

على انها كانت تدافع عن نفسها بقولها ، ان فؤادا يختلف عن سواه من زملائه . انها لم تره يوما يحدث فتاة ، أو ينطق بكلمة نابية ، أو يشترك مع الآخرين فى المجون والسخرية التى لا يخلو منهما مجلس من مجالس الطلبة ، بما فى ذلك قاعات المحاضرات . ولعل هذه الصفة فيه، ما حدت بها بعد حين أن قاعات المحاضرات . هذا فضلا عن هدوئه ، وامتشاق قامته ، وحلو قسماته

ولم تتم عفاف عامها الثانى فى القاهرة ، حتى أخذت تبيح لنفسها بعض المتع البريئة ، بعد طول مالاقته من كبت وكتمان ، وشدة ما احتملته من تمنع وحرمان . بيد أن هذه المتع لم تتجاوز فى بادىء الامر رد التحية لفؤاد وبعض الزملاء، ومناقشة ما سمعوه فى خلال المحاضرات

وتطور الموقف فى العام الثالث، فأخذ فؤاد وعفاف يتبادلان المذكرات، كلما دعا الى ذلك داع ، وكانت هذه فرصا سانحة يدس فيها الشاب وريقة بها بعض سطور غرامية ، لا تحمل اسم الراسل أو المرسل اليه . ولم تكن الفتاة ساذجة بالقدر الذى تتجهل به لسان حاله : « اياك

أعني فاسمعي يا جارة » ، فلكل فتاة خاطر يوسوس ، وقلب يدق،وعاطفة تلين

وسرعان ما انقشع الضباب ، فأخذت عفاف تغير من أزيائها شبه الريفية ، وتزين أذنيها بأقراط تتمشى وألوان ملابسها ، وتتناسق ووجهها البيضاوى ، وتقلد زميلاتها من سكان القاهرة فى ابداء محاسنها وأنوثتها ٠ ولم تجد فى ذلك عناءأو مشقة ، فقد كان اخضرار عينيها ، وحمرة خديها برغم لونها الخمرى ، وثغرها الدائم الابتسام ، وقامتها الفارعة - كان كل هذا كفيلا أن يغنيها عن الكثير من الوسائل التى كانت تلجأ اليها الطالبات

وأدرك فؤاد أن الفتاة الريفية قد استجابت لغرامه الصامت ، وان قلبها قد أضحى كسائر القلوب التى هيأتها الطبيعة لكسر أغلال الوجد المكبوت ، فهى ترتدى أكثر ملابسها أناقة كلما كانت واياه على موعد ، وتقابله بالفرح والترحاب بدلا من الجفوة والانقباض ، وتجيب عن أسئلته بشغف واطناب ، بدلا من الصد والاعراض ٠ وزالت الكلفة بينهما على مر الايام ، وتعددت المواعيد التى كانا فيها يلتقيان ، بيد أن الفتاة كانت تأخذه بالشدة والحزم ، فى لباقة وكياسة ، كلما تجاوز الحد فى طلب المزيد ٠ وطبيعة الرجل على الدوام طلب المزيد،وقلما ترتوى ما لم تبلغ نهاية السلم ٠ أما طبيعة المرأة فحسبها الدرجة الاولى من السلم أو الدرجة التى تليها ٠ حسبها حديث الرجل ، وعطفه ، وايناسه ، أو على الاكثر اشراك حاسة اللمس البريئة مع حاستى السمع والبصر

وفجأة اهتاجت مشاعر فؤاد ، وتوترت أعصابه ، وعيل صبره ، فباح لعفاف بما لم يكن يخطر على بالها من قبل - عرض عليها الزواج، ولم يسعها ازاء هذا الموقف الشاذ ، البعيد عن المنطق والعقل ، سوى الرفض التام والكف عن لقياه

وحدث ما لم يكن فى الحسبان ، فقد أهمل فؤاد دروسه ، ولجأ الى تعاطى المخدرات هربا من القلق الذى استولى عليه ، ورسب فى الامتحان ، وفشلت عفاف فشلا ذريعا فى ارجاعه الى صوابه ، بعد أن عادت اليه تستعطفه وتنصح اليه أن يرجىء فكرة الزواج ، ريثما يتم دراسته ويكسب كل منهما رزقه

وتوالى رسوبه عاما بعد عام،حتى أوشكت عفاف على التخرج ، وفؤاد لايزال فى السنة الثالثة٠وهنا خيل الى الفتاة المسكينة ، انها كانت مصدره بلواه وضياع مستقبله ، فأخذ ضميرها يستبد بها ، ويكيل لها أشنع التهم ، فقررت زيارة فؤاد يوما ما فى الغرفة الخاصة التى كان يسكنها فى حى السكاكينى ، وكان ذلك نحو الساعة العاشرة مساء ٠ وعندما فتح لها الباب ، كانت الابرة التى اعتاد أن يحقن بها وريده بالبنزدرين ، جريا على عادته لا تزال فى يده ٠ وقد كان يلجأ الى



كادت تذوب الفتاة اشفاقا عليه ، فارتمت عليه تقبله ، حتى افاق من غشيته فبادلها ذلك الحب الذى طالما كان يحلم به ولا يجـده

هذا المخدر الجديد حتى يقوى على السهر ، ومواصلة الدرس . ولكن كل جهوده ضاعت هباء منثورا ولم يكد يغلق الباب وراءهما ويدعوها للجلوس ، حتى أجهش فى البكاء وهى تحاول تهدئته عبثا

لقد كان سبب بكائه مزدوجا ، وكذلك كان سبب استسلامه لذلك المخدر . كان يريد نسيان ذلك الحب الذى اشتعل لهيبه فى جوارحه ، كما كان يريد استرجاع كرامته التى أهدرت برسوبه المتكرر ، فى الوقت الذى أوشكت فيه عفاف أن تكون طبيبة امتياز . كادت تذوب الفتاة اشفاقا عليه ، فارتمت عليه تحتضنه وتنهال عليه عناقا وتقبيلا ، حتى فاق من غشوته بعد أن خف مفعول الحقنة ، فبادلها ذلك الحب العميق الذى طالما كان يحلم به ولا يجده . والفتاة القروية البريئة ، من طبيعتها أن تستضعف بالرغم من البيئة المحافظة التى نشأت فيها . وذلك بعكس فتاة الحضر ، التى يكسبها مجون المدن وتسامح تقاليده مناعة ، تدفع عنها عاديات التجارب والمغريات ، فقلما تستسلم للحب الاول ، وقلما يستهويها التدليل والغزل العابر

وليس من السهل الحكم على عفاف بالادانة ، فقد تألبت على ارادتها عوامل صارمة : ١ ـ الشعور بالاثم نحو شاب تهدم كيانه وضاع مستقبله ـ ٢ ـ بذور غرام ألقيت

على تربة خصبة بكر ، لم يسبق لها عهد بحب - ٣ - دراسة تشريحية عملية،هتكت أسرارا في جسم الذكر والأنثى ، فغيرت رأيها بعض الشيء في القيم الاخلاقية التقليدية

وبهذا اتفق الفتى والفتاة على الزواج سرا.أما هو فقد قبل الصفقة راضيا ، لأن هذا كان جل ما يطمع فيه . أما هي فقد « رحبت » بها كارهة ، لانها أسلم طريق الى أهون الشرور . وانتقلت عفاف من بيت الطالبات الى تلك الحجرة الضيقة في حي السكاكيني ، لتجابه مشكلات مادية وأدبية،أعقد من ذنب الضب. هل تجرؤ على اعلان النبأ للزملاء والزميلات ، بغير أن يصل الخبر الأليم الى أهلها ؟ وحتام تستطيع كتمانه ، اذا أمكن ذلك ، ولن تمضى اشهر أربعة حتى يعلن من تلقاء ذاته في صمت ، بمجرد ظهورها في حجرة المحاضرات ؟ وهل يكفيهما المبلغ الضئيل الذى يرد اليه من أبيه،وذلك الذى يرد اليها من أهلها ؟

كان يحتمل أن يكون هناك بصيص ضئيل من الأمل ، لو ان الشاب كان على وشك أن يكون طبيبا ، أو على الاقل لو أن الزواج كان وسيلة ناجحة ، لحمله على المذاكرة والانصراف للعمل والنجاح فى الامتحانات ، ولو ان ذلك يتطلب سنوات ، تتحمل عفاف فيها وحدها نفقات المعيشة مكتفية بالمرتب الذى ستتقاضاه.غير أن الذى حدث فعلا غير ذلك ، فقد ضاعت عبثا جميع الجهود التى بذلت في حمل فؤاد على الكف عن ذلك المخدر . لقد كان البنزدرين مجرد وسيلة لغاية ، وهى تمكينه من السهر طويلا للغوص فى كتبه ، استعدادا للامتحان ، فأصبح غاية في ذاته ، وجزءا من حياته اليومية، شأن كل ادمان فى المخدرات

وتطورت الحالة من سوء الى أسوأ من كل ناحية . فقد تطرقت أخبار فؤاد الى مسامع والده ، فقطع عنه المرتب الشهرى الضئيل ، وكانت عفاف لا تزال تحبه أو على الاصح تحنو عليه ، لاعتقادها أنها سبب بلواه ، فلم تعبأ لذلك ، واكتفت بضغط النفقات وقصرها على أقل القليل من الضروريات ، فضلا عن رهن الاساور الذهبية التي كانت أهدتها اياها أمها ، بمناسبة نجاحها في دبلوم الطب

ولكن المصائب قلما تأتى فرادى، فسرعان ما بدت على زوجها المسكين ظاهرة أخرى ، غير ظاهرة الادمان ، ذلك انه بدأ يسمع أصواتا ويرى أشباحا ، فادركت أن المخدر قد عاث في الوظائف المخية فسادا ، فسبب له ذلك الهذيان Delusion وتلك الهلوسات Hallucination التى تصيب المجانين ، فقطعت كل أمل في اصلاحه ، وطلبت منه أن يطلقها فأجابها الى ذلك راضيا ، ثم رجع الى بلدته،حيث أشار طبيب الصحة على أهله باعادته الى القاهرة ، لايداعه فى مستشفى الامراض العقلية ففعلوا

الى هنا ظلت أخبار عفاف سرا مكتوما فيما يختص بأهلها ، فقد كان



وفى المستشفى رأى الوالد منظرا أبى تصديقه ولم يقو على احتماله

الزواج لايعلم به أحد سوى الزوجين وأهل الزوج ، وكذلك كان الطلاق . وكانت عفاف ، الى أن افترقت عن فؤاد ، تزور أهلها من حين الى حين بغير أن تبوح بشيء . بيد أن نهاية الكتمان كانت لابد أن تقترب . ففي يوم من أيام الجمعة أراد والدها أن يضرب عصفورين بحجر واحد — زيارة ابنته لاول مرة ، والاستفسار عن أحد جيرانه فى مستشفى الامراض العقلية

وشاء القدر أن يفتضح السر فى عنبر من عنابر ذلك المستشفى ، فى مصادفة أغرب من الخيال . لم يعثر الشيخ الوالد على منزل ابنته، فقصد توا لزيارة جاره فى مستشفى العباسية ، وهناك رأى منظرا أبى تصديقه ولم يقو على احتماله — فؤاد يقبل عفافا ويدعوها زوجته العزيزة، ويحتضن ابنه ويدعوه ولده العزيز، ثم ينساب لسانه فجأة ، ويهاتر ويهذى ويلعن تارة ويضحك ويبكى فى آن واحد ، وبذلك مثلت فصول الرواية كلها فى مشهد واحد أمام الشيخ المسكين . وقبل أن تحاول عفاف سرد قصتها مستغفرة ، سقط الرجل جثة هامدة من هول الصدمة

▱

أقسمت عفاف بعد هذه المأساة التى تعددت فصولها ، ابتداء من الابتسامة الاولى التى تلقتها من فؤاد فى حرم الجامعة ، الى ذلك المشهد المريع بحوادثه السريعة المفاجئة الخاطفة ، ألا تتزوج مرة أخرى ،وأن تهب البقية الباقية من حياتها الى تربية ولدها وخدمة المرضى




# شارلز ديكنز

## الكاتب الذى أشقاه الحب

بقلم الأستاذ حبيب جاماتى

**كان** يحلم ، وهو صغير ، ان يشترى قصرا يقيم فيه بين التحف الثمينة ، والكتب النادرة . وتم له ما اراد بسرعة : فقد كتب فى احد الاعوام قصة واحدة ، اشترى بثمنها قصر « جادسهيل » واقام فيه

محاطا بالكتب والتحف !

عاش فى احياء لندن المظلمة ، الفقيرة ، القذرة . ومن هذه الاحياء استمد عناصر مؤلفاته . وبين الشخصيات التى كان يلامسها فى صغره ، وهو يشتغل بستة شلنات فى الاسبوع ، أخذ ابطال أقاصيصه الخالدة

ولد سنة ١٨١٢ ومات فى سنة ١٨٧٠ . فيكون اذن قد عاش ثمانية وخمسين سنة كلها عمل ، وكلها فائدة للناس

كاترين هوجارث : زوجة ديكنز



زرت الحى الذى احبه أكثر من غيره : « سوهو » فى قلب لندن . وسألت واحدا من الباعة المتجولين :

ـ هل تحب شارلس ديكنز ؟

فرفع الرجل يده عن عربته الصغيرة ، ونظر الى مبتسما ، ولم يجب . بل مد يده الى درج صغير فى جانب العربة ، وتناول منه كتابا وضعه تحت عينى ، وكان عنوان الكتاب : « مغامرات مستر بيكويك » لتشارلس ديكنز

وزرت اقبية وستمنستر ، حيث مقابر العظماء من بلاد الانجليز ، فالتقيت هناك برفات تشارلس ديكنز ، مدفونة تحت بلاطة كبيرة حفر عليها اسمه ، وبجوار البلاطة تماثيل عديدة ، منها تمثال لشكسبير

وسألت واحدا من الحراس :

ـ من اعظم كاتب بين هؤلاء ؟

فأجاب الرجل :

ـ كل الكتاب الذين يرقدون هنا عظماء ... والمسألة مسألة تقدير ، عند الزائرين

كان تشارلس ديكنز كاتبا اجتماعيا ، ومفكرا عمليا ، وداعية اشتراكيا ، وعدوا للخبث والرياء والكذب والنفاق والانانية ،ومحاميا عن الضعفاء والمنبوذين ، وخصوصا عن الطفولة المهملة المشردة

لن نتناول فى هذا البحث اعمال ديكنز الادبية ، وتراثه الضخم ، ولن نحلل اقاصيصه ونناقش اراءه . فالقصد من هذا المقال المقتضب لا يتعدى الاشارة الى الدور الذى لعبته المراة فى حياة هذا الكاتب العظيم

المراة فى حياة تشارلس ديكنز لعبت دورا قد يكون فريدا فى نوعه ...

وديكنز عرف الحب ولكنه لم يكن فيه سعيدا ، وعرف العذاب فارتشفه حتى الثمالة

خمس نساء اقترنت اسماؤهن باسم تشارلس ديكنز

● مارى بيدهل ، ابنة صاحب المصرف الغنى

● كاترين هوجارث ، زوجة ديكنز

● مارى هوجارث ، اختها التى احبها

● جورجين هوجارث ، الاخت الثالثة التى سهرت عليه فى آخر ايامه

● ايلين ترنان ، التى عاش معها سرا بعد ان هجر زوجته

لكل من هؤلاء النساء الخمس وجه ، ولكل منهن دور ، ولكل منهن مكان فى قلب ديكنز . وله فى كل منهن رأى يختلف عن رايه فى الاربع الاخريات

□

أول ما فكر فى الزواج اتجهت انظاره الى « مارى بيدهيل» وذلك منذ ان عرفها وهى فى ربيعها الثامن عشر ، وهو اكبر منها بسنة واحدة

جمال صارخ ، وعينان تلمعان كجمرتين متقدتين ، وبشرة ناعمة ملساء كالحرير ، وخفة فى الحركات ، وابتسامة لا تفارق الشفاه

احبها او اعتقد انه احبها منذ النظرة الاولى . وظن نفسه الحبيب الاول ، وما كان يدرى أن كثيرين قد سبقوه الى مغازلة الفتاة ، وانها هى ، من ناحيتها ، قد شجعتهم جميعا

وادرك تشارلس أن الفتاة تقابل بالخفة والاستهتار حبه الناشىء ، وانه وحده الجاد فى حين انها ، هى ، تتخذ هذا الحب مادة للعب والتسلية وتسخر منه وتضحك عليه ، فابتعد عنها ، وحاول أن ينساها ، بل نسيها فعلا بعد أن انتقم منها بطريقته الخاصة بأن جعل منها بطلة من بطلات روايته « دافيد كوبرفيلد » وسماها « دورا » وجعلها تموت فى

جورجين هوجارث : الاخت الثالثة التى سهرت عليه فى آخر ايامه

آخر القصة ليستريح من ذكراها !

وانطلق فى حياة عاطفية ذات اتجاهات عديدة ، فأحب ، وتزوج، وتعذب

ولما بلغ الاربعين ، تلقى خطابا من المرأة التى ظن انه افترق عنها الى الابد : من ماری بیدهیل !

فراق دام أكثر من عشرين سنة،

احيت تلك الرسالة النسائية عاطفة الحب التى كانت سببا له .

فان مارى اقسمت للكاتب فى رسالتها انها احبته دائما ، بخلاف ما كان يعتقد ، وانها لا تزال تحبه !

وضعف الرجل امام خفقان قلبه ، وخضع للمرأة التى بسببها عرف أول خيبة امل اصابته فى حياته

وضرب لها موعدا . والتقيا مرة بعد مرة . وجعل تشارلس ديكنز من مارى بيدهيل شخصية اخرى من شخصيات اقاصيصه وسماها فى هذه المرة « فلورا » فى رواية « دوريث الصغير »

فى المرة الاولى اظهرها فى مظهر لا يشرف ، وقتلها ! وفى المرة الثانية جعل منها امرأة صالحة ، ولم يقتلها !

ولكن ، ماذا حدث لقلبه خلال العشرين سنة التى مرت منذ اليوم الذى افترق فيه عن مارى بيدهيل غاضبا يائسا ، واليوم الذى التقى بها فيه مرتاحا مسرورا

شغلت قلبه ثلاث نساء . . .

« البقية على الصفحة التالية »



ماری هوجارث : اختها التى احبها

اراد ، بعد هجر ماري ، ان يتزوج ،فاختار واحدة من الاخوات الثلاث : كاترين هوجارث . وكانت أقلهن جمالا ، وفتنة وحيوية

ولكنه لم يعرف معها الحب ولا السعادة . لم تكن عواطفها تتجاوب مع عواطفه ، ولم تكن مداركها تمتد الى تفهم نوع النشاط الذهني الذي وقف الكاتب نفسه له

كانت تعيش معه ، ولكن غريبة عنه

لم يجد فيها تشارلس العشيقة التي تلهب النيران في القلب المتعطش الى الحب ، ولا الرفيقة التي ترفه عن النفس في ساعات الشدة ، ولا شريكة الكاتب الملهم في لحظة الالهام ...

قضى معها اثنين وعشرين عاما ، زوجا يهمل زوجته وتهمله زوجته. وتحولت حياتهما الى عادة تدرج كل يوم على وتيرة واحدة ، لا مكان فيها لعاطفة

ولكن الحب الذي لم يجده ديكنز في قلب كاترين ، وجده في قلب اختها ماري

تساءل لماذا تزوج كاترين ولم يتزوجها هي . ولكن التساؤل جاء بعد فوات الوقت . ولم يبق له ، ولم يبق لها ، الا ان يتبادلا العاطفة الجامحة التي ملأت قلبيهما، بدون امل في اطفاء الظمأ الغرامي في ذينك القلبين !

حب حقيقي ، حب متبادل ، ولكنه لم يدم أكثر مما تدوم الزهرة النضرة ، التي تذبل بعد أن يفوح عبيرها يوما أو بعض يوم . فقد ماتت ماري هوجارث وهي دون السابعة عشرة من العمر . وبقيت لديكنز زوجته البليدة

وبقيت له ايضا الاخت الثالثة ، جورجين ، الطيبة القلب ، المحبة ، الرحيمة

الحب الحقيقي الذي عرفه ديكنز كان عاطفة عابرة ، فلم يدم لان الفتاة موضع حبه غابت عن انظاره ، وتركت له الذكرى والالم

كان يزور ضريحها كلما أحس بضيق ، وكلما عبست الدنيا في وجهه ، وكلما شعر بحاجة الى روح يناجيها

ظن ، بعد موت ماري ، انه لن يستطيع أن يواصل الكتابة ، لان مصدر الالهام كان مجسما فيها ، ولانه كان يعدها بمثابة « الروح لروحه » وعنصر الحياة في حياته

وهنا بدأ دور جورجين ...

اقامت الاخت الثالثة معه ، تسليه وتواسيه ، وتعيد اليه الثقة بنفسه ، وتبعد عنه شبح اليأس

أحبته هي ايضا ، ولكنها عبرت عن حبها بالحنان ، وجعلته روحانيا اكثر منه ماديا ، حصرته في النفس لا في الجسد

ووجد تشارلس ديكنز في النهاية الراحة والطمأنينة بجانب جورجين ، بعد فقد ماري الحبيبة، وبالرغم من بقاء كاترين الزوجة

وتطورت عاطفته نحو جورجين

مع الزمن ، فاعتقد ان روح ماری عادت حية فى جسم جورجين ، وأن اعجوبة من اعاجيب التقمص قد حدثت تحت سقف بيته

واستمد الالهام منها ، كما كان يستمده من ماری قبل موتها ، ومن ذكراها بعد موتها .

وكان يذهب مع جـورجين ، متابطا ذراعها ، ليزور قبـر ماری وينثر عليه الزهور

سألته مرة اذا كان سـعيدا ، فاجاب :

ــ لا ، اننی اشـعر بالطمانينة والراحـة ، ولـكننى نسيت معنى السعادة التى أبت الا أن تهـرب من طريقى !

عشرون سـنة ، بل اكثر من عشرين سنة مرت على فراق ماری الاولى ، وعلى وفاة ماری الثانية ، واذا به يتلقى تلك الرسـالة التى حركت فى نفسـه كوامن الحسرة والأسى !

ظن ان الحب قد عاد ، ولـكنه لم يعد

كان لقاؤه مع ماری بيدهيل نزوة طارئة ، وهبـة عابرة ، وما لبثت صحوة الحب ان تحولت الى نوم عميق ...

عمره الآن خمسا وأربعين سنة ...

عرف الجاه والثروة والشـهرة والتكريم بجميع وجوهه . ولـكنه لم ينعم بالحب .

فقـد كل أمل فى العثور عليه ، ولكن الاقدار القاسـية ارادت ان تلعب بقلبه وتلهـو مرة اخرى ، فساقت اليه فتاة فى الثامنة عشرة ، جميلة ، تعرف كيف تضحك ومتى تضحك ...

وضحكت له ، فتعلق بهـذا الخيط الاخير ، وتساءل : الا يكون الحب قد جاء يطرق باب قلبه ، وهو على عتبة الشيخوخة ؟

ترك زوجته وافترق عنها نهائيا ، وارتمى فى أحضان الفتاة العابرة ، ايلين ترنان ...

وهى التى جعل منها شخصية « سـتلا » فى قصـة « الآمال الكبرى »

ولكن هذا الحب أيضا ، الاخير ، لم يكن مصحوبا بالسعادة ، ولم يترك فى نفس الكاتب غير المرارة

واستولت على نفسه مشـاعر متضاربة متباينة ، وتغيرت طباعه ، فأصبح غيورا ، حسودا ، متخوفا من كل شىء ، شاعرا فى كل لحظة بوخز الضمير .. لماذا ؟ انه وحده كان يعرف ذلك ، او لا يعرف

ان هذا الكاتب العبقرى ، الذى درس النفس البشرية وحـلل محاسنها وعيوبها ، ووصف لهـا الداء والدواء ، لم يعرف كيف يحلل نفسه ويتفهمها ...

لم يعرف السعادة

بل عرف المرارة بجميع الوانها ، ومات حزينا

ولفظ أنفاسه الاخيرة بين يدى المراة الوحيدة التى بقيت بجانبـه الى النهاية : جورجين هوجارث ، اخت زوجته البليـدة ، واخت حبيبته التى سماها روح روحه

من روائع الأدب الروسى

# ليلة عاصفة

## بقلم الكاتب الروسى مكسيم جوركى

**كانت الرياح تعوى وتعربد ، والمطر يتساقط على قاع الزورق ، والأمواج تهدر ، وكل منا راقد الى جانب الآخر يرتعد من البرد ... ان هذا كله كان حقيقة صارخة ، وحلم مزعج ثقيل ! ...**

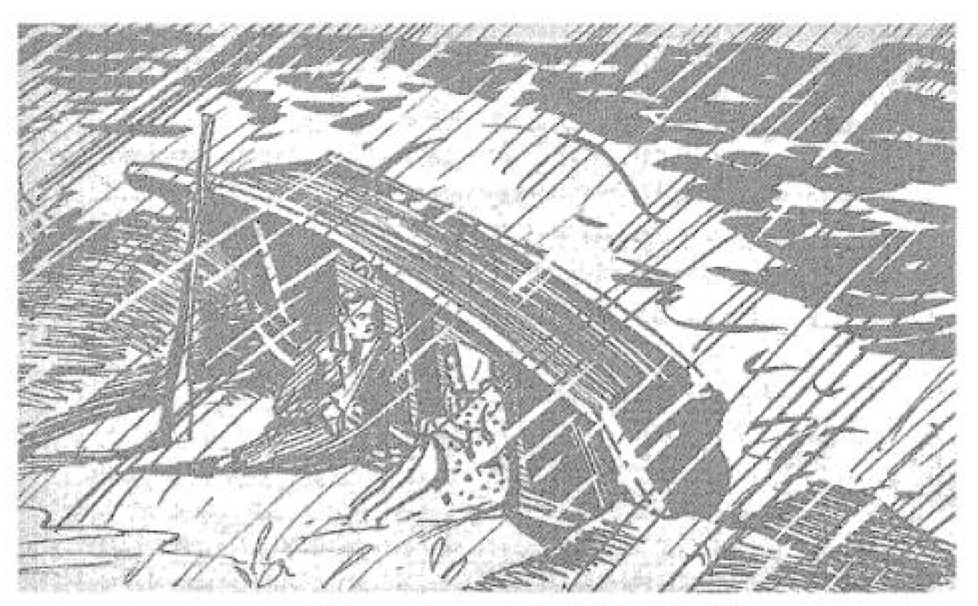
حدث ذات يوم ان كنت فى حالة مادية سيئة ، فقد وجدت نفسى فى المدينة التى وصلت اليها وشيكا بلا قرش فى جيبى ، ولا مأوى ابيت فيه ليلتى

ولما كنت قد بعت من ملابسى كل ما زاد عن الضرورى فقد عبرت المدينة الى المنطقة المعروفة باسم « يست » حيث تقوم أرصفة السفن البخارية ، وهى منطقة تزخر — فى موسم الملاحة — بالحركة والضجيج وصخب الحياة ، أما حين وصلت اليها فى أواخر اكتوبر ، فقد كانت ساكنة مهجورة ، لا نأمة فيها ولا حس

واخذت أجر قدمى على الرمال الرطيبة وانا أمعن فيها النظر عسى ان أجد اى نوع من بقايا الطعام ، ومضيت هائما بين المبانى المهجورة والمخازن وانا أحلم بما فى وجبة الطعام الكاملة من لذة وامتاع

ان فى مقدور الانسان فى هذا العصر ، ان يرضى جوعه الفكرى باسرع مما يرضى جوعه البدنى ، فانت تتجول فى الشوارع حيث تحيط بك المبانى الجميلة ، والتى يمكنك أن تقول بلا مبالغة ، انها حسنة المفروشات من الداخل ، وان منظر هذه المبانى قد يثير فى ذهنك التفكير فى هندسة البناء ، وفى القواعد الصحية ، وفى موضوعات اخرى كثيرة ، عابرة ، وانت قد تلتقى بأناس يرتدون الملابس الصوفية الانيقة ، كلهم مهذبون ، يديرون رؤوسهم عنك فى لباقة حتى لا تقع انظارهم على حقيقة وجودك المؤلمة ! ... ان عقل الجائع يكون عادة أكثر شبعا واصقل فكرا من عقل الرجل موفور الغذاء ، وهذه حالة تستطيع أن تستمد منها العزاء عن قلة الغذاء !

وكانت بوادر المساء تزحف عبر الأفق ، والمطر يتساقط رذاذا ، والريح تهب من الشمال فى عنف ، وتصفر بين الجواسق والمخازن الخالية ، وتندفع بقوة الى نوافذ الحانات المغلقة ، وتلهب بسياطها زبد أمواج النهر المتدفق فتكسر الشاطىء الرملى فى صخب ، مرسلة



« كان المكان رطبا ضيقا ... وقطرات المطر الدقيقة تتساقط من قاعه المحطم وحبات الريح تنفذ من خلاله »

رقائق الزبد فى الهواء ، دافعة المويجات فى سباق : الواحدة تلو الاخرى الى الأفق الغامض ، قافزة بهذه على اكتاف تلك فى غير انقطاع، وقد بدا لى كان النهر يشعر باقتراب الشتاء، فهو يجرى هائما، بعيدا عن قيود الجليد ، وكانت السماء المكفهرة الملبدة بالغيوم ، ترسل فى انقطاع قطرات دقيقة من المطر ، لا تكاد تبين . وقد ضاعف من كآبة الجو المحيط بى منظر شجرتين محطمتين ملتوتين وقارب مقلوب ، ومشدود الى جذورهما

كان الزورق المقلوب بهيكله المحطم ، والشجيرتان المعرضتان لعربدة الريح الباردة ، وكل شىء حولى ينم عن الافلاس ، والتجرد، والعدم ، حتى السماء كانت تسكب دموعا لا تجف ...

وكنت يومذاك فى الثامنة عشرة من عمرى ... ويا له من شباب ! وظللت امشى ، وامشى على الرمال الرطبة الباردة، بينما كانت اسنانى تصطك من الجوع والبرد ، وفجاة رايت وانا ابحث بعناية عن شىء يؤكل بين الجواسق الفارغة ، شبح فتاة قابعة وراء احدها ، وقد التصقت ملابسها المبللة بالمطر على كتفيها المنحنيتين . ووقفت أمامها لأرقب ماذا تفعل . فقد بدا لى أنها تحفر بيديها فجوة فى الرمال تحت احد الجواسق ، ولم البث ان اقعيت بجانبها وانا اسالها :

ــ ماذا تفعلين ؟

وندت عن شفتيها صيحة خافتة وهى تقفز واقفة، ثم اخذت تحملق فى وجهى بعينين رماديتين واسعتين زاخرتين بالفزع . ولاحظت انهـا فتاة فى مثل عمـرى ، ذات وجـه صبوح شوهته ـ للأسف ـ ثلاث ندوب زرقاء كبيرة . وقد افسدت هذه الندوب الشيء الكثير من جمالها رغم حسـن توزيعها ، وتنـاسب حجمها ، كانت كلها متسـاوية فى الحجم ... اثنتان تحت العينين ، والثالثـة على الجبين فوق قنطرة الأنف مباشرة ، وكانت هذه الزينة ـ كما يبدو بوضوح ـ من صنع فنـان مكلف بتشـويه الجمـال الانسانى

وظلت الفتاة تنظر الى وأمارات الفزع تتلاشى تدريجيا من عينيها ، ثم نفضت الرمال تدريجيا عن يديها، وثبتت غطاء راسـها ، ثم قالت بصوت ذليل :

ـ احسبك ايضـا فى حاجة الى شيء يؤكل ؟ حسنـا ... احفر معى فقد كلت يداى ... فان هناك

وأومات براسـها الى الكشـك وأردفت قائلة :

ـ خبز بلا شك ... فان هـذا الكشك لم يتوقف عن البيع بعد

وبدات احفر ... اما هى ، فقد تريثت برهـة وهى تنظر الى ، ثم ركعت بجانبى وشرعت تساعدنى

وتكاثرت بوادر المساء ، وازدادت غلائل الضباب حولنا كثافة، وارتفع هدير الموج فكان له فى آذاننا ضجيج اجـوف ... وظلت قطرات المطر تقرع الواح الكشك الخشبى برنين يزداد ارتفاعا وانتظاما ، اما حارس الليل ، فقد بدا فى مكان ما يرسل فى الجو نداءه بين الحين والآخر ...

وسألتنى مسـاعدتى فى همس رقيق :

ـ هل للكشك قاع ام لا ؟

ولكنى لم افهم مـاذا تعـنى ، فلزمت الصمت

وعادت هى تسأل هامسة :

ـ اقول اذا كان للكشك قاع ، فلن نسـتطيع اقتحـامه ... وها نحن نحفر تحته نفقا ، ومن المحتمل بعد كل ما نبذله من جهد ، أن نجد له قاعا من الواح صلبـة ، فكيف ننفذ منها ... خير لنـا أن نكسر القفل ... فانه قفل هزيل

ان الأفكار الصائبة قلمـا تخطر بأذهان النساء ، ولكنها ـ كما ترى، تخطر بها احيانا وقد كنت دائمـا اقدر الآراء الحكيمة ، واحاول دائما ان استفيد منها بقدر ما استطيع

وعثرت على القفل ثم انتزعته، وسرعان ما انحنت شريكتى وانسابت ـ كالأفعى ـ من فتحة الباب الى الكشك وهى تقول لى :

ـ انك مدهش !

فسألتها فى لهفة :

ـ هل وجدت شيئا ؟

واخذت فى صوت رتيب تحصى ما وجدته ، فقالت :

ـ ملء سلـة من الزجاجات ،

فراء سميك ، مظلة ، جردل حديدي ...

ولم يكن بين هذه الأشياء ما يؤكل، واحسست بنبع امالي يفيض عندما هتفت فجاة قائلة بمكر :

ـ رغيف من الخبز ، انه مبلل فقط ... امسك به ...

وطار الرغيف الى قدمي ، ومن ورائه هي ، رفيقتي الباسلة . وسرعان ما قضمت منه شريحة وملأت بها فمي ، وشرعت امضغها ... وقالت هي :

ـ هلم ... اعطني قطعة منه وليس ينبغي أن نبقى هنا ... فأين نذهب ؟

وتلفتت حولها في تساؤل ، ولكنها لم تجد غير المطر ... والوحشة والظلام

وقلت لها :

ـ انظري .. هناك زورق مقلوب ... هلم نمضي اليه

ـ نعم ... هلم اليه ...

ومضينا الى الزورق ونحن نلتهم في الطريق غنيمتنا

وسألتها :

ـ ماذا يسمونك ؟

ـ ناتاشا ..

قالتها بايجاز وهي تمضغ بصوت عال ...

وحملقت فيها بقلب موجع .. ثم مددت البصر في غلالات الضباب المنتشرة امامي ، وخيل الى ان الوجه الساخر لقدري ومصيري كان يبتسم لي في غموض وبرود

ظل المطر ينهمر في غير انقطاع على سقف الزورق المقلوب، وكان رنينه الخفيف يثير في النفس شعور الاكتئاب ... ولم يكن تحت الزورق المقلوب اى لون من الراحة والرضى ... كان المكان رطبا ضيقا ...

وقطرات المطر الدقيقة تتساقط من قاعه المحطم وحبات الريح تنفذ من خلاله ، وجلسنا نرتعد من البرد في صمت ... وخطر لي أني أريد النوم ... واسندت ناتاشا ظهرها الى جانب الزورق ، وتكومت على نفسها كالكرة

وكانت هي التي تحدثت أولا :

ـ ما أشد لعنة الحياة !

ولم يكن في رنين صوتها ما ينم عن الشكوى ، وانما كانت تتحدث بصوت انسان لم يعد يحفل حتى بالشكوى من الحياة ، ان هذه المخلوقة الآدمية البسيطة فكرت ـ بقدر مداركها ـ ووصلت الى راى في الحياة عبرت عنه بصوت مسموع ـ ولم استطع أن أدحض رايها هذا خشية ان اناقض نفسي، فآثرت الصمت ، بينما ظلت هي جالسة في سكون تام كأنما هي لا تكاد تشعر بوجودي

وعادت ناتاشا تقول بصوت ينم هذه المرة عن الهدوء والتفكير ، ولكن لا اثر فيه لرنين الشكوى :

ـ وحتى اذا تذمرنا ... فماذا بعد ؟

وكان الواضح ان هذه المخلوقة ، في خلال تأملاتها عن الحياة ، قد

فهمت ظروف حياتها ، واقتنعت اخيرا بأن التذمر لن يجنبها سخرية الحياة ، وذلك رغم أنها فى حالة لا تستطيع فيها الا ان « تتذمر » فقط ، على حد تعبيرها ...

واثار هذا الخط الواضح من تفكيرها اشد الالم فى نفسى ، واحسست انى لو اطلت الصمت فسوف ابكى ... وانه لعار أن ابكى امام فتاة لم تكن هى نفسها تبكى ، وقررت أن اتحدث اليها فقلت :

ـ من الذى هدم حياتك ؟

واجابتنى بصوت رتيب ملول :

ـ انه باشكا حبيبى ... وكان خبازا

ـ هل كان يضربك دائما ؟

ـ كان يضربنى كلما اسكرته الخمر

ثم استدارت نحوى فجأة وشرعت تتحدث الى عن نفسها ، وعن باشكا وعن علاقتهما المشتركة. كان خبازا له شارب احمر ، يجيد العزف على القيثار . ولما رأته اثار اعجابها بمرحه وملابسه النظيفة الجميلة ، اذ كان يرتدى صديرية تساوى خمسة عشر روبل ، وحذاء فاخرا . واحبته هى لهذا كله ، وصار هو « الصديق » الذى يستولى على كل ما تظفر به من « أصدقائها » الآخرين ، وبهذا المال كان يشترى الحلوى ، والخمر ، فاذا سكر ، ضربها . وما كانت هى لتضيق بهذا كله لولا انه بدأ « يجرى » وراء غيرها من الفتيات اما م عينيها ...

وقالت فى انفعال :

ـ الم تكن هذه اهانة ؟ اننى لست أسوأ من غيرى؟ وهو بتصرفه هذا يسخر منى ، طبعا ... ذلك اللعين ... لقد طلبت من مخدومتى اول أمس أن أخرج للنزهة وذهبت اليه ، ووجدت الفتاة ديمكا جالسة بجانبه ، سكرانة وكان هو ايضا لا يقل عنها سكرا ، فقلت له : « أيها اللعين » ، وعندئذ انهال على ضربا ، وركلنى وجرنى من شعرى، ولكن هذا كله لا شىء بجانب ما حدث بعد ذلك . لقد افسد كل شىء ، وتركنى كما انا الآن ، مزق ثوبى هذا ... فكيف اذهب الى سيدتى وانا على هذه الحالة ! آه ... يا الهى ، ما هو مصيرى الآن؟

▭

وازداد الجو برودة ووحشة ، وعادت اسنانى تصطك وترقص صعودا وهبوطا ، واقتربت هى ، اثناء البرد، منى وهى لا تزال مكومة على نفسها ، حتى اصبحت ارى وميض عينيها يلمع فى الظلام

وعادت تقول :

ـ ما اخبثكم ايها الرجال ... لشد ما اتمنى لو احرقتكم فى فرن ومزقتكم اربا ، لو مات احدكم امامى لبصقت على وجهه ولما احسست بأى حزن عليه . انكم لتمسحون وتتقربون وتهزون ذيولكم كالكلاب الذليلة ، وننخدع نحن

ونسلم أنفسنا اليكم ، وعندئذ نفقد كل شيء

واخذت تنهال علينا ــ معشر الرجال ــ بالسباب ، ولكن فى غير حماس أو حقد أو كراهية

على أن هذا كله ترك فى نفسى اثرا بالغا ، واحسست أنى بائس ، من البرد لا من عبارات صاحبتى ، وتأوهت فى خفوت وانا اعض على نواجذى . وفجأة شعرت بذراعين صغيرتين تدوران حولى ، ولمست احداهما عنقى وتراخت الثانية على وجهى ، واذا هى تسألنى فى صوت ينم عن الرقة والحنان :

ــ ماذا دهاك ؟

وخيل الى أن شخصا آخر هو الذى يلقى على هذا السؤال ، وليست ناتاشا التى كانت ــ منذ لحظات ــ تصف الرجال جميعا بالاجرام ، وتتمنى دمارهم ، ولكنها كانت هى ، واستطردت تقول فى سرعة :

ــ هل تشعر بالبرد ! هل تحس بالصقيع يجمد أطرافك ؟ آه ، يا لك من شاب جالس هكذا فى سكون كالبومة الصغيرة ! كان ينبغى أن تخبرنى منذ فترة طويلة بأنك تعانى البرد ، هلم أرقد على الأرض ... تمدد بجسمك هكذا وسأرقد بجانبك ، كيف الحال الآن هل شعرت بالدفء ، لسوف تشعر به حالا ، سأجعل ظهرى الى ظهرك ، وستمر الليلة سريعا ، هل شربت كثيرا من الخمر انت ايضا ؟ هل طردت من عملك ؟ حسنا ، لا تبال !

وهكذا ظلت تخفف عنى وتشجعنى ...

تصوروا ! انذا ، الفيلسوف الذى كان مستغرقا فى البحث عن مصير الانسانية ، وفى كيفية اعادة تنظيم المجتمع البشرى، وفى جدوى الثورات السياسية ، انا الذى كنت فى ذلك الحين أحاول ان اجعل من نفسى قوة تقدمية اجتماعية دافقة، حتى لقد خيل الى انى انجزت جانبا من أهدافى او ــ على الأقل ــ استطعت ان اشعر ــ بفضل ما فى رأسى من أفكار عن نفسى ــ انه صار لى حق الحياة ، وان لى من مواهب العظمة ما يتيح لى أن احيا ــ كما ينبغى أن تكون الحياة ــ وانى كفء لأن العب فى التاريخ دورا كبيرا ، كل هذا وانا التمس الدفء من فتاة بائسة ، مشردة ، مهيضة الجناح لا مكانة لها فى الحياة ، وما كان ليخطر ببالى أن التمس المعونة منها حتى عرضتها هى على ، وما كنت بقادر على مساعدتها حتى لو خطر لى أن أساعدها ...

آه لشد ما خيل الى أن هذا كله اضغاث أحلام ... أحلام ثقيلة مزعجة

ولكن لا ... كان يستحيل على ان أزعم لنفسى ان هذا كله حلم ، لأن قطرات المطر الباردة كانت تتساقط على، وجسم الفتاة ملتصق بى ، وانفاسها الدافئة تمسح على

وجهي وتخفف عني رغم رائحة الفودكا المنبعثة منها

وظلت الريح تعوى وتعربد ، والمطر يتساقط على قاع الزورق ، والأمواج تهدر ، وكل منا راقد الى جنب الآخر يرتعد من البرد ، ان هذا كله حقيقة صارخة ولست احسب ان انسانا رأى في يوم ما مثل هذا الحلم الثقيل المقبض المزعج

وكانت ناتاشا تتحدث طوال الوقت عن هذا الموضوع أو ذاك في مواساة كآبة سيدة عطوف شفوق، وقد احسست بتأثير صوتها ورقة كلماتها ، كأن نارا صغيرة قد بدأت تضطرم في أعماقي ، وان شيئا في قلبي قد بدأ يتوهج

وتدفقت الدموع من عيني بغزارة ، فغسلت عن قلبي الكثير من الهموم والآلام والحماقات والشرور والأقذار التي كان يذخر بها قبل تلك الليلة

واخذت ناتاشا تواسيني بقولها :

ـ كفى ... كفى بكاء ياصغيري، سوف يمنحك الله فرصة اخرى ، سوف تتاح لك الفرصة لكي تقوم نفسك وتعود الى مكانك المناسب في الحياة

وقبلتني بحرارة ، ولكنها حرارة العطف والحنان ، والاحساس المشترك بالألم والشقاء

وبقينا هكذا حتى الفجر ...

وفي الفجر تسللنا من تحت الزورق المقلوب ، ومضينا الى المدينة حيث تبادلنا في مودة تحية الفراق الى غير لقاء ... ولم التق بها ابدا رغم اني امضيت ستة اشهر وانا أبحث في كل ركن ومكان بالمدينة عن ناتاشا الشفوق التي أمضيت معها تلك الليلة في الخريف

## الحماسة المعدية

ان « اداء الواجب » حماسة عند بعض الناس ، وقد يكون احد هؤلاء مصابا بارتفاع درجة حرارته ، أو بنوبة سعال ارقته طول الليل ، ولكن هذه الحماسة تحمله على أن يتحامل على نفسه وان يذهب الى مقر عمله ليؤديه على عادته ، غير عابيء بنصيحة الطبيب او الحاح زوجته عليه في التزام الراحة ، بل غير عابيء حتى باتصال صاحب العمل نفسه به ليطمئنه على سير العمل ويرجوه أن يستريح في البيت !..

والواقع أن هذه الحماسة توحي اليه بأن العمل لابد أن يضطرب ان لم يذهب لأدائه او الاشراف عليه . كما انها في الوقت نفسه توحي بأن مرضه سوف يزايله ويسترد عافيته بانهماكه في العمل ، وهذا الى انها تفرض عليه أن يكون قدوة طيبة لغيره من الموظفين

« كريستوفر بيلوب »

قصة البطل الاندلسي الموريسكي
وابنتـه الاميرة الشهيدة امينـة

# الشهيدة

بقلم محمد عبد الله عنان

ان كفاح الامم للذود عن كرامتها وتراثها القومي ، لا يكون فقط أيام القوة والعظمة ، ولكنه قد يقع أيضا أيام السقوط والمحنة ، وقد يكون الكفاح في هذا الدور المؤلم أشد وأروع ، وخصوصا متى كانت الامة المغلوبة ، قد جردت على يد الغالب من سائر وسائل القوة والدفاع المشروع

نحن في أواخر القرن السادس عشر ، وقد انتهت دولة الاسلام في الاندلس بسقوط غرناطة آخر القواعد الاسلامية في يد فرديناند وايسابيلا ملكي اسبانيا في سنة ١٤٩٢ ، واستحالت بقية الامة الاندلسية المغلوبة ، الى طائفة الموريسكيين أو العرب المتنصرين ، أرغموا على ترك دينهم وعقائدهم قسرا ، ولكنهم بقوا مسلمين في سرائرهم ، وبقيت العربية لغتهم ومتنفس آلامهم وآمالهم دهرا ، يتخذون منها حفيظا لتراثهم القديم ، وصلة حية بين ماضيهم المجيد وحاضرهم المؤلم . بيد أن السياسة الاسبانية ، وقد أغضت حينا عن تعلق الموريسكيين بلغتهم القومية ، رأت في النهاية أن بقاء اللغة العربية حية متداولة ، مما يقوى نزعة الحرية والاستقلال لدى تلك الامة المهيضة المغلوبة ، ويحول دون القضاء نهائيا على شخصيتها ومقوماتها ، فقررت حرمان الموريسكيين من لغتهم العربية ، ومن أسمائهم العربية ، ومن ثيابهم القومية ، وأصدرت في سنة ١٥٦٦ قانونا يقضي على العرب المتنصرين بترك اللغة العربية خلال ثلاثة أعوام ، يرغمون بعدها على اتخاذ اللغة القشتالية لغة التخاطب والتعامل ، ويقضي على المخالفين بأشد العقوبات

وهنا تنبض الامة الشهيدة بفورة أخيرة للدفاع عن كرامتها وتراثها القومي ، وتضطرم بنيران ثورة غامرة يائسة ترجو بها اما الخلاص

واما الفناء النهائى ، وفى خـــلال النضـــال الذى شهرته فى وجه مضطهديها وظالميها ـ الاسبان ـ يبرز ذلك البطل المغمور ، الذى تصدى لقيادة أمته فى هذا النضال اليائس، والذى تبدو سيرته المؤثرة ، كأنهـا أسطورة من الاساطير

انه فرناندو دى بالور Fernando de Valor وهو اسم قشتالى محض ولكن مهلا ، فان هذا الاسم الفرنجي، يحجب نسبة عربية اسلامية رفيعة. ذلك ان معظم الاندلسيين المتنصرين، كانوا يحملون بفرض القانون، أسماء قشتاليـــة . وقد كان فرناندو دى بالور ينتمى فى الواقع الى بنى أمية أسرة الملوك والخلفاء ، التى سطعت فى ظلهم الدولة الاسلامية بالاندلس زهاء ثلاثة قرون . وكان من أهـل غـرناطة ، من أسرة من أشرافهـــا القدماء ، وكان يقيم فى حى البيازين الشهير الذى يقع فى مواجهة قصبة الحمراء ، فلما اضطرمت الثـورة الموريسكية ضد الاسبان ، وانتشر لهيبهـا بسرعة ، رأى الزعمـاء أن يختاروا لهم أميرا يلتفون حـوله ، فوقع اختيارهم على هذا الفتى النبيل سليل الملوك والامراء. وكان فرناندو دى بالور يومئذ فتى فى نحو الخامسة والعشرين تنوه الرواية المعـاصرة بوسامته ونبل طلعتـــه، وكان قبل انتظامه فى سـلك الثـوار يعمـل مستشـارا لبلدية غرناطة . وكان الامير الجـديد يقدر خطورة المهمـة التى ندب لهـا ، وكان يضـطرم حماســة وجرأة واقدامـا . ففى الحال غادر غرناطة سرا الى الجبال ، ولجأ الى شـيعته وأقربائه فى قرية بزذنار التى تقع جنـوبى غرناطة ، فهرعت الجمـوع الى لوائه ، واحتفل الموريسكيون بتتويجه أميرا لهم فى أواخر سنة ١٥٦٦ فى احتفال بسيط مؤثر ، فرشت فيه على الارض أعلام اسلامية ذات أهلة ، فصلى عليهـــا الامير متجها الى الجنوب صوب مكة، وقبل أحد أتبـــاعه الارض رمزا للخضوع والطاعة ، وأقسم الامير أن يموت فى سبيل دينه وأمته، وتسمى باسم ملوكى عربى ، هو محمد بن أمية صـــاحب الاندلس وغرناطة ، واتخذ مقامه فى أعماق الجبـال فى مواقع منيعة ، وبعث رسله فى جميع الانحاء يدعون الموريسكيين الى خلع طاعة الاسبان والعود الى دينهم القديم

واجتمع حول الامير الفتى جيش من الموريسـكيين الذين أقسموا أن ينتقموا لمصائب أمتهم ، وأن يفتدوا بأرواحهم دينهم وكرامتهـــم ، ومن الجنـــد المغاربة الذين عبروا البحر سرا الى الاندلس مجاهدين فى سبيل الله ، والاتراك المرتزقة . ولبث الامير على رأس قواته فى شعب جبال سييرا نفادا يخوض مع الاسبان معركة بعد أخرى ، واليأس يدفع المتحاربين الى ارتكاب أشـنع ضروب السـفك والانتقام ، والثورة الموريسكية تتسع نطاقها ويتطاير لهيبها ، حتى وصلت من غرناطة الى أحواز مرسية وبلنسية شرقا ، وجردت اسبانيا خير قواتها لسحق هذه الثورة الغامرة ، وفتك الجند الاســـبان بالموريسكيين أينما

وجدوا ، ثم نشبت أخيرا بين الفريقين معركة كبيرة، هزم فيها الموريسكيون وفر محمد بن أمية واختفى حينا ، وأسرت أمه وزوجه واخواته ، ثم عاد فظهر على رأس شراذم من قواته فى أعماق شعب البشرات ، يستأنف الكفاح ويرقب الحوادث

وهنا تتطور الحوادث لتتخذ لون الاسطورة ، وهنا يهفو الحب بقلب البطل الفتى ، فيسوء تقديره، ويلقى مصرعه . ذلك أن محمد بن أمية رأى ذات يوم على مقربة من خيمته فتاة شقراء رائعة الحسن، وعلم أنها تدعى زهرة ، وأنها صاحبة ضابط من ضباطه يدعى ديجو الوزير، فهام بها حبا وبذل ما فى وسعه لانتزاعها لنفسه ، وسارعت زهرة الى مغادرة صاحبها والارتماء بين ذراعى الامير، وأعمى الهوى المضطرم عينى محمد بن أمية ، فلم يقدر ما يترتب على عمله من العواقب . ذلك أن ديجو لم يرقه هذا الاعتداء ، فحقد على أميره وائتمر على قتله مع جماعة من المتطوعين الناقمين ، ومعظمهم من الترك المرتزقة ، فوثبوا عليه فى محلته وقتلوه غيلة وذلك فى خريف سنة ١٥٦٩ م .

وفى الحال اختار الزعماء أميرا جديدا هو « مولاى عبد الله » فعكف على تنظيم قواته والاستعداد للنضال . واستمر الموريسكيون عاما آخر فى نضالهم الباسل ، ولكن القوة القاهرة ما لبثت أن سحقتهم ، وقتل مولاى عبد الله بدوره غيلة ، وانهارت بذلك آخر محاولة بذلتها الامة الشهيدة للذود عن كرامتها وشعائرها وتقاليدها

⏢

وهنا يطوى التاريخ صفحته، ولكن الاسطورة لا تقف فى سيرة محمد بن أمية عند هذا الحد ، بل تقول لنا ان لها بقية مؤثرة : هى أن محمد بن أمية كانت له ابنة تدعى « أمينة » وان أمينة هذه قد انتزعت من حجر والديها وهى طفلة ، وأخذت الى دار الحاكم بقصر الحمراء ، واعتقلت فى بعض مخادعه ، وسميت باسم نصرانى هوايسابيلا . وترعرعت هذه الصغيرة حتى غدت فتاة تملأ الابصار ، وهى لا تعلم شيئا عن حقيقة نشأتها ، أو عن والدها الموريسكى . ولم يكن يعرف سرها سوى شيخ يهودى من حشم الدار يدعى يعقوب كان يرعاها ويحيطها بحنانه ، فلما قتل والدها على النحو المتقدم وترامت أنباء مصرعه الى الحمراء ، كشف لها الشيخ اليهودى عن حقيقة أمرها، وكيف أنها لا تمت الى الاسبان بصلة، وانما تنتمى الى تلك الامة الموريسكية العريقة ، وأنها كانت مسلمة بمولدها ، فلما أدركت أمينة حقيقة أمرها أزمعت الفرار ، واتفقت على ذلك مع يعقوب ، ونجح المشروع ، واستطاع الاثنان أن يفرا من قصبة الحمراء تحت جنح الظلام ، وأن يغادرا غرناطة الى طريق البشرات ثم سارا جنوبا حتى شاطىء البحر ، واتجها نحو جبل طارق ليعبرا البحر الى المغرب . ولكن سرية من الفرسان الاسبان انطلقت فى أثرهما عقب



**وهفا الحب بقلب البطل الفتى ، ذلك أن محمد بن أمية رأى ذات يوم على مقربة من خيمته فتاة شقراء رائعة الحسن تدعى زهرة**

اكتشاف فرارهما ، واستطاعت أن تلحق بهما على مقربة من جبل طارق، فقبض عليهما، وقضى عليهما بالاعدام، وأعدم الشيخ اليهودى سالخا ، وأحرقت الاميرة الفتية ، وهى تعلن ايمانها واستشهادها

على أن قصة « أمينة » أو ايسابيلا هذه ، لا تخرج عن حيز الاسطورة ، وما يورده لنا التاريخ الحق من سيرة البطل الموريسكى فرناندو دى بالور أو محمد بن أمية لا يشير الى شىء منها . وليست قصة الاميرة أمينة فى الواقع ، بالرغم من وقائعها المشجية ، ونهايتها المؤثرة ، الا واحدة من القصص والاساطير العديدة التى تحفل بها سير العصر ، والتى ألفت مصادرها الخصبة فيما كان يحيط بالامة الموريسكية الشهيدة من المحن والخطوب ، ومن الاسرار القومية الخاصة ، ومن حنين مضطرم الى دينها وشعائرها القديمة .

وقد جمع الكاتب الامريكى الكبير واشنطون ايرفنج القصص والاساطير التى تتعلق بقصر الحمراء وأمرائه وأميراته ، فى كتاب سماه « قصص الحمراء » ومعظمه يتعلق بالعصر الذى تلا سقوط غرناطة فى يد الاسبان . وتوجد عدا ذلك أساطير وأقاصيص كثيرة عن أشراف غرناطة المتنصرين ، وعن الشعب الموريسكى تملأ من الادب القشتالى المعاصر مجلدات لا حصر لها

# الفن والأساطير

بقلم الأستاذ أبي صالح الألفى

مدرس تاريخ الفن بكلية الفنون الجميلة

**ستظل الاسطورة دائما مادة خصبة ، يستوحي منها الفنان اعماله الفنية فى الحاضر والمستقبل ، كما استوحى منها اعماله فى الماضى**

حفلت حياة الامم والشعوب ، منذ اقدم العصور ، بالاساطير التى نسجها خيال أفراد أفذاذ ، فنفذوا فيها الى اغوار ظواهر الطبيعة المحيرة ، وفسروها تفسيرا يحقق آمالهم وغرائزهم ، وقصوا أقاصيص الحظ والمصير ، والخير والشر ، والحب والبغض ، والموت والخلود

وقد اتخذ الفنان من هذه الاساطير فى كل عصر ، مادة خصبة لانتاجه الفنى ، فسجلها ، عبر الزمان ، على جدران الكهوف والمعابد ، وعلى منتجات حرفه نحتا وتصويرا ، واصبحت هذه الاعمال سجلا حافلا الحضارات المختفة ، كما يحلو استعراضه والاستمتاع بما فيه من خيال مطلق

ولعل من اشهر الاساطير واقدمها اسطورة « أوزوريس » المصرية . فقد كان « أوزوريس » ملكا على مصر ، يحكم فيها بالعدل ، فأحبه الشعب حبا عظيما جعل أخاه «ست» يحقد عليه ويدبر امر قتله ، فأولم وليمة كبيرة ، دعا اليها عددا من انصاره كما دعا اخاه . وأعد تابوتا غاية فى الروعة والجمال ، وقال انه سيهديه لمن يتناسب حجمه مع مقاس هذا التابوت . ولكن هذا التابوت لم يكن مناسبا الا «لاوزوريس» فعندما نام فيه ليقيسه أغلقه عليه «ست» ، وقذف به فى النيل ، الذى

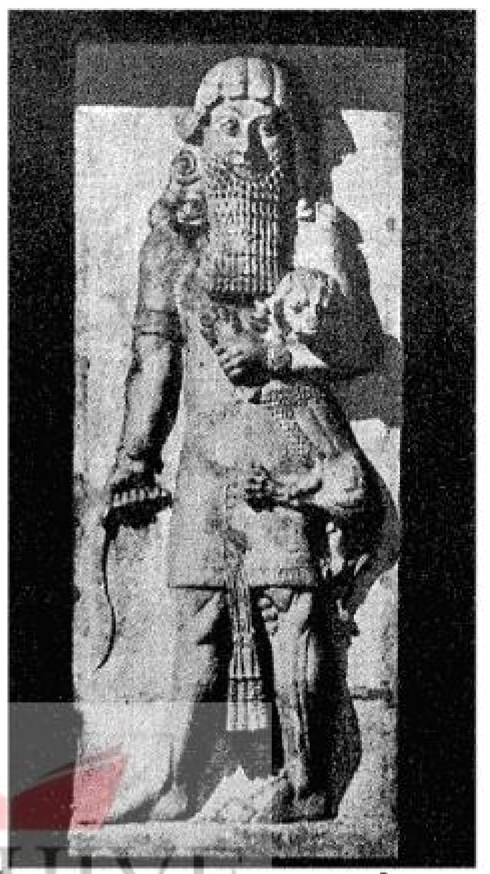


أشيل أشهر أبطال حرب طروادة ، يضمد جرح محارب ، وهذه الصورة منقولة عن رسم على الاواني الاغريقية

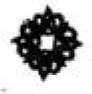
حمله الى البحر المتوسط ، واخذت تتقاذفه الامواج حتى الشاطىء الفينيقى . ولكن زوجته الوفية ايزيس « اخذت فى البحث عنه حتى عثرت عليه ، فأعادته الى مصر ، وبصلوات طويلة وادعية سحرية ، استطاعت ان تعيد اليه الحياة ، ولكن « ست » عاد مرة أخرى وقتله وقطع جسده الى اربع عشرة قطعة ، بعثرها فى انحاء مصر ، ولكن ايزيس بذلت غاية الجهد لتجمع هذه الاشلاء ، ولتعيد اليها الحياة ، ولكنها حياة من نوع آخر ، حياة الملك والسلطان فى العالم الآخر ، وبهذا اصبح اوزوريس اله الغروب اوالموت ورئيس مجلس القضاء الذى يحاسب المتوفين ويزن أعمالهم . واستمر الصراع بين الخير والشر : ايزيس وابنها حوروس من جهة ، و« ست » من جهة أخرى ، حتى تدخلت الآلهة بينهم ، وانتهى الامر بانتصار حوروس وتنصيبه ملكا مكان ابيه »

وهناك أسطورة اخرى تهدف الى تقديس الملكة « حتشبسوت »

ونسبتها الى الاله آمون . وتبدأ الاسطورة بأن آمون رع جمع الالهة ، وأعلن لهم عزمه على خلق ابنة من صلبه تحكم مصر، واختار احمس زوجة تحتمس الاول اما لهذه الابنة وتمثل « آمون رع » للام فى صورة بشرية ، وقال لها : « هذه ابنتى ، اخترت لها اسم « حتشبسوت » لتحكم البلاد باسمى » ، وأمر الاله آمون رع الاله « خنوم » صانع البشر ، بأن تكون «حتشبسوت» على احسن صورة . فلما ولدت فرح بذلك آمون رع وخاطب الالهة قائلا : « هذه ابنتى ، فأحيطوها بحبكم وعطفكم ، وسيكون حكمها مزدهرا ،



نحت بارز من فن بلاد العراق القديم يمثل البطل الاسطوري جلجميش وهو يقبض بيد واحدة على أسد . ويلاحظ ان الاسد صغير رمز الى ضعفه ...





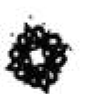
الالهة الراقصة فى الاساطير الهندية ، مادانكا على الحوائط الخارجية لمعبد شناكرساف القرن السابع الميلادى



لانها تحكم باسمى » . وقدسجلت هذه الاسطورة على جدران معبد الدير البحرى موضحة بالرسوم

اما فى بلاد العراق القديم ، فقد كانت اسطورة « جلجميش » من اهم اساطيرها ، وهى مجموعة من احسن القصص فى العالم ، وقد وضعت هذه الاسطورة منذ نحو اربعة آلاف سنة . وتروى القصة انه كان هناك ملك يسمى « جلجميش » ، وكان هذا الملك قاسيا جبارا ، القى الرعب فى قلوب الرعية ، حتى بلغ عويلهم السماء ، فخلقت الالهة « أرورو » رجلا متوحشا هو « انكيدو » ، لينقذ الشعب من طغيان

تمثال يمثل أثينا الهة مدينة أثينا المحبوبة ، وهى تحمل فى يدها الدرع الساحر والبوم ، من علاماتها المميزة





هرقل البطل الافريقى وابن زيوس رب اربابهم يقضى على السينانير فى مغامرة من مغامراته المشهورة ...

« جلجميش » . وكان انكيدو صديقا للوحوش يعيش معها وينقذها من الفخاخ . وقد ابلغ احد الصيادين امر انكيدو الى « جلجميش » الذى امر احدى راقصات معبد عشتروت « أن تذهب الى المكان الذى يعيش فيه «انكيدو» حتى يقع فى حبها. فلما ذهبت ورآها انكيدو ـ احبها فعلا ، واستطاعت ان تقنعه بمقابلة « جلجميش » ، فلما تقابلا نشأ بينهما عراك هائل ، تغلب فيه انكيدو ، ولكنهما خرجا من هذه المعركة صديقين . وبعد مدة ذهبا معا للقضاء على مخلوق مرعب يسمى « هومبابا » ، وبعد صراع عنيف يتغلبان عليه ، ويحز « جلجميش » راس هذا المخلوق . وبينما هو يغتسل بعد الانتهاء من هذه المعركة ، اطلت عليه « عشتروت » الهة الحب ، وسلطت عليه نظراتها ، وطلبت اليه الزواج ، ولكنه رفض ، واخذ يعيرها بحوادثها الغرامية ، فغضبت لذلك غضبا شديدا ، وذهبت الى ابيها الاله آنو ، وطلبت اليه أن يخلق ثورا جبارا يبطش بجلجميش ، وقد حقق لها الاله آنو رغبتها ، وخلق هذا الثور المتوحش ، ولكن جلجميش بمعونة صديقه انكيدو يتغلبان على هذا الثور الوحشي . وتظل الاسطورة تروى مثل هذه المغامرات حتى يأتيهم هادم اللذات ومفرق الجماعات .

□

وتعتبر الاساطير الاغريقية من أهم الاساطير التى حفظها التاريخ ، وتقوم اغلب هذه الاساطير على الصراع بين مدينة ومدينة ، أو بين الابطال من البشر وبين الالهة ، أو بين الالهة انفسهم ، أو بين الابطال والحيوانات الخرافية . ويرؤس اسرة الآلهة الاغريقية الاله الاكبر « زيوس » ، وله زوجات واتباع واولاد . وبعض هؤلاء الاولاد من زوجات بشريات

ومن اهم هذه الاساطير «الالياذة» ، وهى ملحمة من وضع الشاعر « هوميروس » وتبلغ نحو ستة عشر الف بيت من الشعر ، تقص خبر حرب طروادة التى وقعت بين ملك طروادة وملك اسبرطة ، قرب نهاية الالف الثانية قبل الميلاد ، وخلاصة هذه القصة انه كان لملك طروادة ولدان : « باريس » و « هيكتور » ، وفى يوم من الايام سافر « باريس » من طروادة الى اسبرطة ونزل ضيفا على « مينلاس » ملكها ، ولكن باريس لم يرع امانة الضيافة ، واغرى هيلانة زوجة مينلاس على الفرار معه الى بلاده ، فاستغاث مينلاس بملوك المدن الاغريقية الذين لبوا نداءه واقسموا يمين الانتقام . واعدوا اسطولا مكونا من ١١٨٦ سفينة ، تحمل مائة الف مقاتل باسلحتهم وعتادهم . وتصف القصة الصراع اليومى المستمر بين الابطال من الجانبين . وكيف أن الآلهة انقسمت على بعضها ، كل منها يناصر فريقا من المتحاربين : فكانت الالهة «هيرا» زوجة زيوس ، والالهة آثينا « الهة البرق » ، تناصران الاغريق



كريشنا اله الحب العذرى فى الاساطير الهندية
ومعه حبيبته راقصا بين الازهار والاشجار

وكان الاله ايزس « اله العاصفة » يناصر طروادة . وكان ابرز الابطال الاغريق فى هذه المعركة اشيل، وابرز ابطال الطرواديين هكتور . وقد استمر الصراع عشر سنوات لم يتغلب فيها فريق على الآخر . ولكن الاغريق لجأوا الى الحيلة فصنعوا حصانا ضخما من الخشب اختبأ فيه بعض ابطالهم واقلع باقى الجيش فى السفن . وفتح الطرواديون ابواب الاسوار وادخلوا الحصان الخشبى ، فخرج منه أبطال الاغريق ، وأعملوا فى المدينة قتلا وسلبا ثم أحرقوها. ونجد كثيرا من مناظر هذه الاسطورة على الاوانى الاغريقية

▭

ومن الاساطير اليونانية المشهورة ايضا مغامرات هرقل : وتقول القصة ان زيوس ، سيد آلهة الاولمب أحب الاميرة « الكمين » ، احدى اميرات هيلان ، فأنجبت منه طفلا اسمه




صورة تمثل ابوللو ودوفنى ، اوقع كيوبيد ابوللو فى حب دوفنى ثم جعلها تعرض عنه ..

هرقل ، ولم تكن الالهة هيره زوجة زيوس تعلم بهذه العلاقة ، وكانت تغير عليه غيرة شديدة ، وتضيق
تغار عليه غيرة شديدة ، وتضيق
فلما علمت بمولد هرقل غضبت غضبا شديدا ، واخذت تكيد له .
فلما بلغ أشده فرض عليه القدر أن يشترك فى مغامرات كثيرة انتصر فيها جميعا . من هذه المغامرات صراعه مع أسد نيميا ، هذا الاسد الذى كان فى حجم الفيل ، وخفة الفهد ، ومكر الثعلب ، وكان يقطع الطريق ، ولا يبقى على انسان أو حيوان . وقد استطاع هرقل أن يواجه هذا الاسد ، وان يضمه الى صدره الجبار ، وان يخنقه بيديه الحديديتين ثم يسلخ جلده ويكتسى به . ومنها صراعه مع الافعوان الهائل ذى السبعة رؤوس الذى يسمى هيدرا ، فلما كلف بالقضاء على هذا الافعوان انطلق يبحث عنه بين المستنقعات حتى رأى الوحش يتقلب فى الماء كأنه الجبل ، فما كان من هرقل الا أن أرسل سهما من سهامه حتى يهيجه فيخرج الى لقائه . وخرج الافعوان يفح فحيحا يصم الآذان ، ولكن هرقل الجبار واجهه بضربات متلاحقة من سيفه البتار ، ولكن ياللعجب : كلما أطار رأسا من رؤوسه السبعة نبتت بدلها سبعة رؤوس ، وسرعان ما فكر أن يكوى مكان الرأس المقطوع بالنار ، وهكذا استطاع أن يقضى على هذا



تمثال يمثل قصة أبوللو ودوفنى ، ابوللو يستعطفها وهى تعرض عنه ، من عمل المثال الايطالى برنينى من أشهر مثالى عصر النهضة

الافعوان ويخلص الناس من شره . وقد استطاع هرقل أن يحول السيل الى اسطبلات الملك أوجياس فينظفها ، بعد أن كانت مصدرا للعلل والامراض . كما حارب شعب الامازون ، وهو شعب من النساء المحاربات ذوات البطش والقوة . واستطاع ان يحصل على تفاحات هسبريا الذهبية ، بعد أن لاقى الاهوال . وبعد أن انتصر هرقل فى جميع الاعمال التى كلف بها ، لم تتركه الالهة هيره يحيا حياة سعيدة ، ولكنها خدعت زوجته المحبوبة ، فأعطتها قميصا مسموما وصورت لها انه اذا لبس هرقل هذا القميص يبقى لها حبه طول الحياة . فلما لبس هرقل هذا الثوب تهرأ لحمه وتساقط بفعل السم ، وهكذا انتهت حياة هذا البطل بهذه النهاية المحزنة

ومن اساطير الاغريق ايضا قصة البطل «تيذيدس» و «المينوطور» ، فقد كتب على مدينة اثينا أن تقدم فى كل عام سبع فتيات وسبعة فتيان الى ملك كريت كفارة عن قتل ابن هذا الملك غيلة عندما كان فى اثينا يشترك فى مسابقات الاولومب . وكانت هذه الضحايا البشرية تقدم للمينوطور وهو حيوان مخيف مفترس ، يسكن قصر اللابيرنته المكون من الف حجرة ، والذى يضل فى طرقاته كل من يدخله . وقد تطوع البطل « تيذيدس » ابن ملك اثينا ليخلص بنى وطنه من هذا الوحش المفترس . فابحر من اثينا الى كريت مع الضحايا ، فلما وصل كريت رآته اريانة ابنة ملك كريت فأحبته ، وفكرت فى حيلة تمكنه من معرفة طريق عودته من قصر اللابيرنته فلا يضل فيه . وهكذا دخل القصر ممسكا بطرف خيط طويل ، واستطاع أن يواجه الوحش المفترس ويقتله . ويفك أسار رفيقاته ورفاقه ، ويخرج بهم من قصر التيه سالمين . ثم عادوا جميعا الى وطنهم اثينا ومعهم أريانة التى تزوجها تيذيدس . وكان هذا الحب سببا فى عودة الصفاء والمودة بين اثينا وكريت

اما الاساطير الفارسية فأشهرها ما تضمنته « الشاهنامة » ، وهى ملحمة عظيمة من الشعر تبلغ ٦٠ الف بيت نظمها الفردوسى أشهر شعراء ايران فى ثلاثين عاما

ومن القصص الشرقية ذات الشهرة العالمية قصة يوسف وزليخة ، وقصص الف ليلة وليلة ، وكليلة ودمنة ، ونوادر أبى زيد السروجى



### صورة الغلاف

هذه الصورة تمثل أبولو اله الشمس يقود عربته التى تجرها الخيول الالهية ، وأمامه ( أورورا ) ربة الفجر وهى محلقة فى الفضاء وتنثر الزهور فى طريقه ، وحول العربة سبع فتيات يرقصن رقصا رشيقا وهن يمثلن الساعات التى انقضت من الليل .

من عمل الفنان جيدو رينى Guido Reni روما سنة ١٦١٥

« يصر القدر على أن تكون له الكلمة الاخيرة ، وكلمته الاخيرة هى كلمته الاولى حين وضعك «فى طريقى»

# نزهة

بقلم السيدة صوفى عبد الله

— اذهبى عنى ... لا أريدك ... ولا أريد أن أرى وجهك مرة ثانية .. اخرجى .. اخرجى من هنا .. من الذى وضعك فى طريقى؟ .. لا أريد أن أراك .. من أدرانى أنك طاهرة كما تبدين ؟ .. من أدرانى أنك لم تكونى لشخص بل لأشخاص كثيرين؟ .. انك ستقتليننى ! .. سأموت بسببك .. اذهبى .. اذهبى .. قبل أن أقتلك ! ..

قذف سعيد بهذه العبارات ، وهو فى ثورة من الهياج عاتية ، فعيناه تقدحان بالشرر ، وجسمه يهتز كالمحموم ، وأسنانه تصطك وشفتاه ترتعدان ، وتندفع من بينهما هذه الكلمات كالفحيح ، ويكاد الدم يطفر من وجهه وقد جحظت عيناه ، فيخيل لمن يراه على هذه الصورة أن شيئا مرعبا يقف أمامه ويكاد يستلب منه حياته وهو يدافع عنها بكل ما أوتى من قوة وقدرة ، دفاع المستميت

ولكن المعنى بهذه الثورة ، لم تكن الا فتاة ضئيلة الجسم خجول فى نحو الثانية والعشرين من عمرها ، ليس فيها من الجمال المتعارف عليه شىء ، بل هى اذا قيست به كانت عادية المظهر ، وانما جمالها من ذلك النوع الذى يشع من داخلها فيكسب ملامحها حنانا وعذوبة . وقد وقفت معتمدة بظهرها على حافة مائدة ، مشتبكة اليدين ، تنظر اليه فى استعطاف ومودة ، منفرجة الشفتين عن ابتسامة حزينة ، وفى عينيها تلمع دمعتان تبذل مجهودا لتمنعهما من السقوط

ولنرجع بالزمن قليلا : الى ستة أشهر مضت ، وفى ليلة من ليالى شهر أغسطس التى تجثم فيها حرارة الجو على الصدور ، فلا يجد الانسان متنفسا يروح به عن نفسه الا الابتراد تحت رذاذ الماء المتساقط من الدش

وكانت «نزهة» رئيسة الممرضات في يوم راحتها ، وقد ضاقت ذرعا بهذه الحرارة التي لم تنفع معها ادارة المروحة الكهربائية ، ولا قطع الثلج التي كانت بجانبها في الطبق تضمخ فيها منديلها الصغير لتضعه من آن لآخر على جبهتها أثناء قراءتها لهذه القصه الممتعة لبيراندلو ، وأخيرا قذفت بالكتاب جانبا وخلعت ملابسها ثم ألقت عليها البرنس ودخلت لتبترد تحت ذلك الرذاذ الذي كانت تعشقه فتقضي تحته كل دقيقه من وقت راحتها

ولم تكن قد فرغت بعد من غسل رأسها ، حينما سمعت دقا عنيفا متواليا على باب الحمام ، ففتحته وأطلت برأسها واذا الممرضة المنوط بها رعاية المرضى في هذه الليلة ، تطلب منها وهي ترتعد أن تنزل معها فورا لأن مريض الغرفة رقم ١٣ يريد أن يلقي بنفسه من الشباك وهو في حالة هياج شديد ..

ـ مريض الغرفة ١٣؟ وهل الحجرة ١٣ بها مرضى ؟

ـ نعم لقد أحضروه اليوم صباحا في وقت راحتك

ـ ومن معه الآن ؟

ـ معه الممرضة كريمة ، ومريض الغرفة التي بجانبه .. أسرعي بربك

وكانت نزهة تتكلم وهي تضع ملابسها عليها حيثما اتفق ، ثم لمت شعرها المشعث المبتل بايشارب ورفعته الى أعلى وهرولت نازلة ، وفي أثناء نزولها سألت الممرضة :

ـ وبم يشكو ؟

ـ بيديه حروق تصل الى الكوع وكذلك فخذاه

وكان باب الحجرة موصدا ، فما أن فتحته حتى رأت أمامها رجلا في نحو الخامسة والثلاثين من عمره طويل القامه ، عريض المنكبين ، أسمر الوجه قاتمه ، جالسا على مقعد بجوار الفراش ورأسه منحن على صدره ، وقد وضع ذراعيه الملففين بالاربطة على مسندي المقعد . وبجواره وقف مريض الغرفة المجاورة على أهبة الاستعداد لأي حركة تبدر منه ، كذلك وقفت الممرضة كريمة مرتبكة بجانب النافذة ، خوفا من أن يعيد الكرة مرة أخرى

وأمسكت « نزهة » باللوحة المثبتة على سرير المريض ثم قرأت كل ما أرادت معرفته عنه وعن مرضه ووضعتها في مكانها بكل هدوء . وطلبت من مريض الغرفة المجاورة أن يذهب لفراشه ، ثم صرفت الممرضتين . وأخيرا اقتربت منه وخاطبته قائله :

ـ وأخيرا يا سعيد لماذا نزلت من فراشك على هذه الصورة مع انك ممنوع من التحرك ؟...

ولم يكن سعيد وهو اسم المريض ـ كما قرأته في اللوحة المثبتة بالسرير ـ قد بدا عليه انه شعر بما يدور في حجرته ، فلما سمعها تنطق باسمه هكذا مجردا رفع رأسه ونظر اليها،

واذا بوجهه يتقلص وعيناه تصطرعان بشتى المعانى من الذعر ، والالم ، والحنين ، وبحركة لا ارادية قفز على رجليه مبتعدا عنها قائلا بصوت مرتعب :

ـ ماذا !... أنت ؟...

وجمدت نزهة فيمكانها لسماعها هذه الكلمات ، وحارت ما الذى يقصده بها ، ونظرت اليه مستفسرة ولكنها رأت أساريره ترتخى وتتخاذل ، ثم ارتمى على فراشه ، وراح فى نوبة من التشنج والبكاء العنيف لم تنفع معها الا استدعاء الطبيب الذى حقنه بحقنة مهدئة ، ولم يتركه الا بعد أن تأكد انه راح فى سبات عميق

وتغامزت المرضات على رئيستهن، وأصبحن يرين فى كل حركة معنى، وكل لفتة اشارة ، أما هى فلم تكن تعبأ بهن لأنها كانت فى شغل عنهن، بهذا الذى أصبح جزءا من برنامجها اليومى . فلم يكن سعيد يأكل الا من يدها ، ولم يكن ينام قبل أن يراها، ولايطلب شيئا من أحد الا منها وان اتفق وأحضرته أخرى يمتنع امتناعا باتا عن تناوله ، وأصبحت هى التى تغير له على جراحه ، وكانت تقضى معه وقت فراغها تسليه بمختلف الاقاصيص عن المرضى ونوادرهم ، فكان أحيانا يضحك،وأحيانا تنتابه نوبات من الشرود المفاجىء ، فلا أقاصيصها ولا أي شيء آخر يمكن أن يرده عن حالة الانقباض والحزن التى تسيطر عليه ، فينهال عليها سبا وتقريعا ويطلب منها أن تفارقه ولا تريه وجهها مرة أخرى،ثم ينكفىء على وجهه ويروح فى نوبة من البكاء المرير الى أن يهدأ ، فلا تلبث أن تجده يطلبها ، وحينما تغالب نفسها وتذهب ، يرتمى على يديها يقبلهما طالبا منها الصفح والغفران لأنه لم يكن فى وعيه ، فلا يسعها الا أن تصفح وتغفر ...

وبدأ دور النقاهة ، ولم يبق الا أسبوع ويترك « سعيد » المستشفى، ورأت « نزهة » نفسها غارقة فى حب هذا الرجل الذى لاتعرف عنه سوى أنه سودانى المولد ، أحضروه من السودان بالطائرة على أثر انفجار الموقد فى منزله ، وأصابته بهذه الحروق التى كادت تودى بحياته . أما بغير ذلك فلم يكن يتكلم أو يخوض فى تفاصيل مأساته . ولم يكن يزوره أحد سوى صديق له حينما كان يراها مقبلة لايلبث أن يستأذن فى الانصراف ، فلم تكن تجتمع به قط

وحارت « نزهة » فى كنه هذا الحبيب الصامت ، فكثيرا ما كانت تخوض معه فى حديث عن السودان وعن أبنائه وما يمتازون به من الشهامة والصدق ، وبسالتهم فى الحروب التى خاضوها . ثم تسأله عن بيئته ، فلاتجد منه جوابا شافيا، بل غالبا ما كان ينصرف بالحديث الى

موضوعات أخرى بعيدة كل البعد..

وأخيرا أمر له الطبيب بالخروج. وفي عشية الليلة الاخيرة حضرت نزهة لترفع عن يديه اللفائف وتغيرها بأخرى ، وحينما فرغت طلب منها أن تجلس قليلا لأن عنده مايقوله لها . فوعدته أن تفرغ من دورتها على المرضى ثم تأتي اليه

وأنهت عملها سريعا ، ورجعت اليه بقلب واجف ، فطلب اليها أن تجلس ، وجلس قبالتها ثم بدأ في سرد كل ما كانت تتلهف على سماعه طوال هذه المدة التي قضاها في المستشفى

□

« أتذكرين يوم دخلت على أول مرة وذهلت حينما رأيتك ؟...

لقد كنت صورة طبق الاصل لتلك التي ملكت علي فؤادي... فأنا وحيد والدين أب مصري استوطن السودان وأم سودانية ، ولم ينجبا غيري ، ورغم ذلك فقد ربياني تربية استقلالية ، وغرسا في نفسي حب الوطن وبذل النفس والروح في الذود عنه واعتباره جزءا لايتجزأ عن مصر .. ولقد خضت معارك كثيرة مع المجاهد عبد العزيز في حرب فلسطين ، وكنت رئيس كتيبة الفدائيين السودانيين ، وكنت على رأس الذين جاهدوا ضد الاستعمار وكلل الله مسعانا بالنجاح

« وفي فترة من فترات الهدنة ، طلب مني والدي أن أتزوج ، فهو يريد أن يرى لي ابنا يفرح به قبل نزوله الى القبر ، وكنت عند حسن ظنه ، فكانت الفتاة التي اخترتها ابنة صديق مجاهد مات في سبيل وطنه . وكانت مشهورة بالشهامة وحب الخير ، وقد كانت صورة منك في الملامح والجسم والصوت واللفتات ، وهذا هو الذي جعلني أبهت حين رأيتك تدخلين علي أول مرة ...

« وقد كانت لي نعم الزوجة الوفية ، فأحالت منزلنا الى جنة صغيرة .. وكانت نعم الابنة لوالدي اللذين لم ينجبا غيري ، فأحببتها حبا ملك شغاف قلبي ، ولم أكن أطيق الابتعاد عنها ، فقد كانت أنيسي ، وجليسي ، ومشيرتي ، وكل ما لي في الحياة ، وأنجبت لي طفلين في سنتين كانا بمثابة زهرتين يانعتين أحالا منزلنا الى جنة من النعيم

« وفي صبيحة يوم وكان بي توعك فلم أذهب الى عملي ، قامت مبكرة لتصنع لي كوبا من الشاي ، واذا بالموقد ينفجر فيها فتشتعل ملابسها فلم تصرخ وتطلب النجدة ولو كانت فعلت لأمكننا انقاذها في الحال ، ولكنها جعلت تطفيء نفسها ظنا منها ان المسألة بسيطة تتولاها دون ازعاجنا ، وحينما لم تفلح جرت مسرعة تطلب نجدتي ، وقد كانت عبارة عن شعلة ، فما كان مني حين رأيتها على هذه الحالة المروعة الا أن أرتمي عليها بنفسي لما أصابني من



وكانت « نزهة » تبلل منديلها لتضعه على جبهتها أثناء قراءتهاقصص بيراندلو

ذهول وخبال شل تفكيرى لهول المفاجأة ، وجعلت أحاول اطفائها بيدى وجسمى ولكنها أبعدتنى عنها وارتمت على الفراش ، فصرخت بصوت مرعب وصحا من بالمنزل وهاج الدار وماج على أثر صيحات أمى وأبى ، وصراخ الاطفال ٠ وأخيرا اطفأوها ووصلت الاسعاف وأخذتنا فاقدى الرشد »

وسكت سعيد مطرقا برأسه ذاهلا عن كل ما حوله ، ولما مضت فترة طويلة ولم يرفع رأسه ، وضعت « نزهة » يدها على يده برفق ثم قالت:

ـ وبعد ؟٠٠

فرفع وجهه ونظر اليها ، واذا به محتقن يكاد الدم يطفر من عينيه ثم قال بمرارة :

ـ لقد ماتت ٠٠ ودفنوها ٠٠ قبل أن أفيق من غيبوبتى ٠ وصحوت فلم أجدها ، وحاولت الانتحار ، ولم أكن أتصور أن أعيش فى عالم ليست هى فيه ، ولم يفلح معى طب ولا علاج ، وأخيرا لم يجدوا بدا من ارسالى للعلاج هنا فى مصر »

ونظر اليها طويلا كمن يستعيد ذكريات بعيدة ثم قال :

« وكان اليوم الذى رأيتك فيه هو أول أيامى فى القاهرة ، فقد حضر معى والدى وهذا الصديق الذى كنت تريته عندى ، وأوصاه بى فهو أكثر من أخ ، ثم رجع فى نفس اليوم ٠ وقد صور لى الوهم حين رأيتك انها بعثت فيك وأن الله عوضنى بك عنها ، ولكنى كنت أثور على نفسى وأتهمها بالجحود والنسيان فتنتابنى النوبات الفجائية التى كنت تصطلين بها من وقت لآخر ٠٠

« ولقد حاولت كثيرا أن أقصيك عن تفكيرى ٠٠ وقضيت الليالى الطوال فى مناقشة نفسى واقناعها بالابتعاد عنك ، ولكن لم يكن لكل ذلك من جدوى ، لان حبك تمكن من قلبى ونفسى وأصبحت قطعة من ذاتى ، ولا غنى لى عنك بعد تلك الفترة التى عرفتك فيها عن كثب ٠ وها قد انتهت مدة اقامتى فى المستشفى ، فهل أطمع أن أراك خارج المستشفى كلما أمكنك ؟٠٠

فنظرت اليه نزهة برهة ثم قالت:

ـ وهل ستمكث هنا فى القاهرة؟

ـ نعم فان صديقى اكترى شقة صغيرة مؤثثة وسأمضى هنا معه بعض الوقت ٠٠

ولم تكن « نزهه » بعد أن تغلغل حب سعيد فى كيانها كله ، بقادرة أن ترفض له هذا الطلب الذى كان بمثابة التتويج لحبها الذى كبتته طويلا ، فما كان منها الا الموافقة ٠ وتلاقت الاعين وانضمت الشفاه فى قبلة طويلة حارة

وأصبحا يتلاقيان أسبوعيا ، ثم يوميا ، ولم يتركا مكانا الا ارتاداه ، وكان عنيفا فى حبه ، فأحيانا مقبلا عليها ، وأحيانا أخرى غاضبا مزمجرا قاسيا ، وكان شكاكا بالغ الغيرة يستثيرها دائما بأن مهنتها عرضة لتعرفها بأناس كثيرين ، فكانت تهدئه

بطريقتها الساحرة ، فأحيانا يقتنع، وأحيانا أخرى يثور ، ويلعن،ويشتم ويتركها : ثم لايلبث أن يندم ويطلب صفحها واعدا بأغلظ الايمان الا يرجع لمثل هذه الاعمال مرة أخرى

□

وفي يوم طلب منها أن توافيه ليتفقا على موعد لاعلان الخطبة،وكان اللقاء في سميراميس ، وبعدأن قضيا وقتا ممتعا واتفقا على كل الاجراءات التى ستعمل لهذه المناسبة السعيدة، طلب منها أن تذهب معه الى منزله لاحضار معطفه لأنه يشعر ببعض البرودة وليذهبا بعدذلك الى السينما فوافقت « نزهة » وانطلقا مرحين..

وفي أثناء الصعود الى مسكنه قابلهما في المصعد شخص ما انبرى نزهة حتى بادرها بالسلام وسألها عن حالها ، وأين هى الآن ، فكانت تجيبه باقتضاب وقلبها يكاد ينخلع من عاقبة هذه المقابلة.وأخيرا وصل المصعد وفتح سعيد باب شقته وادخلها ودخل خلفها وما أن أغلق الباب حتى ثار هذه الثورة العاتية التى رأيناها فى بداية قصتنا ، ولم تفلح فى تهدئته واقناعه بأن هذا الشخص كان من مرضاها فى يوم من الايام ، وانه لم يكن بينهما أى شىء

ونزلت نزهة تجر أذيال الفشل، وانهارت سعادتها بعد أن كانت على قاب قوس منها ، ورجعت لتوها الى المستشفى متكسرة حزينة تطوى نفسها على ألم مرير ، وفي أثناء خلعها لملابسها شعرت بغثيان ومغص مفاجىء بطريقة لم تعهدها من قبل فانطرحت على الفراش تتلوى من الالم، وضغطت على الجرس. فحضرت الممرضة، فطلبت اليها أن تستدعى الطبيب النوبتجى ، وما أن كشف عليها حتى نقلوها الى حجرة العمليات لاستئصال الزائدة الدودية

□

واجريت العملية .. ونقلوها الى غرفتها .. وكان أول ماوقعت عليه عيناها حين أفاقت من البنج . وجه سعيد الملهوف وعينيه المثبتتين على وجهها فى جزع وفرح وحنان

وأشارت احدى الممرضتين الى زميلتها بطرف عينها فتسللتا خارجتين. وامتدت يده الى يدها وبصوت أجش قال لها :

— يصر القدر على ان تكون له الكلمة الاخيرة : وكلمته الاخيرة هى كلمته الاولى حين وضعك فى طريقى . انك هى الاخرى .. تلك التى أخذها منى ، من بين يدى هاتين ، فأخرجها من باب الموت.ولكن ليردك الى من هذا الباب نفسه . اليوم عفوت عنه بنعمته الحاضرة ، عن سوأته الماضية

ولم تزعجها ومضات الشرر هذه المرة من عينيه ، لأن الدمع الذى ترقرق فيهما تساقط على يديها وهو يمرغ فيهما وجهه

وبعد أسبوع من ابلالها خرجت من المستشفى ويدهافى يده متعانقتين فى طريقهما الى المطار

بطولة سورية

# كرابيج حلب

## بقلم الأستاذ سيب جاماني

**قصة بطولة شعب أبى الاستعمار ، وفضل الفناء في سبيل الحرية**

**الرجال** والنساء، الشيب والشبان، الاغنياء والفقراء ، المترفون المدللون والكادحون المجرومون ، المسلحون والعزل من السلاح، كلهم بلا استثناء، كلهم بلا تردد ولا احجام ، خاضوا غمار الثورة من أجل الحرية ، ومشوا الى النصر أو الى الموت غير حاسبين حسابا لغير المبدأ الذى ثاروا من أجله ، والهدف الذى وضعوه نصب عيونهم ، وأقسموا أن يبلغوه أو يموتوا دونه ...

فى دمشق ، المدينة العريقة ، اختمرت فكرة « الثورة العربية » سنة ١٩١٦ ، والى دمشق اتجهت كتائب الثائرين ، بعد أن تجمعت جموعهم فى أرض الحجاز حيث أعلنت الثورة ، ورفع لواءها الحسين بن على شريف مكة

وفى دمشق ، المدينة العريقة ، اختمرت فكرة « الثورة السورية » سنة ١٩٢٥ ، والى دمشق اتجهت كتائب الثائرين ، بعد أن تجمعت جموعهم فى جبل الدروز وحوران ، حيث أعلنت الثورة ورفع لواءها سلطان باشا الاطرش ، زعيم الدروز الحربى

وحول دمشق ، المدينة العريقة ، وفى غوطتها الغناء ، وعلى أحيائها الغاصة بالسكان ، وفى أسواقها التاريخية ، وعلى قصورها ومنازلها ومخازنها ، ركز الفرنسيون ، أصحاب الانتداب فى سورية، أعمالهم الحربية ، وصبوا قذائفهم المدمرة ، وأطلقوا العنان لجنونهم الاستعمارى

خمسون ألفا ، ثم ماية الف ، ثم مايه وخمسون الفا أو أكثر من جنود الدولة الباغية ، زحفوا الى جميع الجهات لاطفاء نيران الثورة المندلعة فى كل مكان ، واخماد الاصوات الهاتفة للحرية والاستقلال !

قامت الثورة السورية الكبرى فى جبل الدروز فى الخامس والعشرين من شهر يوليو – تموز – ١٩٢٥

وتوالت الشهور

ومرت سنة ١٩٢٦ ، ووفدت بعدها سنة ١٩٢٧، والثوار يقاتلون، والفرنسيون يدفعون بالنجدات الى الميادين نجدة بعد نجدة

وتسابق السوريون فى حلبة الشرف، وتباروا فى ميادين التضحية،

لا فرق في ذلك بين طبقة وطبقة ، وبيئة وبيئة ، ومدينة وقرية !

▱

كان اسمه « أبو داوود » ذلك الرجل الذي أقص عليك الآن قصته، وأروي لك ضروب بطولته ، في خلال تلك الثورة السورية التي يعد فيها أمثال أبي داوود بالعشرات والمئات ...

جاء من حلب عاصمة الشمال ، الى دمشق ، حيث انصرف الى صناعة نوع من الحلوى اشتهرت به مدينته، وعرف باسمها : «كرابيج حلب !» ، شكله جميل ، وطعمه لذيذ ، وثمنه زهيد ، ذلك اللون من الحلويات الحلبية ، وكلها زهيدة الثمن ، لذيذة الطعم ، جميلة الشكل

وأصوات الذين ينادون عليها ، كصوت أبي داود ، يداعب السمع بأنغام موسيقية ، كأنها أنشودة في تسبيح الخالق ، لا نداء على سلعة حلبية !

ــ كرابيج صنع الحوريات ! وارد الجنة ! كرابيج حلب !

هذا بعض ما كان ينشده أبو داوود ... وهذا أيضا :

ــ كرابيج حلب .. ! ما ألذ منها غير كرابيج حلب ! ..

والناس يشترون من أبي داوود كرابيجه اللذيذة ، في الطريق ، على أبواب البيوت ، أمام الدكاكين ، لان أبا داوود بائع متجول ، يطوف المدينة من الصباح الى المساء، ويخص كل حي من أحيائها بيوم من أيام الاسبوع الستة ، لانه يرتاح في اليوم السابع منها ، ويخرج مع زوجته وابنه لقضاء ذلك اليوم بين الحدائق ، على ضفاف بردى !

زوجته تصنع الكرابيج ، وهو يبيعها ، في وعاء نظيف لامع ، عليه غطاء من الحرير الابيض الناصع ، والوعاء يفرغ ويمتلىء مرتين أو أكثر في اليوم الواحد

فكرابيج أبي داوود معروفة مشهورة ، لا تعلو عليها كرابيج أخرى ، لا في دمشق ، ولا حتى في حلب نفسها !

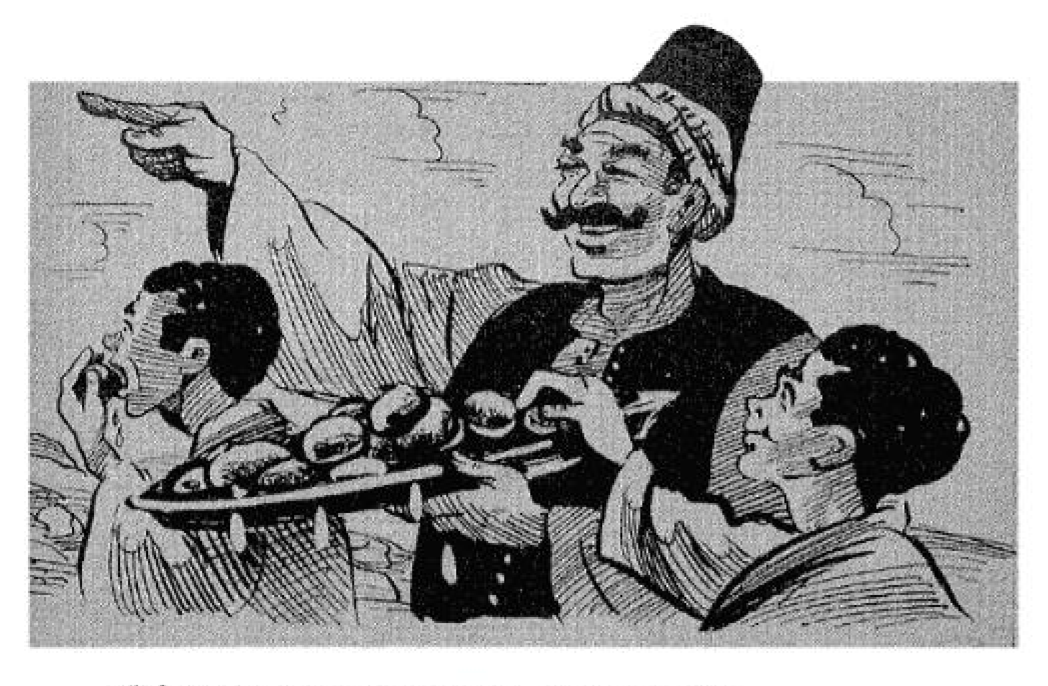
▱

وداوود ــ ابن بائع الكرابيج ــ صبي ذكي نشيط ، يتعلم صناعة التطعيم بالصدف ، على يدي واحد من أمهر الفنانين المتخصصين فيها

كان الصبي في الثانية عشرة من العمر ، يوم انتفضت سورية انتفاضتها الرائعة ، وهبت ملبية دعاء الحرية ، وقد بحث كل من أبنائها عن أداة يمكن استخدامها في الهجوم أو الدفاع : عن بندقية ، عن سيف أو خنجر ، عن فأس أو هراوة ، عن عصى غليظة ... أو عن سكين من سكاكين المطابخ !

وانطلق الرجال ، كبارهم وصغارهم ، الى حيث مراكز التجمع، وتأليف العصابات، وتوزيع الوحدات الثائرة ، داخل المدينة حيث حصنت الاحياء وأقيمت فيها المتاريس ، وخارج المدينة في ثنايا الغابات الكثيفة المحيطة بها

ولحق الصبيان بالرجال ، ولم يحاول الآباء أن يثنوا أبناءهم عن



ودفعت الحماسة بالصبيان الى الامام ، وقد حولهم الخطر الى أبطال

عزمهم ، ولم يحاول الاخوة الكبار منع اخوتهم الصغار من هجران البيت أو المدرسة ، للانضمام الى المجاهدين

وفعل داوود الصغير ما فعله مئات غيره من صغار السوريين في تلك الثورة الشاملة الجامحة ، ولكن ما فعله داوود كان ابتكارا لم يسبقه اليه أحد من الكبار أو الصغار

كان أبوه قد أهداه طبلا صغيرا ليلعب به في الحوارى ، وكان الطبل بين يدى داوود يدوى من وقت الى آخر ، في مقدمة « طابور » من الصبيان ، يقلدون العساكر في مشيتهم ، وقد حملوا العصى والقضبان كالسيوف والبنادق

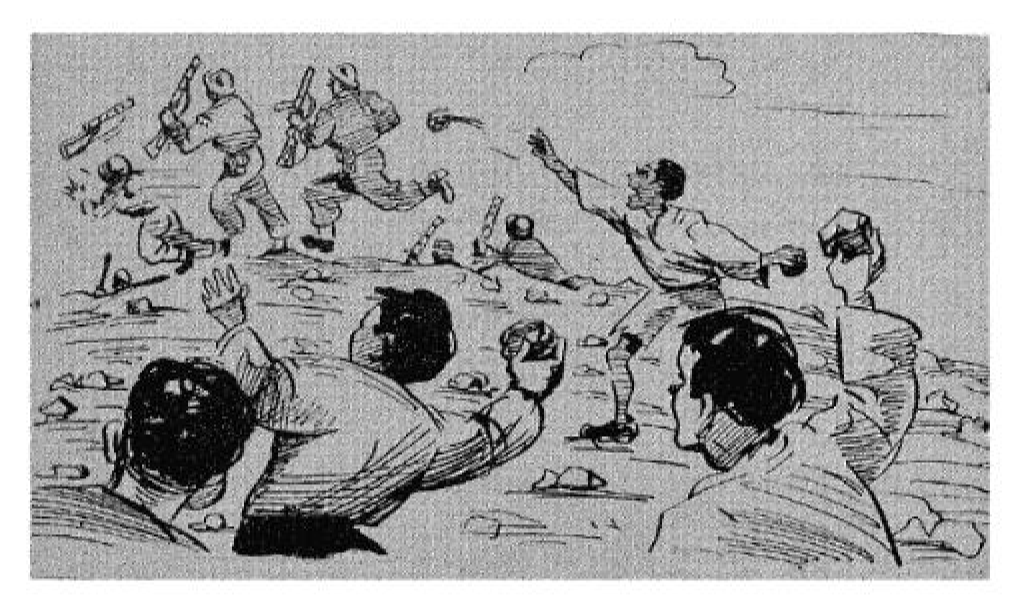
على رأس تلك الكتيبة ، أو ذلك الطابور ، مشى داوود الحلبي الى القتال !

نعم ، الى القتال !

فقد تفاهم صبيان الحارة فيما بينهم على أن يلعبوا دور العساكر بصورة جدية ، وأن يشتركوا في الثورة ضد الفرنسيين ، مثل آبائهم ، ومثل اخوتهم ، ومثل أقاربهم الذين حملوا السلاح وهجروا البيوت ...

وبين المناظر الرائعة التى أصبحت دمشق مسرحا دائما لها ، منذ صيف تلك السنة العظيمة ، سنة ١٩٢٥ ، لم يكن منظر الصبيان الثائرين أقلها روعة !

الاشتباكات بين المجاهدين والجند أصبحت متوالية متماسكة : في داخل



لتغني النداء الى : « كرابيج حلب ! ما احلى منها غير الموت ! »

المدينة وفي خارجها ، في الليل وفي النهار ، على أزيز الرصاص المتواصل الرصاص الذي وصفه شاعر شعبي بقوله :

«رصاص يمن مثل عن الربابة !»

مني الفرنسيون بهزائم مروعة ، وتلقوا من الثائرين ضربات مؤلمة ، وأصيبت سمعتهم بنكسة أدمت كبرياءهم ، فضاقوا بالثورة ذرعا ، وفقدوا الرشد وأفلت منهم زمام أعصابهم ، فراحوا يصبون نيران مدافعهم على أحياء دمشق بلا فرق ولا تمييز

ولما شفوا غليلهم من العاصمة الثائرة الباسلة ، وتوقف قصف المدافع ، خرج جنودهم من الثكنات مدججين بالسلاح ، محاطين بالوسائل الواقية ، تتقدمهم وتتبعهم السيارات المصفحة ، وراحوا يهاجمون الاحياء المنكوبة ...

في يوم من تلك الايام الغراء ، التي بلغت فيها البطولة عند سكان المدينة أسمى درجاتها ومعانيها ، أقدم أبو داوود ، وأم داوود ، وداوود ، والرفاق الثائرون الصغار ، على التضحية بأنفسهم في سبيل وطنهم !

الحي يهاجم من جميع الجهات ، لان بعض القناصة من المجاهدين قد لجأوا اليه ، واعتصموا فوق سطوحه ، واشتبكوا في قتال مع كتيبة من

الجنود الفرنسيين والسنغاليين

وخرج داوود ورفاقه ، لمهاجمة العدو من حيث لا يحسب للهجوم حسابا ، واشغاله عن مواصلة الاشتباك مع الرفاق الكبار

دوى فى الحوارى قرع الطبل الصغير ٠ ومشى الصبيان فى صف منتظم ، وتقدمهم ضارب الطبل ، واختلط بهم أبو داوود وعلى رأسه الكرابيج فى وعائها اللامع ، وأم داوود توزع عليهم الحلوى اللذيذة ، على الانغام المعروفة :

ـ كرابيج حلب ! ما الذ منها غير كرابيج حلب !

ولكن النيران اقتربت ، وأزيز الرصاص يعلو الرؤوس ، والحماسة تدفع بالصبيان الى الامام وقد حولهم الخطر الى أبطال ، فتغير صوت أبى داوود ، وتغيرت لهجة أم داوود ، وتغير النداء الذى ألفته الآذان :

ـ كرابيج حلب ! ما أحلى منها غير الموت ! ما تخاف يا داوود ! ما تخاف ياعمر ! ما تخاف ياجرجى !

ولكن القوة الزاحفة على الحى تملك من معدات الهلاك ما لا يتوفر مثله عند المجاهدين المعتصمين على السطوح ، وما لا أثر له بين أيدى الصبيان رفاق داوود حاملى القضبان والاعلام !

وانهمر الرصاص كالمطر ، من أفواه الرشاشات الفرنسية ،ومزقت القذائف الصدور ٠٠٠ صدور المجاهدين الصغار ، صدور الاطفال الذين مشوا الى الموت وهم لايتصورون ان الموت يمشى اليهم

سقط منهم ثمانية ٠٠٠

وذهل الباقون ، فألقوا القضبان والاعلام من أيديهم ، ومالوا على رفاقهم يواسونهم ويمسحون الدماء عن صدورهم ٠٠٠

وصوت أبى داوود يدوى :

ـ كرابيج حلب ! ما أحلى منها غير الموت ! ما تخاف ٠٠٠ يا ٠٠٠

ولكن نداء أبى داوود اختنق الآن فى حلقه

مات أبو داوود ، وماتت أم داوود ، وبين الاثنين ، بين الأب والأم ، سقط الابن ضارب الطبل ٠٠٠

وحول الثلاثة ، تناثرت الجثث ، وتصاعدت أنات الجرحى والمصابين !

وفى الوعاء ، الوعاء النظيف اللامع ، لم يبق من الكرابيج غير القليل ، ولكن الدماء حلت فيه محل الحلوى اللذيذة

دماء الشهداء من الابطال المجاهدين ٠٠٠

دماء الرجال والنساء ، دماء الكبار والصغار ، التى افتدى بها السوريون فى تلك الثورة بلدهم الساعى الى العلى ، الغيور على عزته ، المحافظ على كرامته ٠٠٠

البلد الذى تسابق أبناؤه الى القتال فالتضحية

والذى أثبت فيه بائع كرابيج حلب ان الموت فى سبيل الوطن الذ من الحلوى !



# المشرد

للشاعر على هاشم رشيد

**قصة الآلام الانسانية ، وقصة الطغيان والظلم والاستعمار فى فلسطين**

لم لا أعيش بموطنى فى ظل أجنحةِ السلام
وإلامَ أبحث عن غدى جَلْداً فيصدمنى الظلام
وعلام أقضى العمر مقهوراً بسوداء الخيام
أنا إن حقدتُ ورثت من حقدى فانى لا ألام

* * *

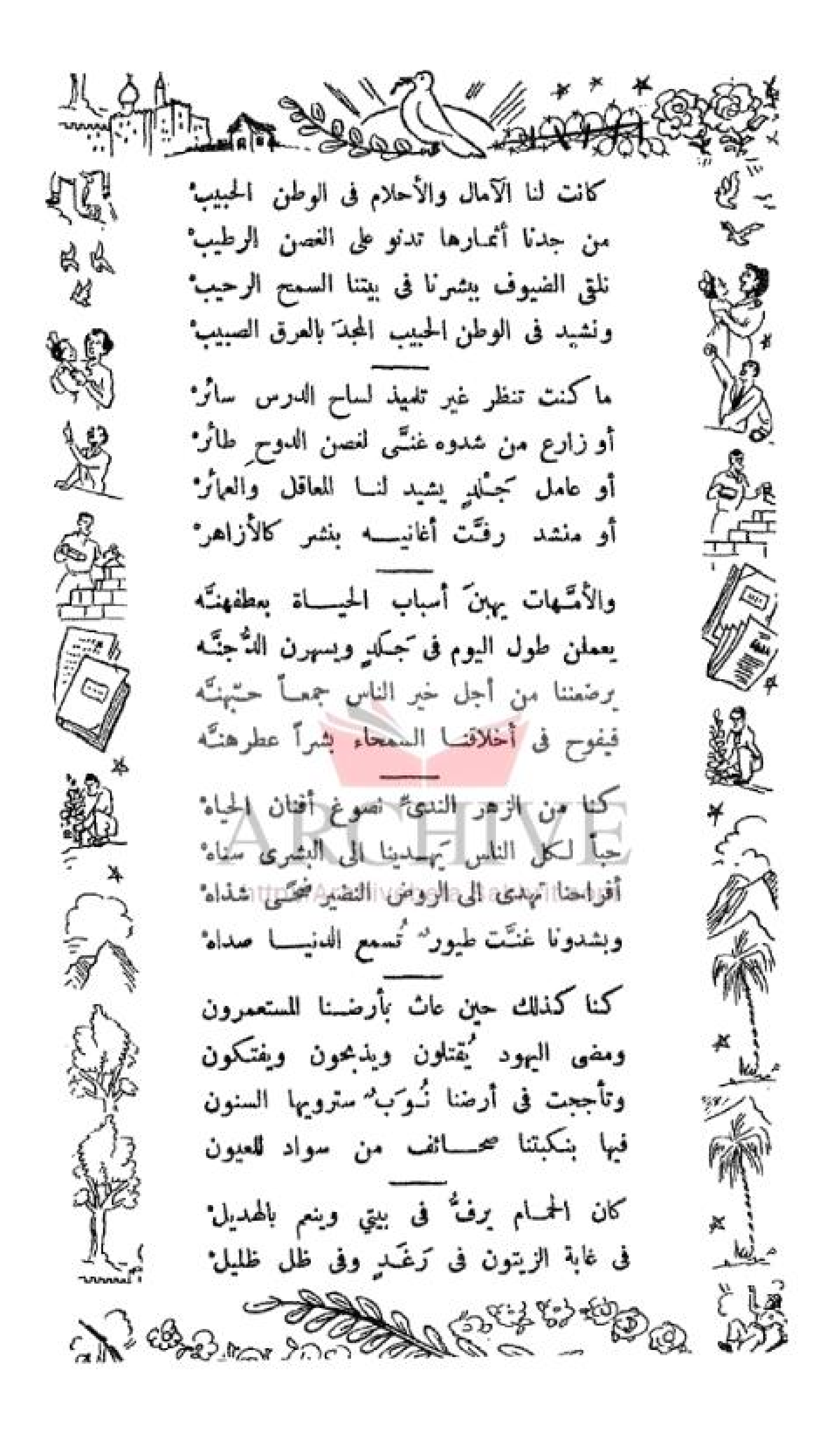
أنا يا أخى الانسان مثلك كان لى وطن حبيب
قد كنت فيه أعيش فى رغد وفى عيش رحيب
وبه الحدائق والجبالُ الشمُّ والمرج الخصيب
وبه الأمانى العذاب وشمس عزٍ لا تغيب

---

أنا يا أخى الانسان من حقى بأن أقضى الحياه
حراً كما تحيا ويحيا الكل فى كَنَفِ الإله
فى موطنى ألقاك بالبشرى وتسعد بى رُباه
وأبثكَ الحبَّ الذى ما كنت تعرف لى سواه

---

أتراك تعرف يا أخى الانسان ما معنى الضياع
أتراك تشعر ما أقاسى من شقاء والتياع
أنا واثق من نُبْلِ حسك إن دعا للخير داع
فاليك قصة موطنى المنكوب فى هذى البقاع



كانت لنا الآمال والأحلام فى الوطن الحبيب
من جدنا أثمارها تدنو على الغصن الرطيب
نلقى الضيوف ببشرنا فى بيتنا السمح الرحيب
ونشيد فى الوطن الحبيب المجدَ بالعرق الصبيب

---

ما كنت تنظر غير تلميذ لساح الدرس سائر
أو زارع من شدوه غنّى لغصن الدوحِ طائر
أو عامل جَلْدٍ يشيد لنا المعاقل والعمائر
أو منشد رفّت أغانيه بنشر كالأزاهر

---

والأمّهات يهبنَ أسباب الحياة بعطفهنّه
يعملن طول اليوم فى جَلَدٍ ويسهرن الدُّجنّه
يرضعننا من أجل خير الناس جمعاً حبّهنّه
فيفوح فى أخلاقنا السمحاء بشراً عطرهنّه

---

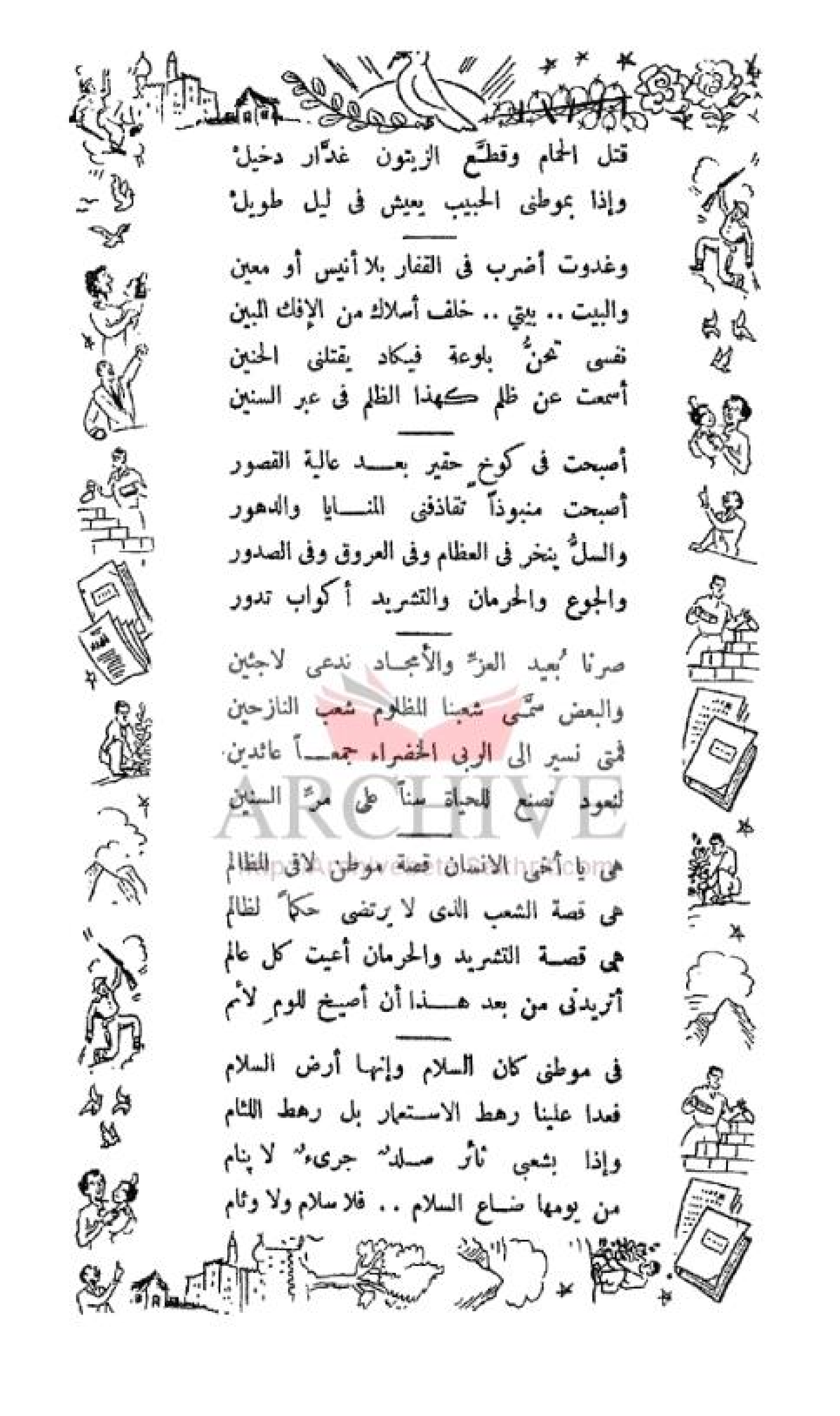
كنا من الزهر الندىّ نصوغ أفنان الحياة
حباً لكل الناس يَهدينا الى البشرى سناه
أفراحنا تهدى الى الروض النضير مُحَيَّا شذاه
وبشدونا غنّت طيورٌ تُسمع الدنيا صداه

---

كنا كذلك حين عاث بأرضنا المستعمرون
ومضى اليهود يُقتلون ويذبحون ويفتكون
وتأججت فى أرضنا نُوَبٌ سترويها السنون
فيها بنكبتنا صحائف من سواد للعيون

---

كان الحمام يرفّ فى بيتى وينعم بالهديل
فى غابة الزيتون فى رَغَدٍ وفى ظل ظليل



قتل الحمام وقطّع الزيتون غدّار دخيلْ
وإذا بموطنى الحبيب يعيش فى ليل طويلْ

---

وغدوت أضرب فى القفار بلا أنيس أو معين
والبيت .. بيتي .. خلف أسلاك من الإفك المبين
نفسى تحنُّ بلوعة فيكاد يقتلنى الحنين
أسمعت عن ظلم كهذا الظلم فى عبر السنين

---

أصبحت فى كوخ حقير بعـد عالية القصور
أصبحت منبوذاً تقاذفنى المنـايا والدهور
والسلُّ ينخر فى العظام وفى العروق وفى الصدور
والجوع والحرمان والتشريد أكواب تدور

---

صرنا بُعيد العزّ والأمجاد ندعى لاجئين
والبعض سمّى شعبنا المظلوم شعب النازحين
فمتى نسير الى الربى الخضراء جمعـاً عائدين
لنعود نصنع للحياة سناً على مرّ السنين

---

هى يا أخى الانسان قصة موطن لاقى المظالم
هى قصة الشعب الذى لا يرتضى حكماً لظالم
هى قصـة التشريد والحرمان أعيت كل عالم
أتريدنى من بعد هـذا أن أصيخ للوم لائم

---

فى موطنى كان السلام وإنها أرض السلام
فعدا علينا رهط الاستعمار بل رهط اللئام
وإذا بشعبي ثائر صلد جرىء لا ينام
من يومها ضاع السلام .. فلا سلام ولا وئام

# قصة عظيم حاربه قومه

# فولتير نبي الحرية

**ليس من الغريب ان يحارب الفرنسيون حرية الجزائر واحرار الجزائر : فمن قبل حاربوا نبي حريتهم فولتير واخرجوه من وطنه ...**

**ما** من رجل علم الكثيرين من معاصريه ، ومن بعد عصره ، أن يفكروا ، وأن يستغلوا قواهم العقلية ، مثل فولتير ، وما من قوة استطاعت أن تطفىء ذلك الضياء الذي انبثق في أنحاء أوربا نتيجة لتعاليم فولتير ، والذي لا ينفك يتألق في سمائها

ولقد كان أولئك الذين لايحبون أن يفكر الانسان لنفسه ، والذين يحبون أن يظل العقل البشري جامدا ، يقولون أن فولتير رجل شاذ ، لانه كان يصر على أن من حق الانسان أن يشك فيما لايستطيع أن يؤمن به ، والذين لم يطالعوا حرفا واحدا مماكتبه فولتير يؤكدون انه كان رجلا ملحداً ، على أن شعر فولتير كان خير جواب على هذا الاتهام ، وان كان لم يعن بتوجيهه الى هؤلاء القوم ، وانما كان يتوسل به الى الله ، انه يقول :

يا الهي الذي لا نراه ، والذي تعلن عن وجوده أعماله

يا الهي ، استمع الى كلماتي الاخيرة

اذا كنت قد اخطأت ، فانما كنت ابحث عن قانونك

وقد يضل قلبي ، ولكنه عامر بك

وما كان هذا الحادا ، ولكنه نداء قلب خاشع مستكين ، وما تهجم فولتير على عقيدة دينية ، ولكنه كان يسخر من الاضاليل المبتدعة التي لا تمت الى العقائد بصلة

ولد الطفل الذي دعي بعد ذلك باسم فولتير ( وهو الاسم الذي عرف به في كتاباته ) في مدينة باريس يوم ٢١ نوفمبر من عام ١٦٩٤ ، وسمي فرانسوا ــ ماري أروا ، وتوفيت أمه بعد سبع سنوات من ولادته ، وكانت صحته منذ بداية عهده في هذه الحياة سيئة ، ولم يستطع على مر الايام أن ينفض عن نفسه هذا الاعتلال الصحي ، كان طفلا نحيف الجسم ذا ابتسامة شيطانية ، شديد الجاذبية ، وله ولع غير طبيعي بدروسه



فولتير

ولما بلغ السابعة عشرة من عمره أعلن انه اعتزم ان يصبح من رجال الادب ، وكأنما كان المداد يجرى فى عروقه ، فقد كان الشعر والمسرحيات تتدفق منه فى غير توقف

وكان أبوه رجلا من الطبقة المتوسطة ، يقترب قليلا من طبقة الاثرياء ، وكان طموحا من الوجهة الاجتماعية ، واراد ان ينقذ ابنه من حياة مهينة حين دفع به الى مكتب محاماة ، ولكن الشاب فولتير اظهر فشله فى هذه الناحية ، فألحقه أبوه بالسلك السياسى وبعث به الى هولندا ، وسرعان ما حطم اول قاعدة فى عمله السياسى حين فر مع فتاة ، فعاد الى وطنه يحمل هذه الوصمة ، ومع هذا فقد كان لاينفك يريد ان يكتب ، وصاح أبوه فيه : « انك بالكتابة ستموت جوعا » وكأنما أراد ان يساعد القدر فى مهمته ، فحرم ابنه من الميراث ، وما خاب تنبؤ كما خاب تنبؤ أبيه ، ففى خلال عشر سنوات نجح فولتير نجاحا ماليا فاق احلام أى شاعر

ولقد كان من اكبر عوامل نجاح فولتير ما عمد اليه الرقيب من مصادرة كل كتب فولتير تقريبا ، وما اتبعه رجال البوليس من وقف تمثيل مسرحياته فى الليلة الثالثة من عرضها ، وكان من نتيجة ذلك ان كانت المسارح تغص بالباريسيين فى ليالى الافتتاح ، وان كتبه كانت تباع وتقرأ كأنها مطبوعات صادرة من مؤسسة تختفى تحت الارض عن اعين الرقباء ، وتسربت الكتب الى الاقطار المجاورة ، فطبقت شهرة فولتير هذه الآفاق الجديدة ، وكانت التهمة الرسمية الملصقة به انه يفسد الاخلاق والمبادىء العامة ، ولكنها لم تشر أية اشارة الى الخروج عن الاداب ، كان المبدأ وقتذاك أن التهجم على الحكومة وانتقاد اعمالها يعد من اسوأ ضروب « المنافاة بالشرف والآداب » ، ومسرحيات فولتير قد وضعت على أنها وقعت فى بلاد الفرس واليونان وبيرو والصين ، الا ان كل انسان كان يدرك المعانى المزدوجة وما بين السطور ويضج بالضحك الساخر . والضحك شعلة لا تستطيع الحكومة

ان تعمل على اطفائها ، ولم تملك الحكومة الفرنسية الا ان تتبع مع فولتير طريقة استبدادية تعسفية ، فأودعته سجن الباستيل ، ولم تكن الحكومة فى ذلك العهد ملزمة أن تثبت التهمة ضد انسان لكى تودعه السجن ، فقد كان حسبها مجرد الشك والاشتباه ، ويبقى الانسان فى السجن دون أن يفرج عنه الا اذا كان له أصدقاء أقوياء يبذلون جهودهم ونفوذهم فى اخراجه ، وقد مكث أصدقاء فولتير احد عشر شهرا حتى استطاعوا الافراج عنه بعد أن ازدادت صحته سوءا وضعفا ، وبعد ان اصبح اشد ضراوة وخطورة الى حد ان أحد النبلاء السخفاء ويدعى الشيفالييه دى روهان وجه اليه كثيرا من الاهانات ، قابلها فولتير بما عهد فيه من السخرية اللاذعة ، فلم يسع الشيفالييه الا أن يسلط عليه بعض خدمه لضربه ، والشيفالييه يدير حركة المعركة وهو جالس فى مركبته !

وكان فى استطاعة فولتير ان يحتمل ما يحيق به من ظلم وعسف ، أما ما ينال الآخرين منهما فلا يستطيع احتماله

حين كانت اعظم ممثلات فرنسا ، ادريين ليكوفريه ، تحتضر ، كان فولتير قابعا الى جانب فراشها يستمع الى حديثها وهى تقص عليه كيف أن القسيس قد طلب منها أن تعلن أن فنها ، التمثيل ، هو عمل معيب ، وكيف أنها رفضت هذا المطلب رفضا باتا ، فتركها القسيس دون أن يمنحها الغفران الدينى ، ولما ماتت هذه الممثلة العظيمة أسرع رجال البوليس بجثتها ودفنوها فى حفرة وأهالوا عليها الجير الحى

منذ ذلك اليوم طوى بين جوانحه كراهية متأججة ، لا للدين المسيحى كما زعم البعض زورا ، بل للقسوة التى تتنافى مع الدين المسيحى السمح ، سواء أكانت هذه القسوة فرنسية أم غير فرنسية ، وسواء أكانت صادرة من الكاثوليك أم البروتستانت ، وكان يقول : « ان الرجل الذى يقول لى — اتبع عقائدى والا حلت بك لعنة الله — سيقول لى بعد ذلك — اتبع عقائدى والا قتلتك »

ورجل له مثل هذا اللسان لايمكن ان يكون فى مأمن فى بعض الاقطار حتى فى عصرنا الحالى ، ولهذا فسرعان ما اودع فولتير سجن الباستيل للمرة الثانية ، ثم أطلق سراحه حين وعد بمغادرة فرنسا ، وابحر الى انجلترا وهو متلهف القلب ، فوصل لندن عام ١٧٢٦ ، وقد تأثر أبلغ التأثر حين شاهد جنازة السير اسحاق نيوتن العالم الشهير ، فلم يعتد فولتير أن يرى حكومة فرنسا تبدى مثل هذا التقدير العظيم الذى أبدته الحكومة الانجليزية والشعب الانجليزى عند وفاة عالم مثل نيوتن والاحتفال بجنازته ودفنه هذا الاحتفال الضخم ، كذلك أدهشه فى انجلترا ما يسبغه الشعب الانجليزى على شعرائه من التعظيم والاجلال ، وما فى مجلس العموم البريطانى من القوة والاستقلال فى الرأى ، وأكثر من

هذا وذاك ما رآه رأى العين من عدالة القضاء الانجليزى

وفى عام ١٧٢٩ وكان فولتير قد بلغ الخامسة والثلاثين من عمره ، تسلم تصريحا من الحكومة الفرنسية بعودته الى فرنسا ، ولم ينقض وقت طويل حتى ندمت فرنسا على هذا التصريح الذى منحته الى فولتير

واستطاع فولتير بما اكتسبه من الخبرة التجارية مدة اقامته فى انجلترا أن يشتغل بتصدير البضائع الى أمريكا والهند وغيرهما من أقطار العالم ، فعادت عليه هذه التجارة بثروة جعلته من الاغنياء ، وكان بطبيعته يحب حياة الرفاهية ، ومكنته ثروته من الاستمتاع بها ، وارتداء الثياب الانيقة واقتناء المركبات ، وراح يدعو غيره من الناس الى الاستمتاع بالحياة وبالسعادة ، كلما وجدوا الى ذلك سبيلا ، فقد كان فولتير يحس بما يعانيه الناس من الشقاء والتعاسة ، ولم يكن يدين بما يدين به بعض معاصريه من أن « هذه ارادة الله » ، وكان من نتيجة تحديه لهذه الفلسفة أن اتهم بالخروج على قواعد الآداب العامة ، وخاصة لانه عاش من عام ١٧٣٣ حتى عام ١٧٤٩ مع اميلى الفاتنة وهى المركيزة دى شاتليه الزوجة النافرة من زوجها النبيل

وكانت أخطاء فولتير عديدة ، فقد كان أنانيا ، سريع الغضب ، جم الشجار ، لاذعا فى حديثه ، فكان يصول ويجول حين لا يكون الموقف خطيرا ، اما فى مواقف الخطر فكان سريع الفرار ، وكان يحب اليسر والسهولة كما كان يمقت المضايقات والمتاعب ، وكان كثيرا ما يتخيل نفسه مريضا ، أو يدعى المرض حين يريد أن يتجنب موقفا أكثر خطورة من التمارض ، بيد أن فولتير كان له من الآراء الاخلاقية ما هو أنبل من آراء ناقديه ، لقد كان يرى أن الانسان قد خلق حرا طليقا ومسئولا عن اعماله ، وأن ضميره وحده هو الذى يتولى الحكم على عمله كما قال فى شعره :

اذا كان الانسان قد خلق حرا ،
فله وحده أن يحكم نفسه

واذا حكمه جبابرة ظالمون ، فعليه
أن ينتزعهم من فوق عروشهم

وكان فولتير يهاجم هذه المساوىء بذكائه ونبوغه هجوما عنيفا ، وكان يقول : « ان تجارتى هى أن أقول كل ما يجول فى ذهنى » وما جال فى ذهنه احتواه ٩٩ مجلدا . قال كل ما اضطرب به جنانه فى مسرحياته وفى شعره وفى رواياته وفى نشراته وفى مقالاته وفى رسائله التى بلغت ١٠٫٠٠٠ رسالة بعث بها الى مشاهير القوم فى جميع انحاء أوربا . ومن بين هؤلاء كاترين الثانية قيصرة روسيا التى بعثت اليه بهدايا عظيمة ، والملك كرستيان السابع ملك الدانمارك ، وجوستاف الثالث ملك السويد الذى وعد أن ينفذ ما أشار به فولتير وانه سيحاول أن يرتفع بحياة قومه الى المستوى الانسانى ، ولم يستطع فريدريك

الكبير حين كان وليا للعهد أن يغرى فولتير بالقدوم الى بوستدام فرحل اليه متنكرا ليقدم اليه فى باريس فروض الاجلال

على انه جاء وقت على فولتير كان يتنقل من مكان الى مكان مختفيا من الانظار وعن العيون التى كانت ترقبه للقبض عليه ، وكان يضطر أحيانا الى الفرار من فرنسا الى الاقطار الاجنبية ، فقد كان كل كتاب جديد يحدث انفجارا جديدا من الحقد والسخط عند أولياء الامور ، ويصبح الكتاب أو صاحبه فى مأزق حرج ، وكان من أثر ثورة حكومة فرنسا على كتب فولتير أن وجدت هذه الكتب طريقها الى الاقطار الاخرى

ولما قضت « اميلى » نحبها لم يصبح هناك مايربطه بوطنه فرنسا ، ولهذا بادر بقبول دعوة فريدريك الكبير ، التى ظلت قائمة ، وكان كل من فريدريك وفولتير يتبادل الاعجاب مع صاحبه منذ شبابهما ، وكان كلاهما عنيدا ، شديد المراس ، انانيا ، قويا ، ماهرا ذكيا . ولما وفد فولتير الى بروسيا وجد الملك ان ضيفه الشهير لا يمكن أن يقبل دور النديم ، كذلك ثارت ثائرة فولتير على الروح العسكرية السائدة هناك ، وسرعان ما وقع الشقاق بينهما ، فوجد فولتير نفسه فى الطريق الى خارج البلاد ، واذا به يجد كل حدود أوربا مغلقة فى وجهه بفضل نفوذ فريدريك الاكبر

وفى عام ١٧٥٥ وجد الفيلسوف الكهل ملجأ له وملاذا فى جمهورية جنوا الصغيرة ، وهناك ابتاع دارا أمها كل رجل عظيم فى أوربا استطاع أن يقوم بالرحلة اليها ، وفى هذه الدار كان فولتير يستقبلهم استقبالا حافلا وفى عينيه الخابيتين بريق ، وعلى وجهه المجعد ابتسامته القديمة الخبيثة ، وكان يحتسى القهوة بشراهة ، ويحادث ضيوفه أشهى الاحاديث ، وكان الضيوف يجيئون لقضاء ثلاثة أيام فيمكثون ثلاثة شهور ، وكان فولتير يتنهد ويقول : « اللهم احمنى من أصدقائى ، أما أعدائى فانى كفيل بهم ! »

وكان بره بالناس أقل علانية من ضيافته ، وكان الكثيرون من الفقراء أو المضطهدين دينيا أو سياسيا يقدمون اليه ويفدون عليه طلبا لنجدتهم ، وبدأ فولتير فى تشييد دور لهم حتى أصبحت ضيعته قرية صغيرة ، فشيد لاهلها كنيسة ومدرسة لاطفالهم ، وعهد اليهم بالاعمال التى يستطيعون أداءها ، وكان أغلب هؤلاء اللاجئين من صناع الساعات السويسريين ، وسرعان ما وجد فولتير نفسه صاحب تجارة

ساعات رابحة ، فكان يبيع ساعاته أقلّ من غيره بمقدار ثلث الثمن ، وكان يرسل رسالة شخصية مع كل طلب ، ومثل هــذه الرسائل اغلى واقيم من كل الساعات التى انتجها

وكان فى الامكان ان يعيش فولتير فى سلام ودعة بعد أن أصبح واسع الثراء ، ولكن أشد معاركه المريرة ، واعظم اعماله جميعا كانا عام ١٧٦٢ حين قام المتعصبون الدينيــون فى مدينة تولوز باحتفالاتهم لانقضـــاء مائتى عام على ذبح ٤٠٠٠ مارق من الدين ، وفى ذلك الوقت وجدوا شابا مشنوقا فى بيدر ( جرن ) ، وذاعت الاشـــاعات أن هذا الشاب كان بروتستانتيا واراد ان يصبح كاثوليكيا ونشر المتعصبون الدينيون ان والد هذا الشاب ، وهو كهل فان ، هو الذى شنق ابنه الشاب القوى ، بعد ضروب من التعذيب الرهيب ، لم يعترف المسكين بشىء وامتدت يد القانون بالانتقام من جميــع افراد الاسرة

ولمــا اهتم فولتير بهذه القضيــة بدأ يكشــف عن الطبيعــة المرعبــة للقـــانون الجنـــائى كما تطبق فى فرنســا ، بلْ وفى كلّ البلاد الاوربية ما عدا انجلترا ، لم يكن هنـــــاك محلفون، ولايسمح للمتهم بالاستعانة برجال القانون، ولايسمح له بتقديم أية بينة فى مصلحته، والذين يقدمون الاتهام يقدمون شــهادات سرية ، ويقيم القضـــاة من انفسهم نوابا ، وعلم فولتير ، الى جانب كل ذلك ، أن مواد القانون الجنائى ليست كلها مكتوبة، بل كانت فى رؤوس القائمين بالمحاكمات و « تترجم » كما يحــلو لهم لاثبات الاتهام ، ولم يكن هــذا بالامر الجديد ، بل كان متبعا منــذ العصور المظلمة ، ولم يكن الاغنياء الممتازون يعرفون شيئا عن هــذا القانون ، وكانوا يحسبون أن الفقراء والمساكين الذين يعاقبون انما هم يستحقون هذا العقاب حقا

واندفع فولتير بكلّ قوته ونبوغه فى الهجوم على رجال القانون ورجالْ الكنيسة والملوك وجميــع الصحف الاوربيــة يطالبهم جميعــا باعـــادة التحقيق فى تلك القضية ، ولم يسع الملك الا ان يخضع للجماهير التى اثارها فولتير خلال ثلاث ســنوات قضاها فى هجومه ، لم يهدأ له بال، ولم تغمض له عين ، ولم تبتسم له شفاه ، واعيد التحقيق فى القضية وثبتت براءة الاموات والاحيــاء ، وارادت محكمة تولوز أن تمحو هذه القضية التى وصمتها بوصمة العار من سجلاتها ، واعيد النظر فى قانون الجنايات الذى ظل ٨٠٠ عام لايفكر احد فى دراســته ، وكان كل ذلك بفضل ذلك الرجل الكهل « فولتير »

وما كاد يصدر الحكم بالبراءة فى تلك القضية حتى هرع كل مظلوم فى القضايا القديمة الى فولتير ، فانطلق يكشف عن المآسى الرهيبة ، والمخازى ولا يهدأ له بال حتى يجرى العدل مجراه ، وراح يطالب بابعاد الدين عن السياسة وعن القانون ، وأن يعكف رجال الدين على الاعمال الدينية والروحية التى طال اهمالها ، وظل فولتير فى حملته يفسر الفرق بين مخالفة القانون وبين الخطيئة ، ويقول ان الله سيعاقب مرتكب الخطيئة اذا أراد ، أما من ناحية القانون « فاننا نحب القوانين ، ويجب أن نكون فى خدمتها ، وأن نحمل كل أعبائها ، وكل من ينتهك حرمة القانون يكون انسانا لا يحب وطنه »

وجاء يوم اشتد فيه حنين فولتير الى وطنه ، وعظم شوقه الى رؤية باريس قبل موته ، وفى أحد أيام شهر ديسمبر من عام ١٧٧٧ وقفت مركبة أمام ضابط الجمارك الذى اراد أن يرى هل تحمل هذه المركبة اشياء ممنوعة ، واذا به يسمع ضحكة خفيفة وصوتا يقول له : « لاشىء ممنوع داخل المركبة عداى » ،

وبادر الضابط وفتح باب المركبة وصاح : « يا الهى ! انه مسيو فولتير » لان تلك الابتسامة المغضنة كان يعرفها الملايين الذين لم تقع انظارهم على شخص فولتير

واستقبلته باريس استقبالا رائعا ، وفتحت الاكاديمية الاهلية التى حاربته طويلا ذراعيها لذلك الاديب الثائر العظيم ، واصطف كل موظفى مسرح « الكوميدى فرانسيز » امام الباب لتحية المؤلف المسرحى العظيم

وقضى هذا الاديب الثائر نحبه وهو فى الثالثة والثمانين من عمره ، وكان ذلك فى مايو عام ١٧٧٨ وكانت آخر كلماته التى املاها على سكرتيره هى :

« انى أموت وانا أعبد الله ، واحب أصدقائى ، ولا أكره أعدائى ، وازدرى الخرافات »

وكان خير جزاء ناله فولتير حين قامت الثورة الفرنسية ، وأخرج الناس جثته ووضعوا نعشه فوق انقاض الباستيل مدة ليلة ، فقد كانت ليديه الضعيفتين اليد الطولى فى القضاء على هذا السجن العتيد الرهيب

قصة مقتبسة من التوراة

# سلطان الحب

بقلم الأستاذ أحمد عبد القادر المازنى

**كانت** الفتاة الشابة مستلقية على الارض ، ورأسها مدفونا بين ذراعيها ، وكتفاها ترتفعان وتنخفضان تبعا لبكائها ونشيجها . ووقف بعض النسوة من حولها ، وهن يراقبنها بأعين يبدو فيها عدم الاكتراث . وكان ثم تباين عظيم بين ثيابهن الارجوانية المذهبة ، وحليهن اللامعة ، وبين عرى هذه الفتاة الباكية ، ولون بشرتها الاسمر

وكان القوم قد هبطوا عليها فى الصباح وهى بين الكروم ، وبرقت عينا الملك وتألقتا وهو ينظر الى هذه الفتاة القروية ، والى جسمها الرشيق الذى دبغته الشمس ، وهى تعمل جادة بين الاشجار . وكان الملك قد وفد الى الشمال لاصطياد الاسود ، فعثر على صيد أبهى ، وفريسة أمتع وأحلى ، ولأن السيدات اللواتى كن معه سريعات الى ارضائه ، فقد عدون وراء الفتاة الهاربة ، وأتين بها ، وهى تناضلهن ، الى منزل الصيد

ويا لها من فتاة عنيدة قوية الشكيمة ، تبدو عليها كبرياء أهل الشمال الهمجيين وعجرفتهم ، وليس فيها شيء من ليونة سيدات أورشليم ، ودماثة أخلاقهن وسهولتهن

ولقد رفضت الفتاة بادىء الامر أمر سليمان العظيم رفضا صريحا قاطعا ، فلما استخدموا القوة ، صاحت وولولت من الهول والرعب ، فأقبل عاشقها ، وهو راع قروى ، فانضم اليها ، وتشبثت به الفتاة مستميتة ، وراحت ترجوه أن يبتعد بها عن هؤلاء النسوة الغريبات عنها

ولشد ما ضحك النسوة من ذكرى ذلك المنظر ! راعية ساذجة وعاشقها الغبى يرجوان أن يتمردا على ارادة سليمان الملك العظيم

ويا لغباء الجدد من هؤلاء الفتيات ! انهن لا يعرفن البتة ما يعود عليهن بالنفع العظيم والخير العميم ، فهن فى البداية يبكين «حريتهن» ، وبعد أن يقضين أسبوعا أو أسبوعين ينسين غرامياتهن القديمة ، ويرحن يسعين فى سبيل ارضاء الملك والظفر منه بالحظوة الملحوظة

وهـذه الفتاة الباكية ، بعـد أن تصـل الى أورشليم ، وتذوق نعيم الحياة فى قصر سليمان ، ستضحك من هذا الحزن البادي عليها،وتسخر من آلامها الماضية ٠ وقالت احداهن:

ـ تعالى يا فتاتي وكفي عن هـذا البكاء ، ان ابتسامة سليمان أغلى وأثمن من كل هـذه الكروم ، وأنت الآن بين صديقات عزيزات،وسنتولى رعايتك ، ونعمل على اسعادك

ووقفت الفتاة ، وحدجت الجموع المحيطة بها بأعين يبدو فيها الابتهال ثم قالت فى بطء :

ـ لست من ضربكن ، وأنا أختلف عنكن لونا وقلبـا ٠ لقـد لفحتني الشمس بوقدتها،وأكسبتني الرياح والامطار قوة ٠ أما أنتن فمن أهـل المدن ، فى حين اني قطعة من الحقول والغابات ، وأني لا أتوسل اليكن أن تدعنني أذهب الى سبيلي ، فلن أكون سعيدة الا فى هذا المكان

فتبادل النسوة النظرات ٠ يالها من فتاة مضحكة ! صعلوكة قروية تنبذ حظوة سليمان العظيم من أجل هذه الكروم ومن أجل غرام هـذا الفتى الراعي ! انها كالطائر البرى يرفرف بجناحيه فى قفصه الذهبي!

ولم يحاولن الجدل معها بعد ذلك

وأتت الخادمات بالثياب الانيقة المهفهفة ، والعطور الشذية النادرة، والحلى الذهبية ، وامتدت الايدى من كل ناحية لالباسها الثياب،وتجميلها وتزيينها واستكانت الفتاة لارادتهن، ولم تحاول نضالا ٠وبدت رائعـة الحسن، رشيقة القوام وسرن بها الى حضرة سليمان العظيم،وعلى وجوههن مظاهر النصر والفـوز العظيمـين وانحنين انحنـاء عظيما ، وقلن فى خضوع واجلال :

ـ شوليت يا مولانا

وراح الملك يتفرس فى الفتاة فى صمت ٠ لقد كان الامر كما ظن تماما، فثم شيء عجيب فى هـذه الفتاة ، وربمـا كانت فى أعماقهـا قوية المراوغة ، على انها بادية الرشاقة ، وكالنمر فى خفـة الحركات ، ظاهرة القوة والفتنة فى تقاطيع جسمها ٠ انها لمنحة وايم الله ، ومع ذلك فثم شيء ٠٠٠ واستولى عليه شك غامض غير مألوف ، ولكنه سرعان ما طرد هذا الريب من نفسه وكان صـوته عظيم الرقة حين خاطبها بقوله :

ـ فى صباح اليوم قارنتك بطائفة من الجياد فى ركاب فرعون ، فقـد كنت كالنار المندلعة ، وكانت قوتك فاتنة ، وتقاطيع جسمـك رائعـة ، واعضاؤك سريعة نشـطة ، فكنت كالجواد المطهم يعدو فى شـمس الصباح ، أما الآن وقد ارتديت هذه الثياب ، وتجملت بتلك الحلى ٠٠٠ فما أفتنك ، وما أجمل ذلك الجيـد وقد تحلى بتلك القلادة الذهبيـة ٠ لقد لانت فرسة الحقول ، واستكانت للعنان ، فبدت فى أروع حلة،ولكنها البداية فقط يا شوليت ، وسـوف نثقل كاهلك بالحلى والجواهر والاثواب الانيقة الثمينـة ، وسـوف نكدس حولك الذهب والفضة

وأخفى رجال البـلاط ونسـاؤه ابتساماتهم ٠ انها نفس السياسـة

التقليدية القديمة . انها قديمة ومع ذلك فهي عظيمـــة الاثر في نفوس الفتيات اللواتي يؤتى بهن من مختلف الاقاليم ، ولكنه يخيل اليهم جميعا ان هـذه الفتاة « شـولميت » تتلقى الحديث بحالة عجيبـة ، فقـد ظلت واقفة دون أن تبدي حراكا أمام مائدة سليمان ، وعيناها شـاردتان كأنما كانت الفتاة تحملق في شيء غامض، وترى مناظر سارة جميلة ، ولم تظهر الفتاة سرورا ولا تأففا من كلمـات المديح التي طـرقت مسمعهـا ، بل كانت كأنما لم تسمع منها شيئا ، ومال سليمان نحوها وقال :

ـ أنت فاتنة أيتها الحبيبة ، رائعة في حسنك ، وعيناك كعيني اليمامة

وانتفضت شـولميت ، وتحركت شفتاها ، ولكن كلماتها كانت خفيفة

ـ هذه الثروة البادية على موائد الملك ، وتلك العطور الشـذية التي تجملني ما قيمتها بازاء رقة حبيبي؟ ان روحه تحيط بي كأريج الأزاهر، انه كالزهرة اليانعـة بين الرجال ، وستظل ذكراه العبقة الشذية ندية على قلبي طوال الليل

وأخطأ الملك فهم كلماتها ، وخالها تشجيعا منها ، فأكثر لها من الوعود الخلابة ، وكشـف لها عمـا ينتظرها من مسرات وملاذ وعما ستكون عليه حياتها في القصر في اورشليم

وظلت عينـاها مع ذلك غائمـة ، وذهنها شارداً يفكر في أمور نائية ، وقالت في ذهـــول كأنمـــا تحدث نفسها :

ـ انه يتحدث عن الدور العظيمة الحافلة بالأثاث والثراء في حين لدينا الحقول والغابات . أنه يفخر بالرخام والمرمر في حين لدينا أشجار السرو نتخذ منها جدراننا ، وأشـجار الارز نتخذ منها سـقوفنا ، والشـواطيء المعشوشبة الخضراء نرقد عليها

▭

وفي تلك الليلة حين أحاطت النسـاء بها في جنـــاحهن ، ورحن يلقنهـا ما يجب أن تعرفه عن موقفها الجديد، ابتسمت شولميت وقالت لهن :

ـ ان هذه المظاهر الغنية لا قيمة لها عندي . لقد تذوقت فعـلا أثمن وأحلى وأشهى الانبذة ... على شفاه حبيب قلبي ، وتذوقت أندر الثمار في ثنايا أحضانه ، واني الآن والى الابد لأحس بذراعيه يطوقانني

وضـــحكن لكلماتهـا ، ولـكنها ضحكات مضطربة . قد تكون فتاة متمردة متغطرسة ، ولكن ... ألم يعرفن هن أنفسهن مثل هـذا الحب القوي ، والغـرام العنيف حتى كن يحتقرن ما يتقدم به سليمان اليهن؟

وهبط الليل ، وسـاد السـكون العميق ، لا يتخلله الا أصوات تنفس النساء النائمات . وكانت شولميت تتقلب في فراشها ، وخيل اليها أنها في حلم وهي تسمع همسا باسمها، صوت رقيق ، كأنه يداعبها .. انه صـوته !! وتسللت على عجـل من فراشها ، وانسـابت في خفوت الى النافذة ، ومن خلالها رأت شـبح الراعي الشاب واقفا في ضوء القمر، فألصقت وجهها الصـغير بالقضبان الحديدية، ووثب الشاب وقال هامسا:



**فتقدم سليمان ثم قال : « يقولون ان سليمان حكيم ، ولكنك علمتني الحكمة يافتاتي! انك لا تشترين بالمال ، وان حبك لاحلى من الخمور**

ـ لقد انقضى الشتاء،وجفت عيون السماء ، وأصبح الربيع في كل مكان يا حياة الروح · ان الازاهير يانعة ، والاطيار شادية ، وثمار التين الفجة الخضراء فوق الاشجار ، وعناقيد الاعناب تتدلى من الكروم ، وتملأ الجو بالاريج العاطر ، وانها لفى انتظارك يا حبيبتي ، فتعالى الى

ـ هذا ما لا يمكن أن يكون فانى سجينة ، ولكن دعنى أيها الحبيب أرى وجهك لحظة قصيرة ، وأسمع صوتك العذب الحنون ، ثم أذهب بعد ذلك ، واعلم أن هذه الاشباح سوف تنجلي عن حياتنا ، وهذا الغمام سوف ينقشع عن سمائنا فنعود الى الاجتماع فاصبر وتجلد حتى يحين اللقاء ولا تبتئس

ـ اذن فانى سأبقى على كثب منك دائما ، وسأتبعك الى أورشليم ، والى قصر سليمان ، بل الى أقصى المعمورة

وعادت جماعات الصيد في اليوم التالى الى أورشليم ، ولما وصلوا الى اورشليم وضعت شوليت في جناح النساء حتى تعد العدة لزواجها ، وفى كل يوم يرتل لها سليمان كلمات المديح وأرق الالفاظ ، وهو فى حيرة من أمرها ، فقد كان يرى شرود نظراتها كلما خاطبها،وانفراج شفتيها انفراجا ضئيلا عن ابتسامة خفيفة كأنما ترشق بها شبحا محبوبا

وفى اليوم الاول من حفلات الزفاف ، استقل الملك سليمان

مركبة مصنوعة من خشب المسك ، عمدها من الفضة وقواعدها من الذهب ، وغطاؤها من الحرير الارجواني ، وأحاط بالمركبة ستون فارسا قد شهر كل منهم سيفه ٠ وراقبه الشاب القروى بأعين حزينة

وكانت شولميت تنتظر مقدمه في قاعة العرش وهي هادئة ساكنة ، وتعجب بروعة المكان وما اشتمل عليه من عجائب ، كالعرش العظيم المصنوع من العاج ، والمزركش بالذهب الابريز ، والمرقى الذهبى ، والرماح المعلقة على الجدران ، وقد صنعت مقابضها من الذهب ، وفجأة علت أصوات الابواق ، فاستدارت شولميت ، بينما كان الملك يتقدم الى موائد الحفلة ٠ ودمدمت النساء :

ـ ما أعظم هدوءها ، وما أعجب تماسكها وسط هذا الحفل ، أيمكن أنها لا تزال متعلقة بذلك الراعى ؟

ووجد المحتفلون مليكهم بادى المرح ، فقد نحى عن نفسه كل الشكوك والمخاوف التى حامت حول تلك الفتاة ٠ وصاح الملك فى رعاياه :

ـ احتسوا من الخمور قدر ما تستطيعون أيها الصحاب

وملئت الكؤوس الذهبية مرة بعد أخرى ، وأفرغت فى الافواه ، وما لاحظ أحد الفتاة شولميت وهى تتسلل خفية لتنضم الى النساء فى القاعة المجاورة ٠ وهناك تجمعن حولها وأمطرنها بوابل من الاسئلة

وكانت عيناها تكاد تكون مغمضة وهى تجيب ، وتنهدت وقالت :

ـ ان حبيبى فى اورشليم ، وكان ليلة البارحة خارج غرفتى ، وسمعت صوته يهيب بى أن ألحق به ، فبربكن يا بنات أورشليم اذهبن وابحثن عن حبيبى وأخبرنه انى أحترق وجدا الى حبه وغرامه

ـ ولكن هذا جنون ! انه ليس هنا فلا بد أنك حلمت به

ـ كلا ، لم أكن أحلم به ، واذا كانت عيناى قد غفتا ، فان قلبى كان يقظا ، فأرجوكن أن تبحثن عنه

فرمقنها فى دهشة وقلن :

ـ أخبرينا يا شولميت ٠ فيم يعلو حبيبك هذا على كل الرجال ؟

فتشابكت يداها ، ورقت نظراتها وقالت فى صوت حالم ولكنه مسموع :

ـ ان رأس حبيبى كتمثال من الذهب ، وشعره متموج وفى حلكة الليل البهيم ٠ وعينيه كعينى الطائر الوديع ، وجسمه كالعاج المتألق المزركش بأبدع الالوان ، وساقيه كعمد من المرمر ، ومحياه فى روعة الفجر ٠ وما أحلى ثغره ! أوه ، انه فتنة الانظار ، وانه ملكى وأنا ملكه الآن والى الابد

وسمع النساء صوتا خفيفا ، فدرن على أعقابهن فى سرعة ، ثم سجدن خوفا ورعبا ٠ فقد كان سليمان واقفا بين فرجتى السجف ، يرى المنظر بأعين بادية الكمد ٠ وظلت شولميت وحدها واقفة منتصبة القامة ظاهرة الكبرياء ، وهو يتقدم فى بطء ثم قال :

ـ يقولون ان سليمان حكيم ، ولكنك علمتنى الحكمة يافتاتى ٠ انك لا تشترين بالمال ، وان حبك لأحلى

واشهى من الخمور ، وان عطرشعرك لأبدع من شذى الازاهير . أنت كالحديقةالغناء المسورة بأسوار عالية رفيعة البنيان ، حديقة لا يستطيع أن يدخلها انسان حتى ولا سليمان بماله وقوته وجبروته . أنت جميلة فتانة.أنت رائعة فى حسنك،ولكنك رهيبة مخيفة كأنك جيش عرمرم

وحاول أن تلتقى عيناه بعينيها ، ولكنه لم يستطيع فقال :

ـ أديرى أنظارك عنى . ابعدى تلك الاعين . لقد هزمتنى عيناك ، وانى اليوم لأعرف أنه على الرغم من حسنك الفتان ، ومن قوتى وسلطانى ، فلن أظفر بك يوما

وابتسمت شوليت للمرة الاولى، فاغتبط قلبه بابتسامتها ، ثم دار على عقبيه وغادر المكان

▭

مالت الراعية على حبيبها ، وقد وليا وجهيهما شطر قريتهما ، ثم وقفا الى جانب شجرة ، وقال الفتى:

ـ حدث كل شىء كأنه كان مكتوبا، فتحت هذه الشجرة ولدت ، وتحتها التقيت بك لأول مرة ، وها نحن نعود الى لقائنا تحت هذه الشجرة

ـ أشدد الصاقى الى قلبك كأنما تختم بى هذا القلب ، لأن الحب كالموت فى بأسه وقوته ، والغيرة قاسية رهيبة كالقبر . ومهما تألبت الامواه على الحب ، واشتد الفيضان عليه فلن يستطيع اكتساحه

وظلا دقيقة متعانقين ، ثم هرعا على عجل الى الحقول ، الى حيث تجمع القرويون للاحتفال بزفافهما



## توقيع بغير خطاب !

بينما كان احد الاساتذة الجامعيين يهم بالقاء محاضرته على لفيف من طلبة احدى الكليات ، اذ وجد امامه خطابا معنونا باسمه ، فلما فضه وجد فيه ورقة كتبت فيها كلمة « مغفل » فقال الاستاذ فى هدوء موجها حديثه للطلبة : « لقد رأيت خطابات لم يوقع عليها اصحابها ، ولكن هذه هى المرة الاولى التى ارى فيها شخصا يوقع باسمه على رسالة . ويهمل الرسالة نفسها ! »




## صديق الاطفال

كان من تشيكوسلوفاكيا ، وكان أبوه تاجرا بسيطا فقيرا أعقب ستة عشر طفلا ، فكانت حياتهم ضنكا وشظفا ، ولم يسع هنرى سولمون حين بلغ أشده الا أن يرحل الى أمريكا سعيا وراء الرزق

وتنقل من عمل الى عمل ، وظل يدخر بعض دخله ، حتى استطاع فى النهاية أن يشتغل بالتجارة ، وكان قد تزوج وأعقب ابنة . وفى يوم ما أراد أن ينتقل من مسكن الى مسكن ، واذا بصاحب المسكن الجديد يأبى أن يؤجره المسكن حين علم أن له طفلة وقال له : « أنا لا أقبل فى منزلى قططا أو كلابا أو أطفالا »

وصدم سولمون من موقف الرجل ، وأقسم أن يبذل جهوده ليلا ونهارا حتى يستطيع أن يشترى دارا ليؤجر مساكنها لكل من كان لديه أطفال

وبعد انقضاء سنتين اشترى أول دار له ، وبدأ يؤجر مساكنها ، لا لأى ساكن ، بل لمن لديه أطفال ، وكان يخفض الايجار خمسة دولارات عن كل طفل ، حتى اذا حل عام ١٩٢٧ بدأ يتبع طريقة جديدة

كان كل ساكن فى دوره يعقب طفله الاول يمنحه سولمون ٧٥ دولارا ! فاذا أعقب طفلا ثانيا منحه ١٥٠ دولارا ، وللطفل الثالث ٣٠٠ دولار ، وللطفل الرابع ٦٠٠ دولار ، وللطفل الخامس ١٢٠٠ دولار

وقد منح ٦٠٠ دولار ثلاث مرات ، ولم يمنح ١٢٠٠ لاحد حتى اليوم

وسولمون يذكر أول طفلة ولدت في داره ، وقد تزوجت حين كبرت وقد دعى هنرى سولمون الى حفلة زفافها ، واحتفى به احتفاء رائعاً

وسئل هنرى سولمون يوما ، وما الثمرة التي تعود عليه من مثل هذه الاعمال ٠ انه تاجر وكان جديرا به أن يحتفظ بماله ليستثمره وينمي تجارته فقال في الرد على ذلك وهو يبسم بسمة مشرقة :

« ولكنى أسترد قيمة هذا المال هنا - ويشير الى ناحية قلبه - ان لهذا المال الذى أدفعه ثمرة لا أستطيع أن أظفر بها من البنوك ، ولا تستطيع تجارة أن تنيلنى اياها ٠ اننى أعنى الشعور الجميل الذى يغمرنى حين أساعد انسانا ، وخاصة تلك المساعدة التي كنت فيحاجة اليها٠انالناس يضعون المال فوق السعادة النفسية،وأنا أضع السعادة النفسية فوقالمال

## ملك البخلاء

**كان** رجلا عجيباً ، فقد كان ثريا واسع الغنى ، بل كان مليونيرا ولكنه كان يجمعالسنتات ، وهى العملة الامريكية التى تعادل الملاليم المصرية ، وكان منفرط بخلهالعجيب انه لم يشتر فيحياته ثيابا داخلية حتى بلغ الثمانين من عمره ، وكان يرقع جواربه حتى اذا أصبح من المستحيل ترقيعها اضطر الى شراء غيرها

فى ذات يوم ركب سيارة ابن أخيه الصحفى فقال المليونير بعد فترة :

- انها والله متعة جميلة ، ويبدو لى انها أرخص من الاوتوبيس .. !

- ولم لا تشترى سيارة يا عمى ؟

- لانها اذ ذاك لن تكون أرخص أيها البهيم ٠٠!

ولما توفيت زوجته الاولى ، تزوج بعد عامين من عانس عمرها أربعون عاما كانت تحسب انها ستظل عانسا بعد أن وصلت الى هذه السن ، ولكنها كانت سيدة وديعة فلم يشجر الخلاف بينها وبين زوجها من أجل بخله الشنيع ٠ وحدث ذات يوم أن رأى صورة هذه الزوجة وهى تطعم القرود فى حديقة الحيوان بحبوب الفول السودانى منشورة فقال لها :

- ولم الفول السودانى يا عزيزتى ؟ هذا اسراف لا محل له ، فانهيتبقى عندنا فتات من الخبز يصلح لذلك

ودخل رجل مكتب المليونير ذات يوم ، وكان الجنون باديا فى عينيه ، وسلم المليونير ورقة طالع فيها المليونير هذه الكلمات :

« اننى أحمل فى يدى عشرة أرطال من الديناميت ، واذا سقطت من يدى فانها ستنسف الدار بمن فيها ٠ فأعطنى مليونا ومائتى ألف ريال والا نسفت المكان ٠٠ قل نعم أو لا ٠٠ » !

وفى تلك اللحظة دخل موظف ، وسقط الديناميت من يد الرجل عفوا،

والانفجر وقتل اثنان ، وجرح كثيرون باصابات خطيرة ،كان من بينهم ذلك الموظف ، وأصيب المليونير بخدوش لانه كان قد احتمى وراء الموظف . ولما شفى الموظف وطالب المليونير بتعويض ، نظرت القضية وقضى القاضى بأن الانفجار لم يكن من صنع راسل ساج المليونير . والغريب فى الامر أن المليونير أنفق فى الدفاع عن نفسه مالا يربو على التعويض المطلوب

ومات راسل ساج بعد أن بلغ التاسعة والثمانين من عمره ، وأنشأت أرملته مؤسسة راسل ساج الخيرية وتقوم بأعمال اجتماعية عظيمة،ويرجع الفضل فى انشاء هذه المؤسسة الانسانية العظيمة ، لا الى مال الرجل البخيل فحسب ، بل الى تلك الارملة ذات القلب الرحيم والنزعة الانسانية النبيلة

## شنق ولم يمت

حين وجدت مس اما آن كيز قتيلة فى دارها بمدينة بابكوم بانجلترا اتجهت الشبهات الى خادمها جون لى وكان عمره تسعة عشر عاما ، فقبض عليه، وحوكم وثبتت ادانته فحكم عليه بالموت شنقا

ومنذ ذلك التاريخ اشتهر اسم جون لى، وعرف بأنه الرجل الذى لم تستطع الحكومة شنقه

ففى صباح يوم ٢٣ فبراير عام ١٨٨٥ سيق جون لى من سجنه الى قاعة الاعدام . وكانت هناك مشنقة قد صنعت حديثا ، وقدر له أن يكون أول من يشنق عليها

وأقبل رجلان من رجال السجن فساعداه على الصعود عليها والوقوف على « طبلية » المشنقة ، وهى الباب الذى يهبط منه المشنوق

وأقبل بيرى الجلاد وقيد ذراعيه وساقيه ووضع القناع على وجهه ، ثم عقد الحبل حول عنقه . كان كل شيء معدا لعملية الشنق ، ولم يبق الا أن تجذب الرافعة حتى يهبط المشنوق الى حتفه

وجذبت الرافعة ، ولكن لم يحدث شيء ، وظلت « الطبلية » مكانها

ونقل المشنوق من مكانه وجيء بالنجارين لاصلاح الخلل حتى اذا أتموه، جيء بالمحكوم عليه ، ووقف فوق الطبلية ثم جذبت الرافعة للمرة الثانية ومرة أخرى لم يحدث شيء

وظل المحكوم عليه هادئا ، أما الحاضرون فقد اضطربوا ، حتى ان أحدهم قد أغمى عليه من الخوف ، غير أنه كان لا بد للباقين من اتمام مهمتهم

ونقل جون لى من فوق المشنقة للمرة الثانية ، واستدعى المهندسون الذين شيدوا المشنقة لاصلاحها حتى لا يتكرر هذا الامر للمرة الثالثة

وجيء بجون لى ، وأوقف فى مكانه الاول،وربطت يداه وساقاه وعنقه، ثم جذبت الرافعة للمرة الثالثة وللمرة الثالثة لم يحدث شيء

ولم يستطع منفذوا الاعدام التجلد بعد ذلك • فنقلوا جون الى سجنه وقدم التماس الى وزير الداخلية فخفف الحكم الى السجن مدى الحيـاة وقد أفرج عن جون لى بعـد ٢٢ سـنة ، فهاجر الى أمريكا ، وعاش ذلك الرجل الذى شنق ثلاث مرات ولم يمت حتى بلغ السابعـة والستين من عمره • ويقدرون وتضحك الاقدار !

# زوجتان لمسيحى



**فريد هوويل** رجل انجليزى يناهز الخامسـة والثلاثين من عمره ، وفى داره تقيم زوجتـاه ، الزوجة الاولى مسز دوريس هوويل وعمرها اثنان وثلاثون عاما ، ولها من زوجها ثلاثة أطفال أكبرهم فى الخامسة عشرة من عمره ، أما الزوجة الثانية فتدعى مسز وينى هوويل وهى فى الحادية والعشرين من عمرها ، ولها طفل فى الثانية من عمره

والعجيب فى أمر هذه العائلة أنه لا يحـدث أى نوع من الشجار بين الضرتين ، بل انهما فى الحقيقـة صـديقتان حميمتان ، وان كانت أسرة الزوجة الثانية غير راضية عن هذه الحال ، وتعتبر انه موقف شاذ لا يليق

وقد يعجب القارىء من مثل هذه القصة لأنه يعلم ان الدين المسيحى يحرم تعدد الزوجات ، والى القارىء القصة على حقيقتها

منذ سبعة عشر عاما تزوج فريد هوويل زوجته الاولى،ثم حدث بينهما طلاق فتزوج زوجته الثانية فى فبراير عام ١٩٥٣ • ولم تتزوج الزوجة الاولى بعد الطلاق ، فظلت تحمل اسم زوجهـا ، وقد أثار وجـود اثنتين تحملان اسما واحدا هو مسز هوويل دهشة الكثيرين ، ثم أصبح الجميع يطلقون على الاولى مسز هوويل رقم ١ والثانية مسز هوويل رقم ٢

وقد قسمت الدار بين الزوجتين ، فاحتلت الاولى ثلاث غرف ، واحتلت الزوجة الثانية مع زوجها غرفتين اثنتين وتقول والدة الزوج : « ان ابنى أراد بابقاء زوجته الاولى فى داره أن يرعى أطفاله منها ، وأن لا يحرمهم من عطفه وحنانه ، فهم يعيشون فى دار تجمع بين الاب والام »

وأعجب ما فى الامـر أن الزوجـة الاولى هى التى تتولى تدبير المنزل والهيمنة عليه ، وهى التى تتسلم النفقات المنزليـة • والزوجـة الثانية لا تكترث بهذا الموضوع ، وقد رضيت بهذا الموقف فى غير تأفف أو تبرم

وتخرج الزوجتان معا ، وتتبادلان الحديث فى بشر وطلاقة

وستظل هذه الحياة قائمة على هذا النمط حتى تتزوج الزوجة الاولى

وتقول والدة الزوج : « انها حياة غير عادية فى الواقع،ولكن ماذا كان يستطيع ابنى أن يفعله وهو راغب فى العناية بأبنائه من زوجته الاولى؟»

# الخادم الذى حكم امبراطورية

لماذا تلبسين هذا الثوب الباهت الممزق يا امرأة ؟

جمدت المرأة فى مكانها ، ثم دارت حول نفسها ، وعادت من حيث أتت ، لترجع من جديد الى القاعة ، وقد ارتدت ثوبا لا هو باهت ولا هو ممزق !

الرجل الذى خاطبها بهذه اللهجة الخالية من الاحترام اسمه « جون براون » وهو ليس أكثر من خادم فى القصر ، أو هذا على الاقل هو عمله

أما المرأة التى خضعت لأمر الخادم ، وعادت من حيث أتت لتغير فستانها بآخر ، فاسمها « فكتوريا » ملكة بريطانيا العظمى ، وامبراطورة الهند !

الخادم يأمر ، والمخدومة تطيع ، الرجل يبدى ملحوظة ، والمرأة تعمل بها ! فما هو السر الكامن وراء هذا الواقع الغريب ؟

هل جمع بينهما حب أثيم ؟ هل للخادم فضل فى تولى الملكة العرش ، أو الاحتفاظ به ؟ هل أثر براون على فكتوريا بالسحر ، أو بالشعوذة ، أو بالتنويم المغناطيسى ؟

قد يكون هناك شىء من هذا ، أو هذا كله ، أو لا شىء منه على الاطلاق ! لكن الواقع ان هذا الخادم سيطر على الملكة أكثر مما سيطرت هى على رعاياها ..!

تزوجت فكتوريا ملكة الانجليز الأمير ألبرت الالمانى ، وأحبته حبا ملك حواسها ومشاعرها . لكن الانجليز ظلوا يكرهون هذا الأمير الغريب ، أو على الاقل لا يحبونه ، فى الوقت الذى كانت فيه زوجته تسميه « الملاك الالمانى ! »

خرجت معه مرة الى قصر بالمرال لقضاء أيام ، وهناك فى أثناء عاصفة هوجاء ، طلبت الملكة قدحا من الشاى وجاء به خادم من خدم القصر ، وشربت الملكة ثم قالت : « هذا الشاى لذيذ ، لم أشرب فى حياتى الذ منه ! »

ودهشت لسماع الخادم يرد قائلا : « طبعا ، لاننى وضعت فيه قليلا من الويسكى ! »

وكان الخادم الذى أدلى بهذا الرد فلاحا جبليا عملاقا ، نظرت اليه الملكة نظرة اعجاب ، وابتسمت ، ومنذ ذلك الوقت دخل الرجل فى حياتها ،

ودخل أيضا في تاريخ بريطانيا العظمى : هذا الرجل هو : جون براون !

كان عمره اثنين وعشرين سنة يوم أمرت فكتوريا بنقله الى لندن ، واتخذته خادما خاصا لها .
وكان عمرها ثلاثين سنة

ومات زوجها وهي في الثانية والاربعين . وكان جون براون قد ثبت مركزه في القصر ، ولكن نفوذه تضاعف بعد وفاة الأمير زوج الملكة . فقد حزنت فكتوريا على زوجها الى حد ان أخصاءها وأطباءها خافوا عليها من الجنون فصيحات البكاء والنحيب كانت تتصاعد من صدرها وتملأ جوانب القصر .
وقررت الملكة أن تحبس نفسها بين جدران جناحها الخاص وتنصرف الى حزنها أكثر من انصرافها الى رعاية شؤون مملكتها المترامية الاطراف

احتجبت فكتوريا عن رعيتها ، وهبط نفوذها ، وفقدت شعبيتها ، وتأثر حب الانجليز التقليدى للجالس على العرش بسبب هذا السلوك الذى لم يفهموه ولم يقروه ، وارتفعت أصوات في أنحاء المملكة تشير باعلان النظام الجمهورى والغاء الملكية ، ورفع اليها وزراؤها شكايات الشعب ، فثارت ، وهددت ، واتهمت الشعب بأنه قاس ناكر للجميل

وفي وسط هذه الموجة من الاستياء ، وهذه الشكايات المرتفعة من جميع الاوساط ، بدأ نجم جون براون يرتفع أكثر مما يجب ، حتى بلغ الأوج الأعلى !

أصبح الخادم الاسكوتلاندى واحدا من أبناء الأسرة المالكة ، لا تطيق الملكة ان يبتعد عنها خطوة واحدة ، ولا تفعل شيئا الا بارشاده وموافقته

جون براون يختار لها كل يوم الثوب الذى ترتديه ، وألوان الطعام التى توضع على مائدتها ، ويصف لها الدواء اذا مرضت ، ويقف بجانبها

جون براون

اذا ما أرادت أن توقع على أوراق رسمية ، ولا يخرج من القاعة حتى فى حضور رئيس الوزراء أو غيره من كبار المسؤولين فى الدولة

الحكومات الاجنبية تحسب ألف حساب للخادم الذى أصبح « مستر براون » ، وتخطب وده استرضاء للملكة · وجميع الوزراء ، ومعهم النواب واللوردات وعظماء الدولة بلا استثناء ، يكرهونه ولكنهم يخشونه ويتظاهرون باحترامه ، لانهم يعلمون ان هذا يرضى الملكة ويسعدها

انهم جميعا يظهرون غير مايبطنون: ان جون براون وحده هو الصريح فى وسط هذا اللؤم الشامل ؛ انه يشتم الذى يحرقون له البخور · ويعامل الملكة نفسها بقسوة خالية من الادب · والناس يتساءلون : ما السر فى خضوع الملكة فكتوريا لهذا الخادم الجلف الذى هبط من جبال اسكوتلاندا ؟

انها تتمرد على وزرائها وترفض الموافقة على الكثير من آرائهم ومشروعاتهم ، وتتمرد على رغبة الشعب نفسه ، ولكنها تخضع خضوعا أعمى لارادة الخادم الذى أصبح سيد القصر الحقيقى ، ومن ثم أصبح يحكم بريطانيا العظمى من خلال الملكة وبواسطتها

هل أحبته فكتوريا ، فسيطر عليها الرجل سيطرة العشيق على عشيقته؟ قال بعضهم هذا · ولكن هذه التهمة التى أرادوا الصاقها بفكتوريا لا تجد دليلا ملموسا يثبتها ويبرزها ، ولم يحاول مؤرخ واحد التدليل على علاقة من هذا النوع بين الملكة والخادم···

اذن ، أين السر ؟

هل كان براون من السحرة والمشعوذين ، فتمكن من السيطرة على عقل المرأة بأعمال تمت الى السحر والشعوذة ، وهما رائجتان فى بلاد اسكوتلاندا ؟

أم انه كان يجيد التنويم المغناطيسى، فأثر على الملكة بقوته الكامنة ، وجعل ارادته تتحكم فى ارادتها ، وتسوقها الى حيث يريد هو ، وكيفما أراد ؟

انه جلف قليل التهذيب ، هذا صحيح ، ولكنه من ناحية أخرى شديد الوفاء ، بعيد الاخلاص للملكة التى أسلمت اليه قيادها

هاجمها مرة رجل مجنون وبيده مسدس ، فهب براون ، ووقف حائلا بين الملكة والمعتدى معرضا صدره للرصاص الذى لم ينطلق ، لان المسدس كان فارغا ··· ولكن الحادث كان له وقعه فى نفس الملكة ، وعند الشعب أيضا

ومرة أخرى ، وثب براون على رجل أراد أن يقتل الملكة بخنجر ، وانتزع السلاح من يده ، وألقاه أرضا ، وسلمه للبوليس !

كانت فكتوريا تضع على مكتبها تمثالا نصفيا لزوجها الامير البرت ، وكلما عرض عليها أمر واضطرت الى اتخاذ قرار ، أو وضع توقيع على وثيقة ما، كانت تنظر أولا الى التمثال تستوحيه الرأى والنصح ، ثم تنظر الى جون براون الواقف وراءها ، وتأخذ موافقته أيضا ، بالاشارة ، فتوقع أو تمتنع عن التوقيع ، أو تؤجل قرارها الى وقت آخر !

ذلك الخادم كان مدمنا على شرب الخمر ، وعندما تبعث اليه الملكة واحدا من زملائه لينـاديه ، كان يجيب بعبارة واحدة لا تتغير : «ألا تعلم هذه المرأة اننى فى مثل هذه الساعة سكران ؟ »

أما أفراد الاسرة ، فانهم كانوا يغارون منه ويكرهونه فى آن واحد ... ولى العهد ، ادوارد ، كان اشد أفراد الاسرة كرها له ٠ وكان صغيرا ، وقد ضربه جون براون أكثر من مرة ، فشكاه الى أمه الملكة ، التى سكتت ولم تقل شيئا ٠ وادوارد هو الذى أصبح فيما بعد الملك ادوارد السابع

وانتهى حكم جون براون ــ أو على الاصح انتهى ملكه ــ فى سنة ١٨٨٣ ، أى بعد أن لازم الملكة فكتوريا مدة ٢٢ سنة منذ وفاة زوجها البرت !

يوم وفاته ، لم يتمالك أفراد الاسرة المالكة اظهار فرحهم ، فذهبوا لمشاهدة التمثيل وشربوا وضحكوا وعربدوا ٠ ولم يكن حزن الملكة على وفاة خادمها الأمين بأقل من حزنها على وفاة زوجها المحبوب

وأرادت أن تكتب سيرة حياته ، وبدأت فعلا فى كتابتها ، ولكن أسرتها تمكنت من اقناعها بالعدول عن المضى فى هذا العمل ، ولكن المقتطفات التى نشرت من مذكرات فكتوريا سنة ١٨٨٤ ، تذكر اسم براون مرة أو أكثر فى كل صفحة من صفحاتها ٠ وملأت الملكة قاعات القصر بصور الخادم الراحل وتماثيله النصفية ٠ وصارت تذهب كل سنة الى اسكوتلاندا لزيارة قبر براون ونثر الازهار عليه يوم ذكرى وفاته فى القصر الذى أهدته اليه هناك، وأقامت عليه نصبا تذكاريا لا يزال موجودا الى الآن

ولما ماتت الملكة ، وخلفها ابنها ادوارد سنة ١٩٠١ ، أمر الملك الجديد بنزع جميع صور براون من قاعات القصر ، واتلاف التماثيل النصفية التى تملأ جوانبه





تساءل المؤرخون : كيف استطاع هذا الملك ان يكون فى آن واحد ملكا مصلحا وقائدا شجاعا ورجلا محبوبا ؟

غرام الملوك

# فرانسوا الأول

## الملك العربيد

من حسن حظ الملك فرنسوا الاول ، الذى جلس على عرش فرنسا من سنة ١٥١٥ الى ١٥٤٧ ، والذى عاش ٤٧ سنة ، ان تفاصيل حياته الخاصة ليست معروفة للناس بقدر ماعرفت اعماله العامة ، او الحوادث التى وقعت فى عهده وطبعت ملكه بطابع المجد والعظمة . فهذا الملك يعد رجلا عظيما ومن نوابغ المعاصرين الذين عاشوا معه ، اذا حكمنا عليه من الاعمال العسكرية أو السياسية او غيرها . اما اذا أردنا أن نجرد عصره من تلك الاعمال ، ونحكم عليه من تصرفاته الخاصة ، وسلوكه بين الناس ، لوجب علينا ان نغير رأينا فيه ، وأن نقول عنه انه فاسق عربيد . ولوجب أن يلقى عليه القبض ويحاكم ويسجن !

وشأن هذا الملك كشأن كثيرين غيره من الملوك والعظماء فى تاريخ أوربا ، وفى تاريخ فرنسا بالذات ، وهى البلد الذى حكمه فرنسوا الاول ، والذى يعد من نوابغ الملوك الذين يصفهم المؤرخون بقولهم : « الملوك الذين صنعوا فرنسا فى ألف عام ! »

لما شب فرنسوا وجعل يتطلع الى الملك ، كانت فرنسا فى حروب دائمة مع جارتها اسبانيا ، التى كانت من جهتها ، فى ذلك الوقت ، قد حررت نفسها من الحكم العربى ، بما احرزه ملكها فرديناند من انتصارات ، وكانت تلك الدولة تثب وثبة بعد وثبة ، وتوسع ملكها بصورة جعلتها

فى مدة وجيزة سيدة اوربا على الاطلاق ، فى عهد شارلكان وفليب الثانى وغيرهما

ولكن ماكان يجرى بين جدران القصور كان يختلف فى عظمه ونبله عما يجرى فى ميادين القتال والسياسة

خذ هذا المثل :

كان هنرى الثامن ملك انجلترا الذي تزوج مرارا وقتل نساءه ، كان هذا الملك يريد ان يعقد صلحا مع فرنسا . وكانت اخته مارى ، وعمرها ١٥ سنة ، على وشك ان تصبح زوجة النبيل براندون ، الشاب الجميل . ولكنه ارغمها على ان تصبح زوجة لملك فرنسا لويس الثانى عشر . ولما شكا اليه خطيبها ، قال الملك الانجليزى :

ـ اسمع : ملك فرنسا فى العقد السادس من عمره . وانت شاب . واختى ايضا . وقد قررت ان تذهب انت الى باريس مع اختى لكى تظل ملازما لها هناك كملحق عسكرى !. أفهمت ؟.. الملك شيخ هرم ، وانت شاب ، واختى فى الخامسة عشرة !

وسافر النبيل الانجليزى الى باريس حيث اصبح عشيق الملكة ، عملا بارادة اخيها !

هذا مثل من الاخلاق السائدة فى ذلك العصر !

وهو مثل تبدو فظاعته بأجلى بيان اذا أضيف اليه مايلى :

جاءت الملكة الجديدة الى فرنسا . ومعها الشاب الذى رشحه أخوها ليكون عشيقها . وارسل ملك فرنسا ـ زوجها الموعود ـ ابن عمه فرنسوا ليستقبلها بالنيابة عنه . فأعجبها الرسول وأعجبته . وما مرت بضعة اشهر ، حتى كانت مارى اخت ملك الانجليز ، التى اصبحت زوجة لملك فرنسا لويس الثانى عشر ، عشيقة لجورج براندون الانجليزى ، وللامير فرنسوا الفرنسى ابن عم الملك

وكرت الايام يتبع بعضها بعضا ، وكل من أبطال هذه المأساة يعمل لحساب نفسه والاقدار تنسج خيوطها غير حاسبة لاحد منهم حسابا

مات الملك . واجتمع اقطاب الدولة وكبار الاسرة المالكة وقرروا ان يخلفه على العرش ابن عمه فرنسوا باسم « فرنسوا الاول »

وفى سهرة صاخبة ، اجتمع فيها الملك الجديد مع لفيف من اصدقائه ، وبينهم الانجليزى جورج براندون ، والملكة الارملة ، قرر الملك ان تصبح ارملة ابن عمه ، وعشيقته هو ، زوجة لعشيقها الثانى ، براندون !

وتم لفرنسوا الاول ماأراد !

واصبحت ملكة فرنسا السابقة زوجة لبراندون وحملت معه لقب دوقة سوفولك . وعادت معه الى انجلترا . . .

وبقى فرنسوا فى باريس ، يتابع غزواته الغرامية ، غير عابىء بواجبات العرش وروعته ، ولا بزوجته التى عرفت بسلوكها النبيل معه ، والتى ذاقت معه أنواع العذاب فكانت حياتها جحيما . . .

قال عنه احد اخصائه فى سرد قصة حياته : « أعطته زوجته سبعة ابناء ، ولم يعطها هو يوما سعيدا واحدا ! »

ولكنه ورع طلبه على كل من اراد من نساء الدولة . ووزع عليهن ابصا اموال الجزية !

ان عشيقات هذا الملك العربيد لايقع عددهن تحت حصر . وبعض حوادثه الغرامية من الغرابة بمكان

هزم مرة فى معركة فاصلة ضد خصمه شارلكان ملك اسبانيا ، فوقع فى الاسر ، وساقه شارلكان الى بلاده

وفى سجنه زارته حسناء اسبانية قالت انها جاءت تعريه بأمر من الملك : اسمها شيمان دى انغنتادو ! واصبحت شيمان هذه عشيقة الملك فى سجنه . وقيل انها جاءت لتراقبه لحساب آسره . وقيل ان شارلكان ارسلها فعلا لتكون رفيقة الاسير وتخفف عنه آلام السجن !

وهذا من اعجب ماروى التاريخ عن أولئك الملوك الغريبى الاطوار ...

وبعد أن خرج فرنسوا من سجنه وفك اسره ، طلب من الحبيبة أن ترافقه الى بلاده وتعيش معه فى قصره ، ولكنها رفضت وقالت : « أردت أن أكون صديقتك فى الضراء أما فى السراء ، فانى اترك الميدان حرا لزوجتك ! »

ودخلت شيمان الدير . وقضت بقية عمرها راهبة متعبدة !

ومن النساء اللواتى احببن فرنسوا الاول ، الكونتس دى شاتوبريان ، وهى من نساء فرنسا الممتازات بثقافتها وعلمها الواسع . وقد ذاقت مع الملك العربيد انواع العذاب ، مثل زوجته ، لانها أحبته حبا جامحا أوشك أن يدفعها الى الانتحار !

وعشرات من النساء حدث لهن مع هذا الملك ما حدث لمدام دى شاتوبريان

ولم يحصر فرنسوا علاقاته الغرامية بالاوساط التى تسمى « راقية » اى مع الاسر الكبيرة النبيلة التى تعيش حول العرش . بل تعدى ذلك الى الاوساط الشعبية ، وبحث عن الحسان بين الفلاحات والعاملات والخدم !

ومن أشهر حوادثه ، ماوقع له مع ابنة المهرج « تريبوليه » وهذا الحادث اخذ موضوعا لمسرحية « مضحك الملك » للشاعر الاكبر فكتور هوجو ، وترجمت هذه المسرحية الى اللغة العربية ومثلها فى مصر الاستاذ جورج ابيض ...

كان تريبوليه قزما مهرجا يعمل فى قصر الملك لويس الثانى عشر ، ثم انتقل الى قصر فرنسوا الاول ، وعرف فى التاريخ بين أشهر المهرجين وكانوا يسمونه : « مضحك الملك » وكان هذا الرجل رفيق فرنسوا فى عربدته ولياليه الحمراء . ويقال انه كان يحرضه على تغيير عشيقاته واحدة بأخرى ، ويمهد له الطريق للوصول الى بنات الشعب لانه هو — تريبوليه — من ابناء الشعب

وكان للمهرج ابنة جميلة تدعى مارى — مثل ملكة فرنسا التى احبها الملك قبل توليه العرش . ولكن المهرج أخفى ابنته عن انظار سيده ومولاه لانه خاف عليها الوقوع فى شركه . وهكذا كان يحرض الملك على الاعتداء على بنات الغير ، من



وفتح المهرج « تريبوليه » الكيس على ضوء القمر فوجد فيه جثة ابنته التى قتلها اللصوص محل الملك

ناحية ، ومن ناحية اخرى يخفى عنه ابنته الجميلة خوفا عليها منه !

ولكن الاقدار تعاقب الذين يتآمرون عليها : فان فرنسوا الاول عرف الفتاة واتصل بها ولكنه لم يعرف انها ابنة المهرج الذى يضحكه بنوادره وحركاته البهلوانية

واطلع الاب ـ المهرج ـ على ماحدث ، فأراد ان ينتقم من الملك بأن يقتله لانه الحق به وبابنته العار . ولكن الفتاة هى التى تموت . ويقف تريبوليه واضعا قدمه على كيس يحوى جثة يظنها جثة الملك ، الذى أرسل الرجل من يقتله ويجيئه بجثته ، ولكنه عندما يفتح الكيس على ضوء القمر ، يجد فيه جثة ابنته التى قتلها اللصوص محل الملك !

ويقع تريبوليه على جثة ابنته صائحا : « قتلت ابنتى ! على اللعنة ! »

أما الملك ، فانه يواصل غزواته النسائية ، ويموت فى السابعة والاربعين من العمر بعد أن يملأ أيامه خزيا وعارا . . .

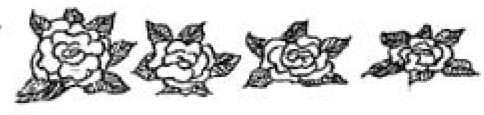
ويقال ان فرنسوا الاول ، مثل غيره من ملوك فرنسا ، اصيب بلوثة فى جسمه انتقلت عدواها الى الملكة ، وانه مات من عواقب هذا المرض !

ح . ج



## أشهر الاوبرات

# قصة غادة الكاميليا



تقديم وتلخيص دكتور محمود احمد الحفنى

المراقب العام السابق للموسيقى بوزارة التربية والتعليم

**وضع** اسكندر دوماس الصغير قصة غادة الكاميليا عام ١٨٤٨ وقد استلهمها من واقع الحياة ، اذ جرت حوادثها فعلا في باريس قبل منتصف القرن التاسع عشر ، وكانت بطلتها غانية تنكبت الطريق السوى وماتت قبل ان تتجاوز الثالثة والعشرين ربيعا

لم تمض سنوات قليلة على ظهور تلك القصة حتى شاهدها الموسيقار فردى تمثل على المسرح الفرنسى بباريس فأعجب بها ورأى صلاحيتها لموضوع اوبرا يقوم هو بتلحينها . وطلب الى صديقه الشاعر فرنسكو ماريا بيافا سرعة اعدادها لهذا الغرض في نظم ايطالي فانجزها له . واطلق عليها اسم « ترافياتا » بدلا من الاسم الاصلى « غادة الكاميليا » . وترافياتا لفظ ايطالي معناه المنحرفة . وترمز تلك التسمية الى بطلة القصة

□

ترفع الستار عن احد مناظر باريس في عهد لويس الرابع عشر يوم كانت في اوج عظمتها وعنفوان عزها . وقد اشتهرت وقتئذ بصالوناتها التى تلتقى فيها اكبر الشخصيات الباريسية . وكان صالون فيوليتا فاليرى احدى غانيات باريس وقتئذ من أفخم هذه الصالونات . وظهرت تلك الغانية هذا المساء تستقبل في قصرها طائفة من اصدقائها وصديقاتها ، حتى لقد اجتمع لديها حشد كبير من شباب النبلاء يمرحون ويسمرون في جو صاخب من الموسيقى والغناء . وكانت فيوليتا امرأة لعوبا فتانة رائعة الحسن تلتقى عندها عيون

الجميع وهى توزع بينهم السعادة بنظراتها الخلابة وابتساماتها الجذابة وحديثها الحلو وطلعتها الساحرة .

ولئن حاولت أن تظهر بين ضيوفها هذه الليلة على نحو ما تعودوا فى مظهرها من نشاط ورشاقة ومرح الا انها كانت متعبة ، فقد بدل طول السهر من صحتها حتى عرف الداء طريقه الى جسدها الفاتن وسرت العلة فيه بما ينذر بأوخم العواقب. ولكنها تحاول اخفاء ذلك عن ضيوفها فلا تزال على عهدها تتهادى بينهم فتفيض عليهم من سحرها سعادة شاملة وهناءة كاملة . الا ان اثر الاعياء كان يظهر على محياها فيستبين ضعفها مما تضطر معه الى الجلوس على اريكة الى يسار الصالون التماسا للراحة فيلتف حولها جماعة المعجبين من الاصحاب والاصدقاء

وكان بين الجمع الصاخب فى هذا المساء شاب وسيم حلو القسمات من اسرة من اكبر الاسر الفرنسية الارستقراطية النبيلة يدعى الفرد دى جيرمون ، وقد هام بفيوليتا حبا منذ رؤيته لها من بضع شهور، ولكنه كتم أمر هذا الحب فلم يعلنه لاحد ، وأن كان قد دل عليه تردده على دارها كل يوم اثناء مرضها للسؤال عنها والاطمئنان عليها . وكانت فيوليتا ككل غارقة فى بحر من تهافت المعجبين بها والملتفين حولها من الشبان بما كان يصرفها عن التعلق بأى واحد منهم . ولكنها على الرغم من ذلك كانت تحس فى اعماقها احساسا غريبا كلما اقتربت من الفرد . ولقد تأكدت فى النهاية أن هذا الشعور الخفى لم يكن الاشعور حبها الصادق لهذا النبيل الوسيم . ومع ذلك فقد مضت فى معاملتها له على نوع من التجاهل محاولة أن تقهر تلك العاطفة . ولكن هذا الحب كان يأخذ فى التمكن من قلبها يوما بعد يوم . وعلى الرغم من تعلقها بهذا الشاب بما لم تحس مثله نحو احد من المعجبين بها قط فقد رات من الخير له أن تتجاهل حبه وان لا تحبس نفسها عليه وحده

وكان الفرد على الرغم مما يلقاه من صدودها عنه وجمود معاملتها له واهمالها لشأنه قد صح عزمه ان ينتهز فرصة هذه الليلة فيفضى لها بحبه ويبثها هيامه وغرامه

وصحبت فيوليتاضيوفهاالرقص فى البهو الخلفى من الصالون وبذلت من الجهد ما جعل السعال يشتد عليها وظهر عليها الاعياء مرة اخرى مما اضطرها الى العودة للجلوس على اريكتها طلبا للراحة . وقد توسلت الى ضيوفها واصدقائها راجية أن يستمروا فى مرحهم وسمرهم ورقصاتهم بعدان استطاعت ازالة مخاوفهم بالاطمئنان عليها بزغم ماكانت تخفيه عنهم من شديد الالم الذى تعانيه وتئن . وطلبت اليهم تركها وحدها لتستريح بضع دقائق تعود بعدها اليهم

وما كادت فيوليتا تحس بانفرادها فى المكان حتى قامت الى مرآة قريبة منها واخذت تتطلع بلهفة الى وجهها فتتنهد تنهدا عميقا لما تراه من شدة

شحوبه واصفراره . وكان الفرد يراقبها خفية عن عيون الجميع فدخل عليها في هذه اللحظة يتوسل اليها أن تعنى بصحتها فانها اغلى شيء عنده . ثم هو يفضي اليها بحبه لها وهيامه بها متضرعا اليها ان تتقبل منه هذا الحب

وحاولت فيوليتا باديء الامر ان تظهر بمظهر الاستخفاف بحبه فطلبت اليه ان ينساها . ثم هي تقدم له زهرة من زهور الكاميليا وتطلب اليه ان يعود لزيارتها عندما تذبل الزهرة . ولكنها تحس انها لن تطيق البعد عنه كل هذه المدة التي لا تتجاوز يوما واحدا فتتخاذل مقاومتها وتفضي اليه بحبها وانها تحمل له في قلبها مثل ما يحمله لها. واذ تأكد الاثنان انهما يتبادلان عاطفة الحب القوية وان هناءة كل منهما في قرب صاحبه فقد قررت فيوليتا ان تضع نهاية لحياتها في باريس وان تغادرها هي وحبيبها حيث يستطيعان ان يجدا معا متعة الحياة وسعادتها

□

اقام الحبيبان في منزل ريفي تمتلكه فيوليتا لا يبعد كثيرا عن باريس حيث استطاعا التمتع بجميع اسباب السعادة بعيدا عن عيون الرقباء . ولقد قضيا معا اشهرا ثلاثة في اكمل هناءة واتم متعة بعيدين عن كل العالم ومن فيه . . . ولكن هل تدوم لهما هذه السعادة الى الابد وهل يظلا ينعمان بهذا الحلم الجميل ؟ !

لقد عاد الفرد يوما الى المنزل وكان قد تغيب خارجه قليلا من الوقت قضاه في الصيد والقنص واذا به عند عودته يلقى « أنينا » وصيفة فيوليتا مرتدية ملابس السفر وقد ظهر عليها الارتباك عندما وقع نظره عليها . ولما سالها انباته انها قادمة لتوها من باريس وكانت قد سافرت اليها لاعمال تختص بسيدتها . وحين الح عليها في السؤال اخبرته بأن مهمتها انما كانت بصدد اجراء الترتيبات اللازمة لبيع عقارات سيدتها وممتلكاتها . وفي الحق ان منزلها الريفي الذي يقطنه الحبيبان كان مجهزا بأروع مظاهر البذخ كما أن معيشتهما كانت من الترف بحيث تحتاج الى مال وفير . ولابد من تدبير الأموال الطائلة لمواجهة ما يستلزمه المضي في هذه المعيشة والابقاء عليها

اخذ الفرد في لوم نفسه وكيف بلغت به الانانية ان يغفل التفكير في مثل هذه الامور الضرورية . وهاله ان تقدم فيوليتا على هذه التضحية من أجله . وقرر أن يسافر في الحال الى باريس لايقاف عملية البيع بعد ان يقوم بسداد المال اللازم لذلك وهو مبلغ غير يسير . وطلب الى «انينا» كتمان هذه الخطة عن سيدتها واخبرها انه عائد من باريس بعد بضع ساعات

واذ كانت فيوليتا منفردة وحدها بالمنزل بعد سفر حبيبها هذا السفر الذي لا علم لها به ، فقد فوجئت بحضور زائر غريب . وكانت تقرأ

خطابا ورد اليها من احدى صديقاتها المقربات « فلورا بيرفوا » تدعوها لحضور حفل كبير تقيمه الليلة فى قصرها الفخم بباريس ،وقداعتزمت فيوليتا عدم اجابة هذه الدعوة اذ لم تعد مثل تلك الحفلات لتجتذبها . وبينما هى تقرأ هذه الرسالة دخل الزائر مقتحما عليها الغرفة . انه رجل كهل ، تظهر عليه ملامح النبل والارستقراطية ، وقد قدم نفسه اليها . انه والد الفرد دى جيرمون. وقد اتم جملته هذه بقوله : الفرد دى جيرمون الذى تقودينه الى الدمار

ارتاعت فيوليتا عند سماعها هذه الكلمات من زائرها الغريب وهالها سلوكه معها . ولكن هذا الرجل الكهل وقد بهره جمالها فقد اخذ يخفف من ثورته واستمر فى ايضاح مهمته الشاقة فى لهجة اكثر هدوء وان كانت لا تخلو من عجرفة وكبرياء . انه يطلب اليها ان تهجر الفرد ولده فان صحبتها له ستدمر سمعته الاجتماعية بوصفه من أكبر الاسر الفرنسية العتيدة.، ثم هى ايضا تقضى كذلك على مستقبل شقيقة الفرد .فقد هدد احد النبلاء من اصحاب الاسماء العريقة بفسخ عقد قرانه بها عندما علم أمر اتصال شقيقها بغانية معروفة للجميع ثم قال الكهل : « وانه يرفض الانتماء الى أسرتنا والارتباط بها مالم ينته الامر بينكما »

ظنت فيوليتا أول الامر أن المطلوب منها أن يكون فراقها من الفرد فراقا مؤقتا ريثما يتم زواج شقيقته ، ولكن الشيخ اكد لها انه يطالبها بتضحية أكبر . انه يطلب أن يكون فراقهما ابديا وان لا يتقابلا اطلاقا. وراعها الطلب فأبدت استحالةاجابته فليس فى مقدورها الانفصال عن الرجل الوحيد الذى تحبه حبا صادقا اكيدا ، وليس فى طاقتها احتمال البعد عنه

اخذ الشيخ بفجيعتها وتاثر بألمها ولكنه استمر فى اقناعها بانه ينبغى ان تقدم مصلحة حبيبها على ارضاء عاطفتها . ثم هو يتوسل اليها أن تعمل على بناء مجد الفرد وانقاذ سمعة اسرته ، ولا ريب انها ستظل فخورة دائما كلما احست انهاانقذت شابا وحالت دون خراب بيت ، وان الله وحده هو الذى يثيبها على هذا الاحسان الذى تقدمه لهذه الاسرة ، وانها لتضحية لا تنسى ...

فاضت عين فيوليتا بالعبرات وهى تستمع الى هذا الحديث الممض وقد اقتنعت بصدق قوله من ان الفرد باتصاله بها يخسر اسمه وسمعته . واذ كانت تحبه حبا صادقا فقد قررت ان تضحى بنفسها من أجله. وأجابت الشيخ فى صوت متهدج ذليل أنها ستهجر الفرد فى نفس هذا اليوم وانها تعده بأن يكون فراقهما ابديا

تاثر الشيخ بنبل فيوليتا وكرم اخلاقها واقبالها على هذه التضحية التى هى بلا شك فوق طاقتها ومقدور احتمالها ، فزاد عطفا عليها وافاض فى اعتذاره عن موقفه الذى

اضطر اليه اضطرارا . ثم ودعها وغادر المكان انتظارا لعودة ولده

وتنفيذا لوعدها اعتزمت فيوليتا اجابة دعوة صديقتها لحضور الحفل الذى سيقام فى مساء الليلة فكتبت لها بما يفيد القبول

ثم اخذت فيوليتا فى تدبيج رسالة تودع فيها حبيبها الفرد الوداع الاخير . ولم يكن من اليسير عليها كتابة هذه الرسالة ، ولكنها وقد وعدت فلا بد أن تبر بوعدها من اجله هو .

وما كادت تنتهى من تلك الرسالة حتى دخل عليها الفرد وقد راعه ان رآها باكية فأقبل عليها يسألها ما بها ، فالتمست منه أن يسمعها انه يحبها ، فعانقها بحرارة مؤكدا لها حبه . ثم أبلغها وصول نبأ من والده بأنه سيحضر الى هنا الآن وانه ينتظر حضوره فى كل لحظة . وساد صمت رهيب . . ثم خرجت فيوليتا الى حديقة المنزل تاركة الفرد وحده . واسرعت فاستقلت مركبة الى باريس بعد أن سلمت وصيفتها رسالة الوداع لتسليمها لالفرد بعد سفرها

واذ كانت فيوليتا فى طريقها الى باريس تسلم الفرد الرسالة من الوصيفة . وحين قراها فاض به الاسى وقد أمضه أن يكون فراقهما للأبد . وقد قررت فى رسالتها انها ستعود الى حياتها الاولى . ثم هو يرى على مائدة فيوليتا الدعوة التى وجهتها اليها صديقتها فلورا يرفوا لحضور حفلها الفخم للرقص التنكرى فيغلى الدم فى عروقه ، وتكاد الغيرة تأكل قلبه . وذهب به سوء الظن الى أن حبيبته انما غدرت به وقد ملت حبه والاقامة معه فهجرته ، ولابد أن تكون قد قصدت هذا الحفل لتلهو فيه ولتلتقى هناك بحبيبها القديم البارون دو فال الذى يعده اكبر منافس له فى حبها ، اذ لابد ان يكون هو الآخر مدعوا الى هذا الحفل . ويزيد هذا التفكير نار الغيرة فى قلبه التهابا ، فيقرر ضرورة ذهابه الى هذا الحفل هو ايضا

ويدخل عليه والده حينئذ ، وعبثا يحاول تهدئته وصرفه عن حب فيوليتا والتفكير فيها والانقطاع اليها . ويطلب اليه العودة الى منزله ويعيد عليه ذكريات صباه وكيف تنتظره مثل تلك السعادة التى ترعرع فيها منذ نشأته . ولكن ذلك لم يزده الا تشبثا بضرورة متابعة فيوليتا والذهاب لمقابلتها فى الحفل لبتعرف الحقيقة بنفسه . واندفع خارجا قاصدا الى باريس . واذ خاف الوالد على ولده مغبة هذه المقابلة وهو فى مثل هذا الاضطراب النفسى فقد اندفع وراءه يتبعه علة يستطيع أن يعيده الى رشده

وعندما وصلت فيوليتا الى قصر صديقتها فلورا وجدت الحفل يعج بالمدعوين وقد غمرهم الفرح والابتهاج بحضورها فتضاعف مرحهم وطربهم ، وكان بينهم البارون دو فال الذى ما كاد يراها حتى اقبل عليها مهللا مرحبا . وسرعان ما تأبط ذراعها

واخذ يتنقل معها من حجرة الى حجرة فى زهو وخيلاء

وحاولت فيوليتا أن تكتم آلامها وان تظهر بمظهر من يسهم فى اللهو الذى وجدته . وما كادت تصل مع صاحبها الى مائدة اللعب حتى فوجئت بدخول الفرد ، فاصابها هلع وفزع . اما الفرد فانه بعد ان رآها تتابط ذراع البارون دو فال فقد تحقق ظنه من أنها لم تهجره الا لتستانف علاقتها مع ذلك المنافس البغيض

وعلى الرغم من شديد غيرته فقد كظم الفرد غيظه وحاول اخفاء عواطفه فدعى البارون الى المقامرة معه ، واجابه البارون الى طلبه فى صلف وكبرياء

وبدا اللعب بينهما وكانت المبالغ التى يقامران عليها كبيرة كما كان الحظ دائما حليف الفرد الذى ظل يكسب ويكسب ، بينما كانت فيوليتا ترقبه وهو يقامر وتخشى مغبة تلك المقامرة وأن يقع بين الطرفين مالا تحمد عقباه

وقد انقذها من هذا الموقف أن دعى القوم للعشاء فأقبلوا على مائدة الطعام . وانتهزت فيوليتا الفرصة لتخلو بحبيبها الفرد ، وقد توسلت اليه أن يغادر الحفل وانه من الخير له ان ينسحب منه تفاديا لما قد يقع بينه وبين البارون

ساء الفرد أن تتقدم فيوليتا اليه بهذا الرجاء ، وقاده سوء ظنه بها الى أنها فى نصيحتها هذه انما تخشى ان يصيب المكروه حبيبها البارون ، فيعرض عليها قبوله للانسحاب على شريطة ان تصحبه وأن ينصرفا معا . ولكنها تجيبه بأنها لا تستطيع ذلك تنفيذا لوعد قطعته على نفسها مع رجل ما . ويظن الفرد أن هذا الرجل الذى تعنيه فيوليتا ليس الا منافسه البارون . فيسائلها وهل تحبين هذا الرجل ؟ ولم تر فيوليتا مناصا من ردها عليه بالايجاب

هنا يفقد الفرد صوابه وقد تملكه الغضب ومزق قلبه الغيظ فيصيح فى القوم يدعوهم بأعلى صوته من مائدة الطعام ليعلن امام الجميع احتقاره لفيوليتا التى يعترف أنه كان يحبها . ثم هو يرمى بكيس نقوده الضخم تحت قدميها ثمنا لما عساها ان تكون قد قدمته له فى الوقت الذى كانت تدعى فيه حبها له

كان شديدا على فيوليتا ان تكون هدفا لمثل هذه الاهانة وان تسمع هذه الكلمات القاسية من حبيبها الذى لم تشعر يوما لانسان غيره بحب صادق ، فخارت قواها وارتمت على صدر صديقتها فلورا . وكان الوالد دى جيرون الكهل من شهود هذا المنظر المؤثر فقد تبع ولده الى هذا الحفل

اما البارون فقد غاظه ان يرى هذا الشاب يقدم فى هياجه على مثل هذه الاهانات يصيب بها سيده هى موضع حبه واحترامه فيدعوه الى المبارزة اذ انها الطريق الوحيدة لغسل هذه الاهانات . ويقبل الفرد دى جيرون هذه الدعوة من البارون

أسرعت فيوليتا بالعودة الى بيتها الريفي حيث أقامت فيه وحيدة بائسة . واصابها الهزال يوما بعد يوم . وعاودتها العلة على أقسى صورة فلازمت الفراش تقوم على خدمتها وصيفتها الامينة « أنينا » .

ولقد فقد الطبيب كل امل في شفائها. وفي ذات صباح حاول الطبيب ان يرفع من نفسيتها فأظهر لها تفاؤله وطلب اليها ان تجدد نشاطها وتشد قامتها ، ولكنه حين هم بالخروج أسر الى « أنينا » أن الامر لن يطول بسيدتها اكثر من بضع ساعات تسلم بعدها الروح

وتلقت فيوليتا وهي طريحة الفراش خطابا ملأ قلبها بهجة وانشراحا وأعاد اليها أمل الحياة . انه رسالة من الوالد جيرون الكهل الارستقراطي المتكبر الذي طلب اليها من قبل الابتعاد عن ولده وان تهجره ولكنه اليوم يتوسل اليها وقد اعجب بنبلها وبطولتها وعظيم تضحيتها ان تقبل حب ولده الفرد ، وان اكبر امنية له ان يراهما زوجين . ثم يذكر في رسالته ان البارون دوفال كان قد جرح في المبارزة وانه تماثل للشفاء. أما الفرد فانه لم يصب بسوء وكان قد غادر البلاد الى الخارج . واختتم الوالد رسالته بأن يزف اليها اكبر خبر يسعدها وهو ان ولده في طريقه اليها بعد ان علم منه تفاصيل القصة وتبين مدى تضحيتها من اجله وعظيم نبلها وفائق حبها له، وسيقدم لها اعتذاره عن كل ما بدر منه وعن تهمته لها بأنها قبلت حب البارون دوفال

ولم تمل فيوليتا من استعادة قراءة هذه الرسالة المرة بعد المرة .

وما كادت تنتهي من احدى تلك القراءات حتى كان الفرد يستأذن في الدخول عليها . وتقابل الحبيبان، والتقيا في عناق طويل وقد احتواها الفرد بين ذراعيه في اسى ولوعة وهو يسائلها ان تعفو عنه وان لقاءهما اليوم لافراق بعده ، ويطلب اليها ان تعود معه الى باريس حيث يعيشان في اتم سعادة وهناءة

لم تحتمل فيوليتا المريضة تلك الصدمة المفاجئة فراحت على اثرها في اغماءة طويلة هي اشبه بالموت . واضطروا للتعجل بطلب الطبيب . وقد ركع الفرد امامها في اسى ولوعة. ودخل الوالد الكهل يقرر انه فخور بان تكون فيوليتا ابنته ويريد ضمها الى صدره . ويقبل الطبيب فيلقى عليها نظرة بائسة . انها تحتضر

ولكن فيوليتا وقد أفاقت في صحوة قصيرة استجمعت قواها لتودع الفرد الوداع الاخير وهي تسلمه صورتها ليحتفظ بها حتى يقدمها هدية منها لزوجته المستقبلة التي تهبه قلبها وتمنحه حبها ، أما هي فسترفع صلواتها في السماء من اجل سعادتهما . ثم تلقي برأسها على الوسادة وقد انحنى الفرد فوقها وهو يصيح ويتوجع من شدة الالم . ان فيوليتا الجميلة قد فارقت الحياة

قصـــة مصرية

# ظالم

بقلم محمد كامل حسن المحامى

**وتطلعت العيون الى عدل القاضي ، وكل واحد يجهل تلك الرغبة الخفية التي تلح عليه أن يصبح ظالما .. ولو لبضـــع ساعات !**

**ما كاد** عبـــد الحميد توفيق يخلو الى نفسه حتى شـــعر براحة غريبة فتنهد في عمق ، وألقى بنفســـه على المقعد الوثير ، ثم مر بيده على جبينه الواسع ، وأغمض عينيه في عصبية ثم فتحهما مرة واحدة كأنه يريد أن يهرب فجـــأة من الافكار والهواجس التى تهاجمه اذا ما أغمض عينيه

ولكنه رغم ذلك وجـــد نفسه من حيث لا يدرى يسترجع الحوادث التي مرت به في الليلة الماضية ، فاشعل لفافة تبغ ، واستسلم لذاكرته التى تلح عليه في معاودة كل ما دار بينه وبين تلك الزوجة التى كان ينتظر السعادة على يديها

لقد ظل عبد الحميد توفيق زاهدا في الزواج حتى أوشكت به سنوات العمر على أن يلج الحلقة الرابعة من حياته ، ولم يكن زهده في الزواج عن عبث أو حب للمجون ، فقـــد كان بطبيعة تنشئته رزينا هادئا ، ولكن حياة أخيه الاكبر اســـماعيل كانت تورث في نفســـه خوفا من الزواج انقلب على مر الايام الى زهـــد حتى قابل زوجته منذ ثلاث سنوات

كان اسماعيل شقيق عبد الحميد توفيق قـــد تزوج وهو في الثانيـــة والعشرين من فتاة تصغره بعامين ، تزوج عقب تخرجه من كلية الحقوق مباشرة ، وكان طموحا واسع الآمال، فأودع كل آماله بين يدى زوجته ، واتفق الاثنان وهما في ربيع الحب على رعاية هـــذه الآمال التى كانت تنحصر في أن يفتتح اسماعيل توفيق مكتبا للمحاماة ويضرب بسهم وافر في ميدان الاعمال الحرة

وتذكر عبد الحميد أنه لم يكد يمضى عام واحد على زواج شقيقه اسماعيل من خطيبته التي تصغره بعامين حتى انقلبت حياتهما جحيما !

كان عبد الحميد في ذلك الوقت يعيش مع أخيه وما زال يدرس هو الآخر في كلية الحقوق ، كانت لاتمر

ليلة دون حدوث شجار بين الزوجين، وكان الشجار يحدث لأتفه الاسباب ولم يكن أحدهما يدرى متى يبدأ الشجار ومتى ينتهي ! فقد يجلس اسماعيل ـ بعد عودته من مكتبه ـ يضاحك زوجته ، أو يجلس هادئا يلتمس لأعصابه الراحة ، واذا بحديث عادى ينقلب الى مناقشة وتنقلب المناقشة الى شجار ، فيعلو صوت الزوجة حتى يصبح أشبه بالصراخ ، ويحتدم بها الغضب حتى أن ملامح وجهها الجميل تنقلب الى لون عجيب من القبح ، رسمه الحقد والرغبة العمياء فى تغليب آرائها التافهة !

ولا تلبث الزوجة أن تنام بعد المعركة ، ويعلو شخيرها كغيرها من النساء المشاغبات ، ويظل شقيقه اسماعيل مسهدا ، قلقا ، حانقا ، يشكو اليه تارة ، ويحرق رئتيه بالتدخين المستمر تارة أخرى ، حتى يغلبه الارهاق ، فيسقط فى نومة هى أقرب ما تكون الى الاغماء

تذكر عبد الحميد توفيق كل هذا فى لحظات ، وتذكر كيف انقلبت حياة أخيه جحيما ، فأصبحت أمام ناظريه كتحذير حى ! ولكنه كان يعتقد أن أخاه وقع فى خطأ كبير ، لأنه تزوج من فتاة تقاربه فى السن، فهى والحالة هذه لا تشعر نحوه باحترام يذكر ، وأساس السعادة الزوجية الاحترام المتبادل • كما أن أخاه لم يدرس أخلاق زوجته قبل الاقدام على خطبتها ، وعلى ذلك كان زهد عبد الحميد فى الزواج يخفى رغبة دفينة فى العثور على زوجة تتوافر فيها الشروط التى لم يبال بها أخوه الاكبر اسماعيل

وظل عبد الحميد يبحث عن هذه الزوجة تارة ، وترهبه ذكرى شقاء أخيه تارة أخرى ، حتى أوشك أن يفلت به العمر من الحلقة الثالثة ، ويخطو الى شباب الشيخوخة

وأخيرا ، ومنذ ثلاث سنوات ، وجدها ••• وجد السعادة المنشودة، أو خيل اليه أنه عثر على الزوجة التى تبنى له عش الهناء ، وتمنحه عاطفة هى مزيج من الحب والاحترام والتقدير !

لم تكن الفتاة التى اختارها عبد الحميد من أسرة كبيرة ، بل كانت أسرتها عادية ، أو أقل من العادية ، ولكن فقر الفتاة ، وفقر أسرتها ، كان من أهم الاسباب التى شجعته على اختيارها ، فسوف يرتفع مركزها الاجتماعى بزواجها منه ، وما دامت الزوجة تشعر بأن زوجها رفعها من طبقة الى طبقة أخرى ، فسوف تظل طوال حياتها توليه من الاحترام ما يثلج صدره ويدفىء عواطفه

ولم تكن تلك الزوجة على جانب يذكر من الثقافة، انها أتمت دراستها الابتدائية ، وسارت شوطا قصيرا بعد ذلك فى دراسات متناثرة متعثرة، وهذا الامر كذلك شجع عبد الحميد

على اختيارها، فسوف يكون أستاذها في كل شيء ، وسوف يلقنها مبادئه، فيضمن بذلك تحطيم العقبة التى تشقي كل زوج ، ألا وهى غرور الزوجة واعتزازها الاعمى بثقافتها، اعتزازا طالما يترك فى كبرياء الرجل جروحا لا تندمل بعد كل مناقشة !

وأيد نظرية عبد الحميد توفيق فى السعادة الزوجية أن الفتاة التى اختارها كانت تصغره بسنوات ، وكانت تتعلق به وتبنى كل آمالها عليه · ان فارق السن سوف يجعلها تحترمه بطبيعة الحال

واتكل على الله ، وتزوجها · تزوجها رغم معارضة أخيه ، ورغم معارضة كل معارفه · فقد كانت الفوارق بينهما أصعب من ان يفهمها الناس ، ولكنه كان مقتنعا بنظريته كل الاقتناع · كان لا يريد من الحياة، وقد بلغ الاربعين من عمره ، الا السعادة ، والهدوء ، والاستقرار ولكن !···

وهنا ضحك عبد الحميد ضحكة ساخرة ! ان هذه الزوجة التى توافرت فيها كل شروط نظريته العجيبة فى السعادة الزوجية أصبحت مصدر قلقه ، بل وسبب شقائه ! يا للسخرية !

انها تناقشه مناقشة لا تنطوى على أى احترام ، لقد نسيت كل ما بينهما من فوارق ، نسيت احترامها له ، نسيت ثقافته وخيل اليا أنها أعمق منه تفكيرا وأثقب نظرا ! انها لا تطيق أن يعارضها فى رأى ، صارت تتحدث فى علم النفس، وفى الفلسفة ، وفى أصول تربية الاطفال ، وهى التى لم تقرأ عشر معشار ما قرأه فى كل هذه الامور ! ويا ليتها تحادثه فى تواضع ، لقد خيل اليها أنها أصبحت تتربع على عرش العقل والحكمة ، وما هو الا واحد من الرعايا ، مجرد رجل عصبى ، مغرور بثقافته ، ظالم ··· لا يريد من الدنيا شيئا سوى حب السيطرة !

رأى عبد الحميد نفس الشريط السينمائى يدور أمام عينيه ، رأى نفس المأساة التى عذبت أخاه تتكرر من جديد ، مع فارق واحد ···وهو أنه بطلها !

كانت زوجة أخيه التى يقرب عمرها من عمره ، لا يهمها أن تشعل نار الشجار فى أى وقت ، كانت لا تبالى بعودته متعبا من عمله ، أو حتى بمرضه ، فما دامت نوبة غضبها قد آذنت بالانفجار، فلتنفجر وليكن ما يكون ! وهكذا أصبحت زوجة عبد الحميد····انها تصرخ لأتفه الاسباب ، ولا يهمها ان كان مرهقا من العمل ، أو محتاجا الى الراحة · لا يهمها أى شىء الا تغليب رأيها ، فاذا ناقشها فى هدوء ، وخشيت أن يغلبها منطقه ، ادعت فى غرور ان هدوءه ظاهرى ، وأن كلماته تثيرها ، لانه يتعمد هذا اللون من الهدوء القاتل ! ولا يملك عبد الحميد ازاء



لقد اصبحت الزوجة التى توفرت فيها كل شروط نظريته العجيبة في السعادة الزوجية مصدر شقائه فهى تناقشه بلا احترام او تقدير

اتهامها الا السكوت ، انه يعلم أنها تلتمس المعاذير لنوبات عصبيتها ، التى تريد أن تغطى بها فشلها كزوجة قادرة على اسعاد زوجها

وطلب عبد الحميد فنجانا من القهوة ، ثم أشعل لفافة تبغ أخرى ، وساءل نفسه : « أترى كل النساء على هذه الشاكلة ؟ لقد رأى زوجة أخيه ، وعاصر اشقاءها اياه . وهاهي ذى زوجته تكرر نفس المأساة . هل العيب فى النساء ؟ أم العيب فيه وفى أخيه ؟ ؟ »

ليكن صريحا مع نفسه ... إنه حقا يحب السيطرة ، ولا يؤمن بحب زوجة لا تحترم زوجها ، ولكن زوجته كانت تحترمه فى مستهل الزواج ، وكانت تستمع الى آرائه وتؤمن بها دون مناقشة ؟ ما الذى غير أخلاقها؟ ما الذى جعلها تتوهم أنها اصبحت أقوى منه وأحق بتغليب آرائها وبالصراخ في وجهه ؟ ان به نفس عيب أخيه ! قلبه الطيب ... نعم ، ان قلبه الطيب هو أس البلاء !

وهز عبد الحميد توفيق راسه فى بطء ، بعد ما خيل اليه أنه اكتشف سر بلائه ، انه ليس حازما مع زوجته ، كما أن أخاه اسماعيل لم يكن حازما بدوره !

ان زوجة عبد الحميـــد كانت فى نوبات غضبها تقيم الدنيـا وتقعدها لأتفه الامور ، وكان يعلم انها مخطئة كل الخطأ ، ولكنه لا يلبث أن يصفح عنها ، وينسى قلبه الطيب كل شيء ، ويحادثهـا فى ود كأنهـا لم تقلب بالامس سويعات راحته الى ساعات طويلة من السهد والقلق والشقاء !

كانت واثقة من طيبة قلبـه ، ثقة الطفـل المدلل من أن مال أبيه لن ينفد، فتحطم يداه ما يملك وما يملك غيره ، ثم يجهش بالبكاء وهو مؤمن بخطئه ، ومؤمن كذلك بأن أباه سوف يدفع ثمن نزواته ، بعـد أن يجفف دموعه الكاذبة ٠ هكذا كانت تفعـل زوجة عبد الحميد تماما !

ولكن رصيد عبدالحميد من الصبر كاد أن ينفد !

لقد انقلب دلالها الى أنانية ، كانت اذا أصـــيبت بزكام بسيط لزمت الفراش ، وتمارضت ، ولامته أشد اللوم لانه لا يبالى بمرضها الخطير ٠ أما اذا مرض هو وذهب رغم مرضه الى عمله ، وعاد الى منزله ممتقع الوجه شاحبا، لا تتورع عن تعذيب أعصابه فى مناقشة جديدة اذا خطر لها ذلك! بل لا تتورع عن لومه لعدم مصاحبتها الى السينما رغم مرضه الظاهر !

ولم يشعر عبد الحميد بفنجـــان القهوة وهو يوضع أمامه ، لقد كان مستغرقا فى أفكاره ، فلما أشعـل لفافة تبغ ثالثـة ، أطفأ عود الثقاب المشتعل فى الفنجـــان ، ثم تنبه الى ما فعله ، وزاده ذلك غيظا على غيظ، وقرر بينه وبين نفسه أن يضع حدا لهذه الحياة !

ولكن كيف ؟ كيف يضع هـــذا الحد ؟

لقد خاب أمله فى زوجته الشابة، انه يعرف ذلك جيدا ٠ ولكنه يعرف فى نفس الوقت أن ارتكابه جريمة قتل ، أهون على ضميره ألف مرة من مجرد التفكير فى طلاقها ، لقد أصبحت جزءا من حياته ، بل جزءا من كيانه٠ انها فى ثوراتها العصبية أشـبه ما تكون بذراع أصيبت بمرض التهاب الاعصاب ، أو بمرض آلام الليل كما يسميه الاطباء الفرنسيون ، لان آلامه لا تهيج الا اذا جنح صاحب الذراع الى الراحة ليـلا بعد نهـــار مثقل بالمتاعب ! ان صاحب الذراع يتمنى الشفاء ، ولكنـــه لا يقوى ، بل ولا يفكر فى بترها ! ليس أمامه ســوى تحمل الآلام ، وانتظـار يوم الشفاء الذى لا يعلم الا الله متى يكون

اذن، كيف يضع حدا لهذه الحياة ؟

انه مظلوم ، انه بلا شك مظلوم

ان زوجته تعلم ذلك جيدا ، انها ذكيـــة ٠٠٠ لامعة الذكاء رغم فقر ثقافتها ، انها واثقة تماما من أنهـا تظلمه ، فهى خير من يعرف طباعه ٠ ولكنها ــ بلا شك ــ تشعر بلذة غريبة فى ظلمها اياه ! ان الظـالم بلا نزاع يشعر بلون من الســعادة يجعله يستمرىء الظلم ويتـلذذ برؤية آثار

ظلمه على ضحيته . انها سعادة غير مشروعة ، انها تشبه النشوة التى تدير رأس من اعتاد على شرب الخمر،فلا يمكنه الرجوع عنها. فالظلم خمر محرمة على النفوس العادلة ، ولكن الى متى يظل مظلوما؟ الى متى يتحمل ثورات زوجته ، وكلماتها التى لا تنطوى على احترامه؟ الى متى يظل ضحية ظلمها ؟

وشعر عبد الحميد توفيق برغبة دفينة تهدر فى أغوار نفسه ، كما تهدر الحمم فى جوف الارض ، قبل أن تنطلق من فوهة البركان . كانت تلك الرغبة تهدر رغما عنه ، ولم يكن له سلطان عليها ! انها صرخة مكتومة لاحدى الغرائز التى تكون عمد النفس البشرية ... لابد له من أن ينتقم ، من المستحيل أن يقضى طوال عمره مغلوبا على أمره ، مظلوما يعتذر أكثر من مرة لظالمه ، انه يريد أن يكون ظالما ولو مرة واحدة فى حياته ، ان الظلم خمر محرمة على النفوس العادلة، ولكنهم قالوا ان القليل من الخمر يصلح المعدة ، فلا مانع من أن يريح نفسه بقليل من الظلم !

واشتد فى أغوار نفسه هدير تلك الرغبة الخفية ، الرغبة فى أن يصبح ظالما ، ولو بضع ساعات... ولكنه عاجز عن ظلم زوجته !

▭

واستفاق الاستاذ عبد الحميد توفيق من أحلامه على صوت كاتب الجلسة « شكرى افندى » .

لقد ظل كاتب الجلسة ساكنا طوال الوقت ، محترما صمت القاضى عبد الحميد توفيق ، عندما رفع الجلسة للاستراحة،وخلا الى نفسه فى حجرة المداولة ، أو بعبارة أخرى خلا رغما عنه الى التفكير فى حياته المنزلية .

والكاتب يحسب أنه يفكر فى حيثيات الاحكام،فأخلد هو الآخر الى السكون، حتى اذا ما طال صمت القاضى،دون أن يكتب شيئا ، تمتم بكلمات لم يفهم منها عبد الحميد توفيق شيئا ،سوى ادراكه فجأة أنه فى حجرة المداولة !

واتجه الى منصته فى قاعة الجلسة

وتعلقت به عيون كثير من الظالمين والمظلومين ، كل منهم يجهل كل شىء عن تلك الرغبة الخفية التى تلح عليه أن يصبح ظالما ، ولو لبضع ساعات! كانوا يثقون فى عدالته ، وكان هو نفسه يجهل كل شىء عن رغباته الدفينة ! ومهما كانت طبيعة الاحكام التى سوف يصدرها ، فلن يعتبر نفسه ظالما !




سار السجين فى خطى ثقيلة فى ردهات سجن ولاية أوكلاهوما ، وهو فى طريقه الى غرفة الكرسى الكهربائى ، حتى اذا وصل الى الردهة الكبيرة ، رفع انظاره الى قبة هذه الردهة ، واستقرت نظرته على لوحة كبيرة . وظل محدقا النظر فى هذه الصورة مدة دقيقة ، ثم رفع يديه المغلولتين ورسم على صدره علامة الصليب ، وخفض بصره ، وسار فى طريقه الى الغرفة التى لا رجعة منها

وكم من سجين مثله وقف مثل وقفته ، وتطلع الى تلك الصورة الرائعة فى خشوع ثم سار فى طريقه الى الابدية ، بعد أن تزود بنظرة أخيرة من صورة السيدة مريم والسيد المسيح ويوسف ، المرسومة فى قبة تلك الردهة الكبيرة الفسيحة

ان لهذه الصورة قصة عجيبة ، فقد كانت بريشة سجين قضى طوال حياته تقريبا فى هذا السجن

كان كونراد ماس رجلا عجيبا غريب الاطوار . ولد فى برلين من أبوين المانيين ، وبدا عليه منذ حداثة سنه اهتمامه بالفن والرسم ، ولكن الكفاح فى سبيل لقمة العيش لم يمكنه من تكريس وقته للفن

وبعد أن اتم كونراد ماس دراسته الاولى ، هاجر الى الولايات المتحدة واشتغل بناء ، ولم يتصل بأواصر الصداقة الا مع عدد قليل من الناس ، لانه لم يكن يحسن التحدث باللغة الانجليزية

وكان من عادته أن يتناول الطعام وحده ، بعيدا عن زملائه ، معتزلا كل الاجتماعات ، فاذا جن الليل راح يقطع الشوارع وحيدا ، قلقا ، شارد النظرات ، موزع الخاطر

وفى يوم قرر الزواج ، ولما تم زواجه استقر فى اوكلاهوما ، واشتغل قصابا ، بيد أن زواجه لم يكن موفقا منذ البداية نظرا الى اختلاف العقيدة الدينية بينه وبين زوجته . واشتد الخلاف بينهما يوما بعد يوم ، وازداد حقده على زوجته على مر الايام ، حتى جاء وقت لم يستطع فيه كبح جماح حقده عليها وثورته فقتلها فى الدار ، ثم واجهته مشكلة التخلص من جثتها ، وكان الحل الذى فكر فيه حلا رهيبا مفزعا ففى ظلمة الساعات الاولى من الصباح حمل الجثة الى



احدى اللوحات الاربع الرائعة التى رسمها كونراد فى زوايا الردهة الكبرى لسجن أوكلاهوما ، وهى تمثل السيدة مريم مع ابنها السيد المسيح والسيد يوسف وهم فى طريق الفرار الى مصر

دكان القصاب ، وراح يعمل فى همة وكد حتى انبثاق الفجر

ومضى يومان لم تثر غيبة مسز ماس ريبة أحد من الجيران ، ثم بدأ الناس يستفسرون ويتساءلون ، ولانهم كان يعلمون ما بين الزوجين من خلافات متعددة ، فقد بدأ الريب يتسرب الى النفوس ، وازداد الشك حتى اصبح يقينا لسببين ، اولهما عجز كونراد فى اللغة الانجليزية ، وثانيهما انه لم يكن واسع الخيال فلم يستطع ان يلتمس سببا مقنعا لغيبتها عن الدار

ووصل الامر الى رجال البوليس ، وضيق عليه الخناق فاعترف بقتلها ، ولما سئل عن جثتها ، ابتسم ابتسامة ساخرة وقال ان سر الجثة موجود فى حانوت القصاب

ودل البحث على وجود عظام آدمية فى الحانوت ، وسرعان ما انتشر الذعر بين سكان المدينة الصغيرة ، حين ايقنوا انهم كانوا يبتاعون « سجقا » محشوا بلحم آدمى ، ودل الفحص الطبى على ان كونراد اتخذ هذه الوسيلة للتخلص من جثة زوجته

وفى عام ١٨٩٩ ، وكان كونراد قد بلغ الثالثة والثلاثين من عمره ، صدر عليه الحكم بالسجن المؤبد . ولان أوكلاهوما لم يكن بها سجن فى ذلك الوقت ، فقد ارسل كونراد الى سجن ولاية كانساس . وفى يوم ٢٧ مارس سنة ١٩١٠ نقل الى سجن أوكلاهوما الذى كان قد شيد حديثا

وبدأ كونراد ماس يفكر فى هوايته الاولى أيام الحداثة ، هواية الرسم ، واستطاع فى مهارة ماكرة ان يستحوذ عن طريق التهريب ، على فرشاة كبيرة وبعض الاصباغ والالوان ، وان يضعها فى محبسه الانفرادى ، واستطاع كذلك ان يصنع فرشاة صغيرة للرسم من عيدان والياف الفرشاة الكبيرة . وعثر على مظلة مهملة للنوافذ ، فهربها الى محبسه ، ولما أعد عدته جميعا شرع فى الرسم ليلا حتى لا يراه أحد ، وراح يجرى

تجاربه على الوانه واصباغه

وكانت لوحة رائعة تلك التى رسمها كونراد فى غضون لياليه ، ولما اكتشفت اعجب بها السجان وساله :

ـ هل رسمتها فى محبسك ؟

ـ نعم

ـ من اين جئت بالاصباغ ؟

ولم يحر جوابا فقال السجان :

ـ هل حصلت عليها من المخزن ؟

فأوما براسه ان نعم

ـ والفرش ؟

فأشار كونراد الى الفرش التى صنعها بيديه

واعجب به السجان ، وبدلا من ان يعاقب كونراد على عمله تبعا لانظمة السجون ، صرح له بان يرسم ما يريد فى غضون الليل بعد الانتهاء من عمله اليومى

وباع كونراد هذه اللوحة الى احد المسجونين بمبلغ خمسة دولارات ، اشترى بها اصباغا وفرشا وقماشا

ولما اكتمل تدربه على الرسم ، وازداد حذقه ، ازداد اعجاب المسجونين ورجال الحفظ بالسجن باعمال كونراد التى ازدادت روعة وبهاء وجمالا ، وانهالت عليه الطلبات ، غير ان هذا الرجل الالمانى لم يكن يبتغى الربح ، واكتفى بأن يبيع لوحاته الفنية الى زملائه المسجونين ، والى السجانين وموظفى السجن ، والى ممثلى الولاية الذين كانوا يفدون لزيارة السجن ويتفقدونه . ولم يكن يبيع اللوحة باكثر ولا اقل من خمسة دولارات . وقد اهدى كثيرا من لوحاته للكنائس

وقد احتجز كونراد بعض اللوحات التى نالت اعجابه خاصة ولم يعرضها للبيع ، بل قدمها هدية منه الى السجن ، فكانت كل لوحة مهداة توضع فى اطار وتعلق

والعجيب فى امر هذا الرجل الذى لم يتعلم الرسم بطريقة فنية انه كان كثيرا ما يقدم نصحه وارشاده الى طلبة الفنون الذين كانوا يفدون الى السجن للدراسة

▱

وفى ذات يوم جاء السجان الى كونراد وقال له ان حاكم الولاية جاك والدن قد اصدر امره بالعفو عنه واطلاق سراحه ، وان الاوراق رهن التوقيع بالعفو

واستمع كونراد الى حديث السجان فى صمت ، حتى اذا انتهى منه هز كونراد راسه نفيا ، ورفض ان يقبل هذا العفو . وخشى السجان ان يكون كونراد لم يفهم حديثه فانطلق يعيد عليه الحديث ويفسره ويوضحه ، غير ان كونراد هز راسه مرة اخرى ، ولما ساله السجان عن سبب رفضه ، ذهب به كونراد الى محبسه واشار الى لوحة لم يتمها ثم راح بلغته الركيكة يوضح له انه اذا غادر السجن فلن يتابع هوايته ، التى اصبحت كل شىء فى حياته

وكأنما كان كونراد يقدم هذه التضحية تكفيرا عن جريمته

لقد كان موضع احترام كل زملائه المسجونين ، وجميع موظفى السجن ، ولكن امره لم يكن مفهوما وللمرة الثانية عرض حاكم

الولاية هنرى جونسون العفو عن كونراد على اللجنة المختصة ، ومن بعده ، وللمرة الثالثة ، عرض موراى

وفى كلتا الحالتين رفض كونراد ان يتقبل العفو ، وان ينطلق حرا

وكان كونراد قد بدأ يهرم ، فكرس نفسه الى رسم صورة صلب المسيح التى علقت فى غرفة المائدة مع غيرها من الصور الدينية

واخيرا اتجه الى ناحية اخرى ، والى عمل جديد ، فقد شاء ان يرسم صوره على الجدران بدلا من القماش ، وطلب الاذن من رجال السجن أن يسمحوا له برسم اربع صور كبيرة فى زوايا الردهة الكبرى للسجن ، فكانت أول صورة رسمها هى صورة السيدة مريم مع ابنها السيد المسيح ويوسف وهم فى طريق الفرار الى مصر ، وصورة نابليون فى معركة واترلو ، وعيد الشكر ، وصورة رابعة اسمها « الثقافة » وهى تمثل احد زنوج امريكا يدرس الحروف الابجدية . ويبلغ طول كل صورة منها ١٦ قدما وارتفاعها عشرة اقدام

ويتحدث عنه المسجونون الذين يذكرونه فيقولون عنه : « انه كان وحيدا بمعزل عن الناس ، وقلما كان يتحدث الى احد ، فاذا تحدث اوجز ، كانما لا يستطيع الحديث ، وكأنما يبطن فى صميمه شيئا يحول بينه وبين الافاضة »

وقد حدث ان عفا الرئيس هاردنج عن رجل كان محكوما عليه بالاعدام ، ولم يكن كونراد يعرف شيئا عن الرئيس هاردنج الا انه اسدى هذا الفضل الى مسجون مسكين ، فرسم صورة لهاردنج ، وكانت هذه هى طريقته منذ ان حل بالسجن

وفى ٥ ابريل سنة ١٩٣٦ نقل كونراد الى مستشفى السجن ، وهو يعلم ان نهايته قد دنت ، وعلم ان زملاءه فى السجن كانوا يبتهلون الى الله ان يشفيه ، ولكنه لم يقل شيئا . وظل على صمته حتى غاب عن رشده ، ومات ، كما عاش ، وحيدا ، صامتا الى النهاية

قضى كونراد نحبه وهو فى السبعين من عمره ، وبقيت الجثة المدة المحددة قانونا ليطالب اهله بها ، ولكن السجين رقم ١٧٧٠ عرف كيف يسدل ستارا كثيفا حول ماضيه فلم يستدل احد على اقربائه ، واخيرا دفنت جثته فى مقابر السجن ، ولم يحمل قبره الا اسمه وتاريخ وفاته

ومن سوء الحظ انه لم يبق من هذه الرسوم التى اهداها الى السجن والتى زينت جدرانه فترة طويلة من الزمن غير تلك الصور الاربع التى رسمت على جدران قبة الردهة الكبرى

انها ذكرى هذا السجين الفنان . وما اصدق توم هورتون حين قال : « لقد مات سجيننا لانه اراد ان يرسم صورا دينية للكنائس وللسجناء . وكانت هذه هى وسيلة كونراد ماس فى الاعتذار الى الله واستغفاره وطلب الصفح منه »

**( عن مجلة « كورونت » )**

قصة من الصين

# راقصة شنغهاي

## للروائية بيرل باك

« بيرل بك » كاتبة امريكية ذات شهرة عالية .. فهي مؤلفة قصة « الارض الطيبة » التى اتاحت للكاتبة ان تظفر بجائزة نوبل للاداب .. ولقد امضت بيرل فترة طويلة من حياتها فى الصين حيث وضعت اروع مؤلفاتهـا ...

**كانت** مسز لنج جالسة في هدوء في ركن من أركان قاعة الرقص بالحى الاجنبى بمدينة شنغهاي ٠٠ وكانت الانوار فى القاعة باهرة تخطف الابصار ٠٠ وكان الراقصون ــ رجالا ونساء ــ يتخاصرون تحت هذه الانوار الباهرة ، ويدورون راقصين على نغمات الفرقة الموسيقة

وكانت مسز لنج جالسة وحدها وكانما لا يحفل بها أحد ٠٠ وكان المتأمل في وجهها يلمح ــ من فوره ــ أن عينيها المستطيلتين لا تريان من هذا كله غير رجل بدين قصير فى ملابسه الصينية المصنوعة من الحرير الفاخر ٠٠ وكانت عيناها تنتقلان معه حيث ينتقل من راقصة الى أخرى ضاحكا ، متوهج الوجنتين ، غير حافل بقصر قامته وبدانة جسمه بالنسبة للراقصات المطويلات الرشيقات

كان هذا الكهل هو مستر لنج ، زوج السيدة الجالسة بهدوء فى ركن القاعة وقد وضعت يديها الصغيرتين فى حجرها وراحت تنظر اليه فى صمت وكانها في ملابسها الوطنية الحريرية المطرزة بخيوط الفضة والذهب ، تمثال صيني فاخر ، لا تعبر ملامحه عن شيء٠٠٠

على أن وجهها العريض الشاحب الجامد ، كان قناعا يخفي ما يدور بنفسها من نوازع مختلفة ٠٠ انها ترى زوجها الحبيب، وسيدها المطاع، ورب نعمتها، وأب أولادها ، وصاحب مصانع الحرير الكبيرة ، يضحك ،

ويرقص ، مع غانيات أجنبيات فى أوج الشباب والجمال ٠٠ وانها لتشعر وهى ترى هذا بأيد قوية غامضة تعصر قلبها وترسل الدمع الى عينيها

كانت منذ أيام قليلة لا تكاد تصدق مايشاع عن زوجها ٠٠ وكانت أحيانا ترى فى هذه الشائعات مبالغة رخيصة غير جديرة بالاهتمام ٠٠ ففى بيتها الكبير بالحى الوطنى ذى الحارات المتعرجة والجو الغامض ، كانت تستقبل جاراتها وتسمع منهن ما يشاع عن زوجها ، فزوج احداهن رآه يتردد على مرقص من هذه المراقص الاجنبية بالحى الافرنجى ٠٠ وشقيق أخرى لمحه يتسلل الى احدى هذه الحانات التى تقدم مع الخمور نسوة مبتذلات مغامرات ٠٠ وكانت مسز لنج تسمع بعد هذا كله تعليقات الجارات والصديقات على هذه الكارثة ٠٠ انهن يردن منها أن تبذل جهدها لتمنع زوجها من الاسراف فى ارتكاب هذه الشائنات التى تخل بكرامته ووقاره ومكانته بين الاغنياء والكبراء

ولكن مسز لنج كانت ترى فى هذه الاقوال مبالغة مقصودة ـ أو غير مقصودة ـ لأنها تحب زوجها ، وتحترمه ، وتؤمن بأنه أبعد مايكون عن هذا الاسفاف ٠٠ وربما لايتجاوز الامر أنه استأجر مسكنا جميلا لامرأة صينية شابة يتردد عليها بين الحين والحين ليجلو عن قلبه صدأ الكهولة ، ويستعيد معها ذكريات شبابه الدابر ٠٠ أو لعله يتردد على مشارب الشاى الفاخرة حيث يقضى فترة سعيدة مع مغنيات « السنج سونج » ٠٠ نعم ٠٠ لعل زوجها يفعل هذا أو ذاك دون أى حرج عليه ٠٠ أما أن يتردد على هذه المراقص الاجنبية حيث الانوار الرخيصة والراقصات الخليعة والنسوة الماجنات المغامرات من حثالة الدول الغربية ، فان هذا أبعد من أن تصدقه ٠٠٠

ولكنها ٠٠ برغم ايمانها هذا ، كانت تشعر بالقلق ٠٠ انها لاتدرى ماذا تفعل لو ثبتت هذه الشائعات ٠٠ لقد أمضت ـ منذ تزوجت ـ كل حياتها مع زوجها هذا ٠٠ ولقد أطاعته فى اخلاص ، ودبرت شئونه المنزلية أحسن تدبير ، وعاونته فى كفاحه نحو الثراء ، وأنجبت له خمسة أبناء ذكور ـ كلهم على قيد الحياة ـ وثلاث بنات ـ ماتت منهن اثنتان ـ ٠٠ نعم لقد صنعت هذا كله لزوجها فى غبطة وقناعة ورضى ٠٠ فماذا يكون من أمرها لو ثبتت هذه الشائعات ؟!

ان حياتها كلها مرتبطة بزوجها

هـذا ٠٠ وانها ـ من ثم ـ لتشعر بالقلق ينوش نفسها ، وانها لتقضى الساعات الطوال ساهرة في انتظار زوجها الذى تعود ـ على غيرعادته ـ السهر الى ساعة متاخرة من الليل

وفى ذات ليلة ، سمعت زوجها وهو يدخل مخدعه الفاخر ويخلع ملابسه في هدوء وحذر ويستلقى فى فراشه لينام ٠٠ فلما سمعت غطيطه نهضت من فراشها،وتسللت على أطراف أصابعها ، ومضت اليه، وانحنت عليه ، وشمت أنفاسه ، فاذا هذه الرائحة الكريهة ٠٠ رائحة الخمر تنساب معها ، وتثبت بالدليل القاطع صدق الشائعات المتناثرة عنه

وعادت الى فراشها تترنح من فرط الاسى والالم ٠٠

وفى مساء اليوم التالى ، دلفت اليه وهو يرتدى ملابس الخروج ، وقالت له بصوت عادى :

ـ الى أين ستذهب الليلة يا عزيزى لنج ٠٠٠؟

فنظر مستر لنج اليها برهة فى قلق ، ثم قال :

ـ الى حيث أسهر قليلا مع بعض الاصدقاء ٠٠٠

فقالت فى هدوء ـ لقد سمعت أنك تستمتع بالسهر فى الحى الافرنجى ٠٠ واننى أهفو منذ أمد بعيد الى أن أذهب معك ٠٠ خذنى معك ٠ أرجوك

فرفع الرجل حاجبيه فى دهشة، ونظر اليها بعينين جاحظتين وقال :

ـ انك لن تشعرى بالسعادة فى هذه الاماكن

ـ لماذا ٠٠؟! اذا لم يكن هناك نساء في مثل هذه الاماكن ، فانى أعتذر اليك ٠٠٠

ثم أردفت قائلة بسرعة :

ـ ولكنى سمعت أن النساء والرجال فى الحى الافرنجى يلعبون معا كما يلعب الاطفال

وعندئذ أدرك أن الكذب لن يفيده شيئا ، فسعل وقال :

ـ حسنا ٠٠هلمى معى ياعزيزتى

وجلست مسز لنج مع زوجها فى سيارته الفاخرة التى يقودها سائق أوروبى فى ملابس القيادة الرسمية، فلما بلغت السيارة بهما الى الحى الافرنجى ، وقفت أمام مرقص معين كان يسبح فى الاضواء والانوار وأنغام الموسيقى وضحكات الراقصين

وفى ركن قاعة الرقص ، جلست مسز لنج ، تراقب زوجها وهو ينتقل من غادة الى أخرى وقد وضعت يديها الصغيرتين فى حجر ثوبها الحريرى الفاخر



وكان التامل فى وجه مسز لنج يلمح ان عينيها المستطيلتين لا تريان من هذا كله غير رجل قصير فى ملابسه المصنوعة من الحرير الفاخر

كان زوجها فى أول الامر متهيبا متحرجا مضطربا ، يرقص واحدى عينيه على زوجته ولكنه لم يلبث أن انغمر فى المراقصة وكأنما نسى تماما وجودها

وفجأة شعرت مسز لنج كأن قلبها يهوى عند قدميها الصغيرتين حين رأت زوجها يخاصر غانية ممشوقة القد ، ذهبية الشعر ، مكتنزة الشفاه ، فاتنة الملامح ، فى ريعان الصبا ، ترتدى ثوب سهرة من الحرير الفاخر مفتوح فى الجانب من فوق الركبة الى أخمص القدم

كانت هذه الغانية فى نظر مسز لنج صورة حية من هذه الصور التى طالما رأتها وهى تتصفح المجلات الاجنبية .. فتنة .. جمال .. رشاقة .. شباب .. حيوية .. براعة فى الرقص ..

وسمعت أحد الجالسين يقول لصاحبته عنها : « هذه أمهر راقصة فى شنغهاى .. »

وغامت الدنيا فى عينى مسز لنج وهى تقارن نفسها بهذه الغانية العجيبة ، فتفزعها المقارنة وتجعلها تشعر بالعطف على زوجها والتماس العذر له ، وتبعث فى نفسها فى الوقت ذاته ، حقدا شديدا على هذه

المرأة وبنات جنسها من الاجنبيات المغامرات

▭

انها لا تدرى ، وهى الكهلة التى ذوى شبابها وجمالها ، ماذا تفعل للاحتفاظ بزوجها مع وجود هذه الفتاة ومثيلاتها فى المدينة ... ان شيئا واحدا يتمثل لها خلال هذه الغيوم الثقيلة .. أنه بيت حقير قذر فى جوف الريف تقضى فيه بقية أيامها وحيدة ، بائسة ، منبوذة ، لا أمل لها ولا رجاء

وبينما كان زوجها مع الغادة الراقصة يقتربان منها ،شعرت فجأة بالدموع تنثال على خديها رغما عنها .. وظلت دموعها تسح وهى ثابتة النظرات على زوجها .. ولم تستطع أن ترفع يدها بمنديلها لتمسح الدموع خشية أن يراها أحد فيرثى لها ، وهى لا تريد من أحد رثاء

وعندما أطرقت برأسها لتخفى دموعها ، سمعت صوتا جميلا يقول لها :

ـ لماذا تبكين يا سيدتى ..؟!

فلما رفعت عينيها ، رأت الغادة الراقصة الجميلة منحنية عليها ، ورأت ـ لدهشتها ـ أمارات العطف والاشفاق واضحة فى عينيها فقالت فى ضعف وهى تشير الى زوجها الواقف مدهوشا :

ـ ان هذا زوجى .. فأرجوك .. أرجوك .. أن تتركيه لى .. فليس لى بعد الله غيره

فاستدارت الفتاة فى دهشة ، وقالت لمستر لنج الذى كان يمسح العرق عن وجهه :

ـ اذهب .. ابتعد .. اننى سأتحدث قليلا مع زوجتك

وفى ركن هادىء ، أفرغت مسز لنج فى مسامع الغادة الراقصة آلامها ومخاوفها وأحزانها كلها ، فلما انتهت ، أخذتها الغادة الى مستر لنج وقالت له :

ـ اسمع أيها الرجل .. يجب أن تأخذ زوجتك وتمضى بها فورا الى البيت حيث تقضى سهرتك معها ومع أولادك .. انك رجل كهل .. فلماذا تحاول أن تسترد الشباب عنوة وقسرا ؟ لماذا تحاول أن تحطم حياتك وحياة هذه الزوجة الوفية وأولادك .. لماذا ؟! أتحسب أننى أو أية فتاة هنا ترقص معك وتضحك لك حبا فى سواد عينيك أو غراما بوجهك العريض المجعد .. أو هياما بجسمك القصير أو شغفا بكرشك المنبعج أو اعجابا بشبابك الضائع ..؟! اننا نريد أموالك فقط .. ولا يهمنا الى أى شيطان تمضى ، اننى أنصحك يا مستر لنج .. ليست هذه الحياة



وقالت الغادة لمستر لنج : « اسمع ايها الرجل .. يجب أن تاخذ زوجتك وتمضي بها فوراً الى البيت حيث تقضي سهرتك معها ومع أولادك »

مناسبة لرجل فى مثل سنك ومركزك وتقاليدك

وفجأة لمحت الغادة شابا أجنبيا أنيقا طويلا ، فتركت الزوجين وأسرعت اليه ، وألقت بنفسها بين أحضانه ومضت تراقصه وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة سعيدة

واقتربت مسز لنج من زوجها الواقف مدهوشا يتلفت حوله كأنما يفيق من كابوس ثقيل ، ثم قالت له :

ـ اننى آسفة يا عزيزى .. لم أكن أقصد أن توجه هذه المرأة الحمقاء كل هذه السباب اليك

انها لا تعرف مقامك الكبير ومكانتك الرفيعة بين أهلك ومواطنيك

فقال الزوج وهو يأخذ بيدها الى خارج القاعة :

ـ لم يعد لى بها ولا بأمثالها شأن .. هلم الى البيت .. يجب أن أنام مبكرا هذه الليلة لأصحو مبكرا حيث تنتظرنى أعمال هامة فى المصانع غدا

ولما أوت مسز لنج الى فراشها فى تلك الليلة ، قالت لنفسها : « يالها من راقصة .. جميلة .. مدهشة !! »

# مشاكل الشباب النفسية والاجتماعية

هذا الباب الجديد خاص بالامراض النفسية . ويقوم بتحريره الدكتور امير بقطر استاذ علم النفس وعميد معهد التربية بالجامعة الامريكية ، فلحضرات القراء ان يرسلوا بعنوان مجلة الهلال اسئلتهم النفسية للاجابة عنها ، وان يكتبوا على الظرف : « عيادتك النفسية

## الدموع نعمة

فى الدموع شفاء للعلل ، وعزاء للنفوس . يحبسها الرجل فيشقى ، وتطلقها المرأة فتسعد

من نعم الطبيعة على العباد ، انها فجرت فى العيون قنوات ، تذوب فيها الاحزان ، وتنصهر الهموم ، فلا تلبث ان تنساب فيها بلسما شافيا كالماء السلسبيل

وقد استوت هذه القنوات فى بدء الخليقة طولا وعمقا ، فى الرجل والمرأة ، واغرورقت بالدموع ، كلما دعا لذلك داع

على ان الرجل منذ عشرات الالوف من الاجيال والسنين ، اخذ يتعالى على المرأة ، ويتظاهر بالشجاعة ، ويتنفج بالكبرياء ، فضاقت قنواته وتحجرت ، وسدت منافذها . واضطر فى اكثر الاحايين الى حبس مدامعه ، الى ان تتسلل الى الاحشاء فتكمن فيها . فاما ان تفتك بها ، أو تنقلب بخارا شديد الحرارة ، فتخرج فى صورة غضب ، قد يكون له اسوأ العواقب

اما المرأة فقد ظلت فى هذه الناحية على الفطرة ، وفية للطبيعة ، مستمتعة بالنعمة التى اغدقتها عليها . وسواء أكانت فى مرحلة الطفولة ، أم فى ريعان الصبا ، أم فى خريف الحياة ، فان الدموع تبقى مابقيت هى ، طوع امرها ، ورهينة اشارتها

فاذا ما ترقرقت فى مآقيها ، بدت لناظريها ناعسة العيون ، دعجاء الجفون . واذا ما انحدرت على خديها ، كانت لؤلؤا منظوما ، زادها سحرا واغراءا . والمرأة بطبيعتها فى أغلب الاحايين ، باكية اجمل منها ضاحكة ، وصامتة اجمل منها ناطقة

ولعل المراة من الناحية النفسية أشد حاجة الى الدموع من الرجل . ذلك لان المجتمع قد قضى عليهـا ان تحبس عواطفها ، وتخفى وجـدانها وانفعالاتها ، وراء حاجز كثيف سميك من الحياء والخفر والحشمة ـ تلك الصفات التي اصبحت على مدى الاجيال رأس مالها ، ومكملا لسحر الانوثة فيها . وبالرغم مما نالته من حرية في القرن العشرين ، فان الكثير من مشاعرها الرقيقة ، واحاسيسها المرهفة لاتزال دفينة في الاعماق .. فلا غرابة اذا نصح لها اطباء النفوس بالبكاء كلما امتلأت الكاس . وما الدموع في الواقع سوى الحمم التي تنفذ من صمام الامن ، والا انفجر البناء وتهدم كيانه

وليس البكاء دليل الضعف ، كما يزعم الكثيرون ، وليست الدموع رمز الجبن ، اللهم الا اذا تعمدها صاحبها استدرارا للعطف أو اشفاقا على نفسه . حقيقة ان الرجل يأبى ان يبكي كبرياء منه وخجلا ، ولكنه يستعيض عن الدموع بما هو اسوأ ، وذلك انه ينفث فيض انفعالاته سـما زعافا ، من لعنات وشتائم ، وغضب ، وسيل جارف دفاق من عبـارات بذيئة قذرة تعافها الاذان

ابك ولا تتردد اذا فاض الاناء ، على ان تدخل مخدعك وتغلق بابك ، حتى لايتاذى منك الغير اذا كنت رجلا ، او تنفطر عليك القلوب الرحيمة اذا كنت امرأة




## هل تستانف العيش مع زوجها ؟

انا سيدة عمري ٢٧ سنة . رزقني القدر بزوج اكرهه جدا حتى قبل الزواج وانجبت منه ٣ اولاد . وقد كان سبب زواجي منه رغم ارادتي جهل والدي وحكمه الصارم ومعاملته القاسية . ولم انجب الاولاد منه الا اضطرارا ، ولطالما نصحته بالزواج من غيري ، فكان نصيبي الضرب المؤلم . ومما زاد الطين بلة انه اخذ يتهمني في شرفي مع اخيه الطالب الذي يسكن معنا . واخيرا اشتكيته في المحكمة طالبة الطلاق منه ، مع استعدادي لتربية الاولاد تربية سليمة ولدى ميراث من اهلي يغنيني عنه . والآن يحاول الزوج الصلح . فهل اقطع علاقتي مع اخيه؟ وهل اقبل الصلح ؟ ح. م. س ( المنيا )

■ اذا كانت الكراهية والنزاع كما وصفت بتفصيل مسهب في رسالتك ، فالطلاق خير لك ، على انه في كلتا الحالتين ينبغي قطع علاقتك باخيه ، لان الطلاق لا يضع حدا للشك والغيرة

## هل يؤجل الزواج ؟

انا طالب بمعهد المعلمين ولم يبق على تخرجي سوى عام واحد . والآن احببت ابنة عمي حب العبادة وتعاهدنا على الزواج على ان والدي ابى ذلك اباه تاما وكذلك والدها . على انني مصمم على تنفيذ ما اريد لان التفكير ليلا ونهارا يسبب لي الما شديدا فبماذا تنصح ؟

جمال حسن السروجي
قليوب

■ لريث الى ان تتخرج آخر العام وتلتحق بالعمل وتكسب رزقك . وفي هذه الحالة يتحسن موقفك مع والدك ووالدها وبتوى فيغيران رأيهما ويتم لك ما اردت ، ولها ما ارادت ايضا

## خمر جديد في اناء عتيق

**انا شابة عمري ٢٤ سنة مخطوبة لشاب يحمل اعلى شهادة ، ومع ذلك فانه واسرته عندما يأتون لزيارتنا ، يطالبونني بخدمتهم، وتجد والدته لذة في الامعان في ذلك مما يخيفني منهم ، ويشترطون ان اعيش معهم بعد الزواج ، بالرغم من عدم الحاجة الى ذلك . ونحاول التفاهم معهم ولكنهم يصرون على رأيهم ولا يقبلون الاخذ والرد ، فهل اقبل الزواج منه ، مع العلم ان بعض افراد اسرتي لا يوافق والبعض الآخر يوافق ؟**

**الحائرة المعذبة نجاة محمد (المنصورة)**

■ ما قرأته بين السطور في رسالتك دليل على اتساع الهوة بين تقاليد الخطيب واسرته رغم علو ثقافته ، وبين ما تصبين اليه من الحرية والاستقلال والكرامة . ولذا اتردد في النصح لك باتمام الصفقة

## تقدم الى اهلها واستمهلهم

**انا شاب عمري ٢٤ سنة اتممت دراستي الثانوية والتجارية ولم اوفق الى الآن في الالتحاق بسلك الوظائف الحكومية. على انني احب فتاة من اقربائنا تصغرني بثماني سنوات ولا تزال على مقعد الدراسة واخشى ان انتظر ريثما تستقر اموري حتى اخطبها فيتقدم لخطبتها سواي . كما انني لا اريد الزواج الآن فاكون عالة على والدي ، فهل تشيرون علي بالاحجام ام بالاقدام حتى لا ادع لسواي سبيلا اليها ؟**

**المحتار ع. م. س (لبنان)**

■ تقدم الى اهلها واشرح لهم حالتك ، ولست اخالهم يأبون الانتظار ريثما تستقر امورك ، لا سيما وان الصبية لا تزال صغيرة، اللهم الا اذا لم يكن لهم رغبة في زواجها منك على كل حال

## الصحيح والباطل

**عرفنا من مدرستنا ما يأتي عن العادة السرية ، فارجو افادتي عن مدى صحة هذه الاقوال : ـ**

**انها تجعل من يمارسها انعزاليا لا يختلط بافراد المجتمع ـ انها تضعف الجنس وتعرض للامراض كالسل ـ انها لها علاقة وثيقة بفقدان الذاكرة ـ انها تسبب عقدا نفسية كالشعور بالنقص ، انها تضعف قوة الارادة**

**ك. ق ( بيروت )**

■ ان اكبر عقبة يستطيع الشاب التغلب عليها الكف عن ممارسة هذه العادة ، والتسامي بها بممارسة شتى نواحي النشاط الاجتماعي والرياضي والهوايات المفيدة التي تلائم ميوله ، على ان اكثر ما يقال عن اضرارها ناتج اما من الخوف منها ونسبة علل واضرار لها ، لا تمت للحقيقة بصلة ، او الانغماس فيها انغماسا

ومن خصائص ممارسة هذه العادة انها توهم من يمارسها ، ان جميع الناس يقرؤون ذلك على وجهه ، فيحاولون بغير وعي أن يتجنبوا الناس ، ويتبع ذلك شعورهم بالنقص خجلا من انفسهم . اما اضعاف الجسم وتعريضه للسل او اى مرض آخر فلا يؤيده العلم . كذلك فقدان الذاكرة أو اضعافها لا علاقة له بذلك اللهم الا اذا استرسل الشاب في ممارستها وافرط ، فان ذلك يلهيه عن كل نشاط آخر ومن هذا يتضح ان اكثر ما يعزى لها نتيجة غير مباشرة للخوف من نتائجها والشعور بالاثم للقيام بعمل غير طبيعي في نظره

# ردود خاصة

**الحائر ع. ح. ا ( كلية التجارة )**

■ لا بد من ادخال شقيقك مستشفى الامراض العقلية ، لان وجوده خطر عليه وعلى الاسرة والجمهور بوجه عام ، ولا جدوى من الاستعانة بالاطباء لعلاجه فى المنزل

**معذب ب. ب. س ( الحجاز )**

■ اخشى ان يكون ذلك الميل الجارف الذى تحدثت عنه شذوذا جنسيا يحسن ان تتخلص منه قبل استفحاله ، وانت لا تزال فى مقتبل العمر . ويا حبذا لو حولت هذا الميل الى نشاط آخر اجتماعى مرغوب فيه . ولعل الزواج اقرب طريق الى ذلك واسلمه عاقبة وأوفاه بالغرض المقصود

**ع. ح. م ( نابلس ـ شارع الغرب )**

■ اذا كانت حالتك كما وصفت فخير لك أن تدخل مصحة لعلاج الامراض النفسية فى القاهرة او بيروت . اذ لا نفع مطلقا من علاجك خارج المستشفى

**عبد الجبار حمزة ( الديوانين ـ العراق )**

■ الا يجدر بك فى هذه الحالة وانت بعيد عنها فى الكويت ، أن تنفض الطرف عنها وتبحث عن سواها ؟ أن دخولك فى مشاكل قضائية قد ينتهى بخلق حزازات بينك وبين اهلها وبينك وبينها ، حتى اذا كسبت القضية

**محمد ادريس اسماعيل ( اورطة اللواء العاشر ـ ملكال ـ السودان )**

■ ليس فيما وصفت ما يشتم منه ان علتك خطيرة ، فكن مطمئنا من هذه الناحية ولا تخش الاقدام على الزواج ، الا انه يحسن أن تقدم نفسك للعلاج قبل ذلك

**حائر معذب ( بيروت )**

■ لقد وصلتنا عدة رسائل فى هذا الموضوع ، وكلها تدل على شيء واحد، وهو ان هذه الاعراض المشكو منها ، نتيجة الصدمة التى لاقاها هؤلاء من الزلزال . ولسنا ننصح لك بالتردد على طبيب الاعصاب ، لانك فى حاجة الى علاج نفسانى ولا تظن ان بيروت خالية من اخصائيين فيه

**ك. غ. م ( شبرا ـ مصر )**

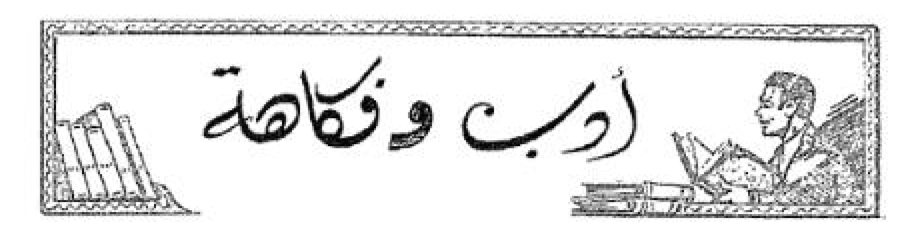
■ ابتعد من تلك المرأة اللعوب ، ولا تخف من الاعراض التى ذكرت لان ضعف جسمك لا علاقة له بما وصفت . وعليك باستشارة طبيب بدنى لعلاج هذا الضعف

**كريمة ( المعذبة الحائرة ـ بمصر )**

■ حقيقة انك شفيت تماما كما تقولين ، بعد الصدمة القوية التى اصابتك عقب فسخ خطوبتك ، ولكن الواقع ان أثرها لم يفارقك الا فى الظاهر ، او انك كنت تخدعين نفسك وتوهمينها بالنسيان . والآن وقد عدت الى رشدك ، اخذت الحوادث الماضية تتمثل امام عينيك وانت تبعثين بها الى الاعماق ( فى اللاشعور ) فتنكرين وجودها لما تسببه لك من الآلام . وينتج من ذلك تلك الاضطرابات التى وصفتها فى رسالتك من ضيق صدر ، وقلق ، وبكاء خانق ، ويأس من الحياة ، وثقى ان هذه الاعراض لا تلبث أن تزول ولا يبقى لها أثر ، عند تجديد خطبتك من شاب آخر ، تتوسمين فيه الاخلاص والوفاء

**مقرى عمر ( الدار البيضاء ـ المغرب الاقصى )**

■ كونك تتفادى التحدث الى الناس ، وتتجنب مشاركتهم فى الكلام ، مما يزيد العلة شدة . تغلب على كبريائك ، وتحدث ولا تبال ، وأن ضحكوا عليك فى باديء الامر ، اضحك معهم ، وبهذه الكيفية تتغلب على هذه العلة الكلامية ، واذا لم يكن فى المغرب الاقصى اخصائيون ، فعلى الاقل يمكنك الاستعانة بمدرس نابه لاعانتك على تحسين حالتك . غير انى اذكرك مرة اخرى ان اكثر العلاج فى يدك ، اشترك فى الحديث ولا تبال بسخرية الغير




## غراميات زهرة !

من الازهار التى هتف الشعراء بوصفها زهرة « النيلوفر » ... هى نبتة هندية الاصل ، تنبت من تلقاء نفسها فى الماء العذب اذا وقف فى أرض طيبة .

ومن شأن هذه الزهرة أن تواجه مطلع الشمس ، وتزداد أوراقها تفتحا كلما ازدادت الشمس من سطوع ، ومتى حان الاصيل اخذت الاوراق فى الانضمام ، حتى تغطس فى الماء عند الغروب .

ولزهرة « النيلوفر » حديث عجب ... ذلك أن طائرا لطيفا يتدانى منها عند مهبط الشمس ، فتنضم أوراقها عليه ، وتغيب به فى الماء ، وتظل كذلك طول الليل ، فاذا برق الصبح ، طفت الزهرة على وجه الماء ، وتفتحت منها الاوراق ، فينطلق من بينها الطائر الذى بات ضجيعها ليله كله !

وقد وصف غراميات هذه الزهرة شاعر من شعراء العصر المملوكى اسمه « عبد الجليل بن دهبول » فقال :

وبركـــة تزهـــو بنيـــلوفر
نسيمه اشبه ريح الحبيب
حتى اذا الليــل دنا وقتـــه
ومالت الشمس لحين المغيب
أطبق جفنيـــه على الفـــه
وغاص فى المـــاء حـــذار الرقيب

## زكاة الربيع

كانت روح التكافل الاجتماعى قوية فى كيان الامة العربية على امتـــداد العصور ، فكان النـــاس يتفننون فيما يسمونه « المراحم التى تشــعر بالتآزر والتعاون بين مختلف الطبقات ، وكانت هـــذه المراحم « ضرائب اختيارية » سلطانها على النفوس أقوى من سلطان القانون ...

ومن طريف هذه المراحم او الضرائب التى يحدثنا بها تاريخ الامة العربية ،

ان أصحاب البساتين فى دمشق كانوا يفرضون على انفسهم شيئا ما اجدره ان يسمى : زكاة الربيع !

وذلك انهم حين تينع الثمار فى البساتين ، وتعرض للبيع ، لاينسون الفقراء والمساكين الذين تقعد بهم رقة الحال عن شراء أطايب الفاكهة . فكل صاحب بستان يلزم نفسه بان يضع على باب بستانه كل يوم مجموعة مما يجتنيه من الثمار ، حتى يتاح لمن يعبر الطريق من الفقراء والمساكين أن ينال منها مايشتهى ... بلا ثمن !

بل ان من أصحاب البساتين من يزرع أشجارا يجعلها للفقراء خاصة ، ويراعى أن تكون على الطرقات ، لكى يدنو منهم منالها ، مصداقا لقول الله : « وفى أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم »

## مهرجان للشعراء ...

فيما بين النيل والجبل ، جنوبى مدينة « الفسطاط » كانت تمتد رقعة من الارض تكسوها الخضرة ، ويغمرها الماء وقت الفيضان ، وتتناثر حولها البساتين العامرة بالزهر والثمر .

وفى عهد « الآمر بأحكام الله الفاطمى » بنيت منظرة تطل على هذه البقعة التى كانت تسمى « بركة الحبش » ، وهى منظرة من خشب مدهونة فيها طاقات تشرف على خضرة البركة

وقد طلب الخليفة الفاطمى الى عدة من الشعراء المصريين من مختلف البلاد أن يصفوا هذا المكان البهيج ، فلما وردت قصائدهم أمر بكتابتها وتصوير أصحابها، فكانت تتراءى على جانب كل من هذه الطاقات قصيدة مكتوبة على قطعة من النسيج ، مع صورة الشاعر واسمه واسم بلده ، وعلى الجانب الآخر رف لطيف مذهب

ولما دخل « الآمر » وقرأ الاشعار ، امر بأن توضع على كل رف صرة مختومة فيها خمسون دينارا ، وأن يدخل كل شاعر فيأخذ صرته بيده ، ففعلوا ...

## خفايا النفس ...

فى القرن الرابع الهجرى ، كان يعيش فى مصر طبيب اسمه « محمد التميمى » ، ويبدو أن هذا الطبيب كان حريصا على أن يسجل مشاهداته وملاحظاته فى الكشف عن خفايا النفس ، وفى اظهار سلطان الايحاء على الجسد ، وقد حكى عن والده القصة التالية ، قال :

سكر ذات يوم سكرا شديدا مفرطا غلب فيه على عقله ، وكان يسكن فى خان ، فسقط من موضع عال فيه ، فحمله صاحب الخان ، حتى أدخله الى الحجرة التى يسكنها ، فلما أصبح احس بوجع ضئيل فى مواضع من جسده ، دون أن يدرى له سببا ، فلم يعبأ به ، وخرج من الخان لبعض شأنه ، فلما رجع قال له صاحب الخان : « ينبغى أن تحمد الله على سلامتك ! » فسأله : « لماذا ؟ » فأجابه : « اما علمت ما نالك البارحة ؟ » قال : « لا » قال : « انك سقطت وانت سكران » . قال : « من اى موضع ؟ » فاراه الموضع الذى سقط منه ، فلما شاهد علوه أحس بوجع وضربان لم يجد معه سبيلا الى الصبر ، واقبل يضج ويتأوه ، ولم يستقر به حال الا بعد أن جىء له بطبيب شد على مفاصله ، واقام فى الخان اياما كثيرة لايبرح ، وهو يتوجع ويتألم ...

وهكذا يتحدث طبيبنا المصرى منذ الف عام عن اثر الايحاء

## ايهما أحب ؟

كان « اسحاق الموصلى » امام الموسيقى فى العصر العباسى يتصل « بالفضل » و « جعفر » ، فقال يصفهما : « اما جعفر فانى لا أصل اليه الا على عسر ، فاذا وصلت اليه قبلت يده ، فلا يلتفت الى بطرف ، ولا ينعم على بحرف ، ثم أصير الى منزلى ، فأجد صلته وبره وهداياه وتحفه قد سبقتنى ، فأبقى حيران فى أمره ... وأما « الفضل » فانى ما أغشى بابه الا ويتلقانى ويهش لى ويخصنى ويسائلنى عن دقيق أمرى وجليله ، ويصحبنى من بشره وطلاقة وجهه وتهلله ورقة نغمته مايغمرنى ويعجزنى عن الشكر ، وليس غير ذلك ... »

فلما سمع الخليفة « الرشيد » منه هذا الوصف ، قال له : « أما الفضل فيرضيك بقوله ، وأما جعفر فيرضيك بفعله ، فأيهما أحب اليك ؟ وفعل أيهما من نفسك اوقع ؟ » فأجاب : « انما يرضينى الفضل »

وقد علل الفيلسوف « مسكويه » ذلك بأن « من الناس من يحب الثراء والمال ، ومنهم من يحب الكرامة والجاه ، والمال ليس مطلوبا لذاته وانما ليتوصل به الى المآرب ، والكرامة اشرف من المال ، وهى تطلب لذاتها ، لما تحصل النفس عليه من الالتذاذ الروحانى . واذا كان محبو المال اكثر من محبى الكرامة فلأن الذين يتميزون بفضائل النفس عددهم قليل ... »

**محمد شوقى أمين**

# قصة طبية

# صريعة الوهم

بقلم الدكتور زكريا رفعت

مدير عام مصلحة الامراض الصدرية بوزارة الصحة

لعل اطرف مريضة صادفتها كانت طفلة صغيرة عمرها لا يتعدى الثماني سنوات ، جاء والدها الى عيادتى يوما يجرها من يدها لأقوم بالكشف عليها . وكانت الطفلة الريفية بادية الصحة ، تلبس جلبابا من الحرير الغالى ، وعددا من « الغوايش » الذهبية ، و « كردانا » من الذهب كذلك ، وحذاء بدون جورب ، وتربط رأسها بمنديل مزخرف « بالأويه » . وقد لاحظت وأنا أرقبها انها تتكلم كما يتكلم الكبار . وكان فى حديثها قدرة وقوة لا تجدهما لدى الاطفال فى مثل سنها

سألت والدها عن شكوى ابنته فقال ، وعيناه تكادتفيض بالدموع : « هذه الطفلة ابنتى ، وهى ابنتى الوحيدة يا دكتور ، وأنا ، بل كلنا ، على استعداد لبذل الغالى والثمين فى سبيل شفائها من هذا المرض ، فالعائلة كلها تضع آمالها فى هذه الطفلة الواقفة أمامك »

قلت ، قاطعا عليه حديثه : « ولكن مما تشكو هذه الطفلة ؟ »

قال : « ينتابها اغماء تظل فيه مدة طويلة كانت أو قصيرة ، ولكنها بالتأكيد تنقص من أعمارنا جميعا أنا وأمها والعائلة ، فلم يجد فيها علاج للآن ، وليس لنا حيلة الا أن نتضرع الى الله أن يبقيها لنا ، ويبعد عنها هذا المرض ، ان أمها ستموت حتما فى احدى هذه النوبات »

قلت : « ياه ، وهل تصل بها الحالة الى حد الخطورة ؟ »

قال : « نعم ، فالنوبة تتركها كالجثة لا تتحرك ، وكل ما يتبقى لها من مظاهر الحياة هو اهتزاز جفونها المغلقة بين الآونة والاخرى »

قلت : « صف لى هذه النوبة من أولها الى آخرها »

قال : « ان ابنتى تعلم متى تنتابها

النوبة ، فتدخل الى « كتبة » بالمنزل وتتمدد عليها ، ثم تروح في غيبوبة، فتسرع نحن لنلتف حولها : هـذا يدلك يديها ، وهذه «تفرك»قدميها ، باكين ، مبتهلين ، حتى تفيق »

فقمت بطبيعة الحال بالقاء عدد من الاسئلة على والد الطفلة ، تتناول أعراض المرض ، وحالة العائلة الصحية ، وما يصاحب النوبة من أعراض أخرى ، الى غير ذلك من الاسئلة التى يستوضح بها الطبيب عادة حالة المرض ۰ وأقول الحق انى خرجت من هـذا الحديث بأن ليس هناك فى الطب الذى تعلمناه مرض عضـوى يتفق وما ذكره لى والد الطفلة ۰ ولكنه تطوع أن يلقى ضوءا جديدا على الحالة فقال ببساطة : « سكينة » ـ وهـذا هو اسمها ـ حساسة لدرجة كبيرة ، وشعورها مرهف الى حد زائد »۰ وراح يحدثنى عن شعور « سكينة » واحساساتها حتى قال : « ان الدور لا ينتابها الا اذا « زعلها » عمها أو أنبتها خالتها ولذلك فنحن نتحاشى ذلك حتى نتفادى هذه النوبة الملعونة، بل واكثر من ذلك ، فاننا نغدق عليها كل ما تريد ۰۰۰ فهذه الغوايش اشتريتها لها بعد آخر نوبة ، وهـذا الكردان بعد النوبة التى قبل الاخيرة وهكذا»

وبعد سماع هذه المحاضرة القيمة، قمت بالكشف على الطفلة كشـفا دقيقا ، اتضح منه أن الطفلة لاتعانى من أى مرض ، فقررت ، فى نفسى ، انها تعانى حالة عصبية رغم صـغر سنها

فاسـتدرت للرجـل لاكاشفه بالحقيقة ، وقلت : « انى لا أجد فى ابنتك مرضا ما »

ولكنـه قاطعنى قائلا فى لهفة : « طبعا لن تجد شـيئا الآن ، وهكذا نحن نجدها دائما فى غاية الصحة ما دام هذا « الدور » بعيدا عنها »

قلت : « اذن فاعرضها عـلى فى وجود « الدور » ! »

قال : « هـذا ما أريده ، ولذا أرجو أن تبقى معنا حتى السـاعة السادسة ، فقد نسيت أن أخبرك أن « الدور » ينتـابها دائما فى تمام السادسة ، وأنا أحرص على أن أعود للبيت قبل هذا الميعاد لاكون بجانبها فى هذه النوبة الملعونة »

وخرج بابنته ، وبقيت أواصـل عملى الباقى

وقبل السادسة بخمس دقائق ، دخل على الرجل يحمل طفلتـه ، ثم أرقدها برفق زائد على أريكة الكشف، وامسك بساعتـه ، وأخذ ينظر الى ابنته تارة ، والى الساعة تارة أخرى، وقال : « فاضـل ثلاث دقائق ،

دقيقتين ، دقيقة واحـــدة ، ها هي بدأت في الغيبـــوبة ، انظر اليهـا يا دكتور ، انها راحت من الدنيـا ، لولا هذه « البربشة » ! ألم أقل لك ذلك ؟ » وفاضت عينـــا الرجـــل بالدموع !

وكانت الطفـــلة حقا في حالة استســلام عجيب لنوم عميق ، لولا هذه « البربشة » • ولم تكن حالة الطفلة جديدة علي ، فقدكنت متأكدا أنها ستتصرف هذا التصرف ولكنى كشفت عن صدرها ، وقلت في همس تعمـــدت أن تسمعه هي بنفسها ، وكأنما أكلـــم نفسى : « يا للطفلة المسكينة انها تحتاج لعملية عاجـلة جدا ، عملية في هـــذا المكان ••• الآن ! وكنت أضــع أصبعى على صدرها ، ثم نظرت الى وجهها ، فاذا «بجفونها تزداد اهتزازا وبربشة» ، واذا بأنفاسها تزداد ترددا وسرعة

وهنا قال الرجـــل ، وقد فاضت عيناه بالدموع : «انظر انها تموت» !

قلت : «اصبر يا رجل ، ثم ناديت على تابعى بصـــوت مسموع وقلت : « سخن المسمار الكبير على النارحتى يحمر ، وهاته حالا » ولكنى غمزت له بطرف عينى

قال والد الطفـــلة في انزعاج : « ولـــكن ، بحق السماء ، ماذا أنت فاعل بهذا المسمار ؟ » قلت : « شيء بسيط ، ساكوى به هـــذه البنت المسكينة لاخرج المرض منها » !

ونظرت الى الطفلة ، فوجـــدتها تلهث ، والعرق البارد يتصبب عـلى وجهها ، وأسرعت «بربشة» جفونها ، ودارت مقلتيها في محاجرها ، وجرت دموعها في صمت على خديها ، ولكنها بقيت كما هي راقدة دون حـــراك • ودخل تابعى ، فوضع الرجـــل يديه على عينه ، وســـار نحو الباب يريد الخروج

ولم أدهش لما حـــدث في هـــذه اللحظة ، بل ان ما حدث كان ماتوقعت أن يحدث ، فان الطفلة المريضة الممددة أمامى قفزت في قوة قفزة واحـــدة جعلتها خارج الغرفة ، محاولة مغادرة المكان ! ولكن تابعى لحق بها ، فاذا هي ممتلئة صحة وعافيـــة ، تبكى أشد البكاء ، وتقول : « طبت يا عم ! حرمت والنبى يا عم ! مابقتش أعمل كده تانى يا عم ! » الى غير ذلك من الاستعطافات المضحكة • حدث هذا في لحظة واحدة ، فأخذت الطفلة بين ذراعى ، وأخذت أربت على كتفيهـا وأطمئنها همسا وقلت لتابعى بصوت مسموع : « بلاش المسمار النـــوبة دى » وكان الوالد شـــاردا مذهولا ، وهو لا يفهم شيئا مما يدور أمامه • وكنت قد ظننت أنه أحاط بالموضوع فهما ، وبعـــد برهة كفكف دموعه



**سألت والدها فقال وعيناه تفيض بالدموع : هذه الطفلة ابنتي يادكتور وكلنا على استعداد لبذل الغالي والثمين في سبيل شفائها من هذا المرض**

وهتف : « الحمد لله » ، وأخذ يقبل ابنته في حنو ظاهر ، ثم مال يهمس في أذني : « شكرا لك ، ولكن بالله قل لي : متى ستعمل لها العملية ؟ أستحلفك بالله أن تبنجها قبل العملية ، والا فرجائي أن تؤشر لي على مكان العملية ، وعندنا عربي يجيد هذا الفن ، فاكل اليه هذه العملية »

وفي هذه المرة انتابني أنا الذهول من غباء الرجل ، وقلت له : « اياك أن تفعل » ، وأفهمته الحقيقة وأنا بين عاملي العجب من قدرة هذه الطفلة الصغيرة ، وسذاجة والدها ، الذي أخذ يضرب كفا بكف ويقول : « ضحكت علينا البنت ، ضحكت على بلدنا كلها »

كان أهل الطفلة البريئة هم الذين يخلقون هذا المرض بتدليلهم لها ، ويهيئون السبل التي يمكنها أن تسلكها لتستولي على المزيد من عطفهم ، وتستمتع بانتباههم ورعايتهم ، وساعدت الظروف في تهيئة هذا الجو ، اذ كانت الطفلة وحيدة ، وكان أهلها أثرياء

# ضغط الدم

## اعرف عنه هذه الحقائق

بقلم الدكتور رياض جرجس

المفتش الأول بالقسم الطبي للسكك الحديدية

تنشأ اهم امراض القلب من ارتفاع ضغط الدم او انخفاضه ، وقد بلغ عدد الوفيات سنويا فى امريكا من مرض القلب الناشىء عن ارتفاع الضغط حوالى ١٠٠,٠٠٠ حالة ، بينما يموت سنويا حوالى ٧٥,٠٠٠ بأسباب اخرى غير مرض القلب وناشئة عن مرض الضغط

أما السبب الرئيسى لارتفاع الضغط فهو غير معروف ، فانه لاتصحبه علامات اكلينيكية واضحة ، لذلك سمى بارتفاع الضغط الدموى الابتدائى ، وقد ذكر الاستاذ الدكتور برايط منذ حوالى قرن مضى ان أمراض الكلى لها علاقة وتأثير مباشر على القلب ، واثبت « جولدهارت » فى عام ١٩٣٤ انه يمكن ان يرفع ضغط الدم فى الحيوان اذا وضع قابض يعوق سير الدم الطبيعى فى الشرايين الكلوية ..

وقد اتفق جماعة من علماء الطب امثال هوس وبرجمان وتاكينى وهارسون ووليماس على ان الشرايين الصغيرة فى الجسم واقعة تحت تأثير مباشر من مادة سامة تسبب انقباض الاوعية الدموية الصغيرة المنتشرة فى جميع اجزاء الجسم ، او تجعلها اكثر حساسية للجهاز الهضمى الذى يسبب الانقباض ، ولذلك فانه من الجائز جدا ان تقوم شرايين الكليتين اذا انقبضتا بدور مهم جدا فى ارتفاع ضغط الدم ، وطبقا لهذه النظرية فانه لا يمكن التحقق فى بادىء الامر من وجود تغيرات باثولوجية فى الشرايين الصغيرة ، أو وجود تغيرات بالكليتين ، اما تضخم القلب وتحجر الكليتين فينشآن من ارتفاع ضغط الدم المستمر ، وذلك يغلب ان يكون ناشئا من تكلس او تحجر الاوعية الشرايينية الصغيرة ..

وفى بعض الاحيان يرتفع الضغط ويكون ثانويا بسبب الالتهابات الكلوية او الكلية المكيسة او ورم الغدة التى فوق الكلية او انسداد فى المجارى

البولية ، وفى مثل هـــذه الحالات لايسمى الضغط من النوع الخبيث او النوع الفـــرعى ، فان الضغط الناتج عن مرض الكليتين لابد ان يكون مصحوبا بمادة سامة ناتجةعن فشل الكليتين ، وقد نتج ذلك الفشل عن البولينا

وارتفاع الضغط السستونى اذا كان مصحوبا بضغط داتستونى فانها حالة ليست من الاهميـــة بمكان اكلينيـــكيا ، وهى ناشـــئة عن تصلب او تكلس الاوعية الدموية

ويسبب ضغط الدم المرتفع حوالى ٩٥٪ من امراض القلب ، كمـا ان حوالى ثلثى الحالات التى يرتفع فيها الضغط الانبساطى يصحبها تضخم القلب

واغلب من يصابون بمرض الضغط يكونون فى سن متوسطة واما مدى تأثيره على القلب فانه يبدأ بعد حوالى عشر سنوات من ابتداء المرض ، الا اذا كان مصحوبا بمرض صمامات القلب او الشرايين التاجية للقلب ، ففى هذه الحالات يتأثر القلب فى مدة قصيرة ..

ومن بين ٧٠٨ حالات من مرض القلب الناشىء من ارتفــاع الضغط وجد ان ٦٢٪ منها مابين سن الستين والسبعين و ١٧٪ منها فوق السبعين و ١٦٪ منها فى الخمسين و ٤٪ منها فى الاربعين و ١٪ منها فى الثلاثين و ٥٪ اقل من العشرين وقد ذكرت حالة بمعرفة الاستاذ تاوسنج ورسن عام ١٩٣٥ عن مريض بالضغط عمره سنتان !

هذا ولا يوجـد فارق كبير بين الاناث والذكور بالنسبة لامـراض القلب الناشئة عن ارتفاع الضغط ، فقد ذكر الاستاذ جريس ان ٥٥٪ منها تصيب الاناث وان ٤٥٪ منهـا تصيب الذكور ، ولو ان بعض العلماء وجدوا ان الاناث يصابون بمعـدل ٢ : ١ بالنسبة للذكور . وتأثيره فى الوفيات من الذكور بعد عشر سنوات من المرض ضعف ما يكون من النساء

وللوراثة علاقة مهمة بمرض الضغط ومضاعفاته فان كثيرا من افراد العائلة الواحدة قد يصابون بهذا المرض

## التغذية والسمنة

ومرض الضغط ليس كثير الانتشار فى الاقاليم الحارة او المعتدلة ، وهو غير معروف بين الصينيين وان كان ذلك ناشئا عن طرق المعيشة هناك او انواع المأكولات . وهذا المرض كثير الانتشار بين الســود فى الولايات المتحدة كما اننا بالمقارنة نجد ان عدد المصابين بالضغط من السود فى امريكا اكثر من المصابين به بين السود فى افريقيا ، وذلك ناشىء عن انهم فى افريقيا لايعمرون طويلا ، فان اكثرهم يصابون بأمراض فتاكة مثل الحميات وغيرها وهى تودى بحياتهم فى مقتبل العمر ...

والشره فى الاكل وازدياد السمنة كثيرا مايكون مصحوبا بارتفاع الضغط ومضاعفاته القلبية ، وان كانت هذه النظرية ليست ثابتة فى كل حال ، وكان الزعم ان الزيادة فى استهلاك

المواد الآزوتية فى المآكل قد يكون سببا مباشرا فى زيادة الضغط

## الجهد والاضطرابات والاعراض

ويسبب الاجهاد العصبي زيادة الضغط ، اما التمرينات الرياضية والمجهود الجسماني بطريقة معتدلة فانها قد تقى شر ارتفاع الضغط

واضطرابات الغدد الصماء قدتؤثر وتزيد فى ارتفاع الضغط ، ولكنها من النادر ان ترفعه الى درجة كبيرة والامثال على ذلك كثيرة فاضطراب المبايض اوازالتها عند النساء جراحيا واضطراب الغدد الدرقية او النخامية أو الغدة فوق الكلية والامراض المعدية والسميات مثل امتصاص الرصاص فانها غير مجزوم بصحة تأثيرها فى زيادة الضغط

ولاتوجد اعراض مرضية للضغط حتى ابتداء مضاعفاته على الجسم فان كثيرا من الحالات لايتضح انها حالة مرض الضغط الا اثناء الكشف الطبي العادى دون ان يشكو منها المريض فانه فى اغلب الاحوال يشعر الشخص انه فى غاية الصحة لايشكو شيئا ولكنه يبدأ يضطرب عند الكشف على اثر معرفته بارتفاع الضغط او تضخم القلب عنده

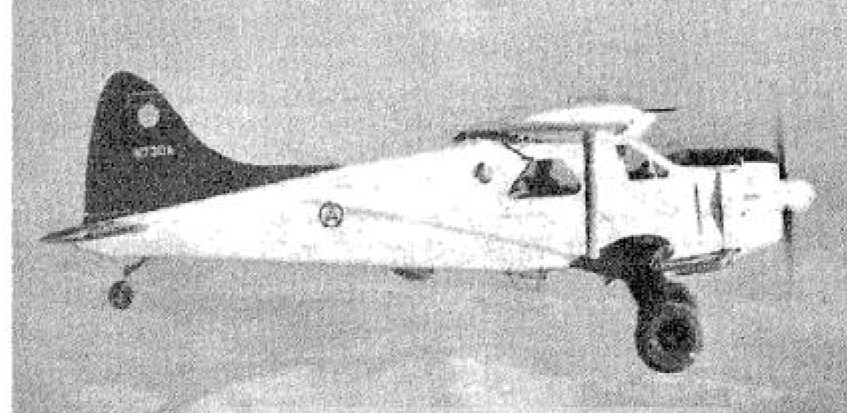
واحيانا توجد حالات اعراض صداع وخفقان وآلام فى محيط القلب وعسر فى التنفس فيفسرها المريض انها مسببة عن ارتفاع الضغط او عن مرض القلب ومريض الضغط عرضة لاعراض عصبية تختلف عنده عن الشخص ذى الضغط الطبيعى

اما عن اعراض الضغط المرتفع الحقيقية فهى ناشئة عن تأثيرها على عضلات القلب وعدم تكافئها وابتداء فشلها بعضلة القلب اليسرى فان عسر التنفس عند اقل مجهود هو اول العلامات الحقيقية لفشل القلب الناشىء عن الضغط ويأخذ فى الزيادة من سىء الى أسوأ ان لم يبادر المريض بالعلاج فى الحال

اما الشكوى من الالم فلا تحدث كثيرا كما هو الحال فى ضيق التنفس وقد تكون فى محيط القلب وسبب ذلك اما ان تكون ناشئة من ضعف الجهاز العصبى بالقلب او ذبحة صدرية ناشئة عن تصلب الشرايين التاجية او زهرى الاورطة

ويحدث الخفقان بسبب الضغط المرتفع ، خاصة مع المرضى ذوى الحساسية المتزايدة واليك بعض العلامات الاخرى التى كثيرا مانشاهدها فى الضغط المرتفع سواء كانت مصحوبة بفشل القلب او عدمه وهى الطنين بالاذن والضعف والرعاف من الانف او النزيف من اى عضو من اعضاء الجسم وعسر او تلعثم فى النطق او الشلل واذا ما تأثرت الكليتان تبدا اعراض البولينا «الدوخة والغيبوبة والقىء »

اما عن العلاج فانى انصح لكل من يشعر بالاعراض المتقدمة ان يبادر بعرض نفسه على طبيبه لكى يبادر الى علاجه



# الذباب الحائر

# هل هو مرض في العين؟

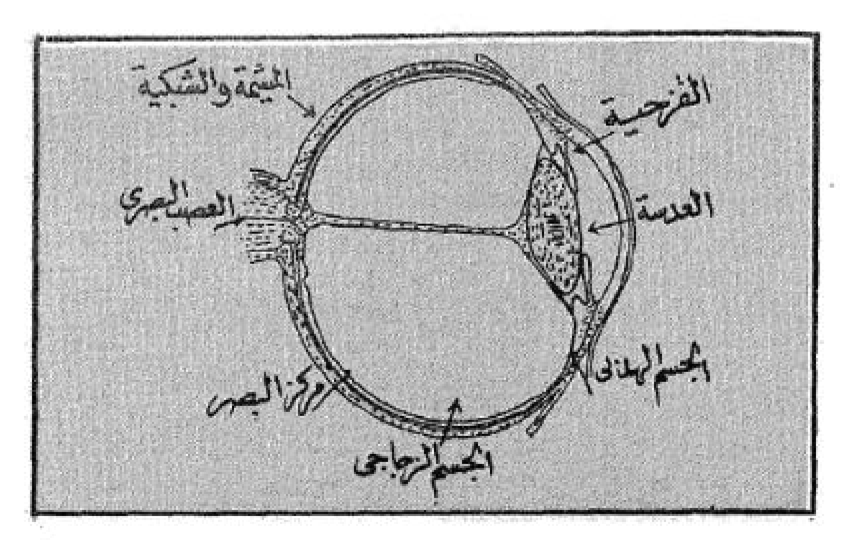
بقلم الدكتور عبد الحميد مرنجى

**ان الخيالات التى يراها البعض ، والتى يطلق عليها الذباب الحائر ، قد تكون علامة عن وجود مرض فاذا رأيت الذباب الحائر ، فاستشر الطبيب**

**كثيرا** ما يرى البعض خيالات تتراقص أمام العين وتتحرك مع حركتها ، وقد يظنها الرائى ذبابة تطير أمام عينيه ، فيسارع الى طردها ، فاذا هى تختفى لحظة ، لتعود ثانية . وقد تتكرر هذه الظاهرة ، ثم يكتشف الشخص أن ما يراه لا وجود له ، وانما هى خيالات . والواقع أن مصدر هذه الخيالات فى داخل العين نفسها ، ولكنها تتجسم أمام النظر وتتشكل بأشكال مختلفة . فقد تظهر على شكل خيوط رفيعة ، أو ذرات صغيرة ، وفى بعض الاحيان تأخذ شكل العنكبوت ، أو تكون أجساما لا شكل لها على وجه التحديد ، ولكنها فى كثير من الاحيان تأخذ شكل الذبابة ، ولذا سميت « بالذبابة الطائرة » أو الحائرة ، لانها تروح وتغدو وترتفع وتنخفض مع حركة العين

فما هى هذه الظاهرة ؟ هل هى مرض يخشى منه على النظر ، أم هى ظاهرة لا أهمية لها ؟

لكي نجيب على هذا السؤال ، يجب أن نذكر شيئا عن تشريح العين . العين عبارة عن كاميرا مغطاة من الداخل بغشاء أسود ، مكون من خلايا بها ذرات سوداء . وتجويف العين مملوء بجسم جيلاتينى له ميوعة خاصة . وبه سائل يتحرك مع حركة العين ، ويسمى « الجسم الزجاجى » . فاذا تساقطت بعض الذرات السوداء الموجودة داخل غشاء العين ، نتيجة طبيعية لعملية التمثيل الموجودة بالخلايا الحية ، فانها تسقط داخل الجسم الزجاجى ، وتتحرك مع حركته داخل العين . ونظرا لملاصقتها لمركز بصر العين ، فانها تتجسم وتكبر ، فيخيل للرائى أنها أشياء تتحرك أمام عينيه . فاذا أدرك حقيقتها وعدم




أهميتها أهملها شيئا فشيئا حتى يتعود عليها ، فلا يعيرها أهمية وقد لا يراها

ولكن الحالات جميعها ليست بهذه البساطة ، فاذا كان هناك التهاب داخل العين : سواء فى « الجسم القزحى » أو « الجسم الهدبى » ، وكلاهما مملوء بالذرات الملونة ، فان هذه الذرات تتساقط داخل « الجسم الزجاجى » ، وتعطى نفس الصورة

واذا كان هناك نزيف داخل « الجسم الزجاجى » أو التهاب فى « الشبكية » أو « المشيمة » ، فان النزيف أو الالتهاب يحدث نفس النتيجة • وكذلك فى حالات قصر النظر الكبير الدرجة يمكن رؤية الذباب الحائر • وجميع هذه الحالات تحتاج الى علاج سريع حتى لا يتفاقم المرض ، لهذا أنصح كل من يرى هذه الخيالات بكثرة أن يبادر الى فحص العين

والفرق بين الذبابة « البريئة » والذبابة « الضارة » ، أن هذه الاخيرة تشاهد بكثرة ، ويكون لها تأثير على قوة الابصار

والذبابة « البريئة » لا تشاهد الا قليلا ، فهى تظهر فى الصباح ، أو اذا كان الرائى يشكو من الامساك أو بعض العوارض البسيطة • وهذه الذبابة لا تؤثر على قوة الابصار مطلقا ، وتختفى بمجرد زوال العارض البسيط أو الاجهاد

فاذا اتضح بعد الكشف الطبى أن العين سليمة ، فخير نصيحة لمن يراها أن يهملها ، ومن ثم يتغلب على مضايقة رؤيتها !

**تلعب المصادفة أحيانا دورها فى تاريخ الطب ، وفى حياة الكثيرين من الاطباء مصادفات ومفارقات طريفة لا تنسى ، بعضها كان له الفضل فى انقاذ مرضى من موت محقق ، والبعض الآخر لعب دوره الخطير فى تجارب طبية ناجحة ... وهذه طائفة من المفارقات الغريبة**

# مصادفات فى خدمة الطب

يقول الدكتور نور الدين طراف وزير الصحة ، ان الطب جد كله لا فكاهة فيه ، وهذا مادعا الاطباء الاوائل الى أن يصطلحوا على تسمية جانب الفكاهة فى الطب « بالجزيرة الطبية »

ثم يتحلل السيد الوزير بعض الشىء من جد الطب ليروى لنا بعض الطرائف التى لعبت فيها المصادفة دورها الكبير

## دودة الفلاريا

حدثنا عن دور المصادفة فى داء الفيل ، قال :

« كان ذلك فى الصين ، وكان « سيرباترك منسون » يفتش على دودة تظهر فى الدم . وظل يفحص عينات الدم فترة طويلة دون ان يكتشفها ، وكان يكلف طلابه بالكشف عنها فى دم المرضى الذين يستقبلونهم . ولكن أحد تلامذته ابدى رغبته فى العمل ليلا حتى يتفرغ فى نهاره الى كسب قوته وقوت أسرته . ولعبت المصادفة هنا دورها الكبير ، ففى دم اول مريض استقبله الطالب فى الليل اكتشفت دودة « الفلاريا » ، التى تسبب داء الفيل ، وعرف سير « باترك » أن هذه الدودة لا تظهر الا ليلا . وكان هذا كشفا طبيا مفيدا خلقته المصادفة ، والمصادفة وحدها » !

## الطرطير والبول الدموى

« وكان جنودنا الذى يسافرون الى السودان وحدود الحبشة ، يصابون دائما بمرض تضخم الكبد والطحال « لكلا آزار » ، وتصادف ان اعطوا كمية من « الطرطير » المقيىء ، فلوحظ اختفاء البول الدموى والبلهارسيا من اجسام كثيرين منهم ، وكانوا قد أصيبوا بها أيضا الى جانب التضخم الذى أشرنا اليه . وهكذا كانت المصادفة وحدها سببا أساسيا فى اكتشاف أثر الطرطير فى علاج البلهارسيا والبول الدموى »

## جائزة نوبل والبنسلين

وروت لى الدكتورة انيسة الحفنى ، حرم الوزير انه كان للمصادفة وحدها دورها الكبير فى

كشف البنسلين كعلاج مفيد سريع

وقد حدث هذا عندما كان الدكتور فلمنج يزرع بعض الميكروبات الضارة بالانسان ، فنما على المزرعة بعض « الشوائب » ، التى سببت توقف نمو الميكروب حولها ، ولاحظ فلمنج هذه الظاهرة ، اكثر من مرة ، وعرف بعدها ان هذه الشوائب ، أو « الفطر » ، فى الاصطلاح الطبى ، توقف نمو الميكروبات الضارة بالانسان ، ولما كان « الفطر » يشبه القلم فى طوله ، وهو ما يسمى بالانجليزية « بنسل » فقد استخلص من هذا الاسم « بنسلين » ، وكان للمصادفة اكبر الفضل فى اختراع البنسلين .. هذا الكشف الطبى الخطير الذى نال به « فلمنج » جائزة نوبل المعروفة

## الاستاذ بلهارس

وعاد بى الدكتور كمال الشواربى ، اخصائى الغدد والامراض الباطنية ، الى فترة بعيدة من تاريخنا فقال :

عندما انتقل الحكم من يد عباس الاول الى سعيد ، وكان عباس قد أحضر علماء المان ليلقوا بعض المحاضرات بدلا من الفرنسيين اعاد سعيد « كلوت » بك الفرنسى الى مدرسة الطب ، فاخرج هذا الاساتذة الالمان ، ومن بينهم « بلهارس » ، الذى لجأ الى قنصل المانيا ، ورجاه أن يسعى لدى سعيد فى بقائه بمصر التى أحبها وأحب العمل بها ، فاستجاب لرجائه ، ولكن كلوت بك اشترط عليه الا يعود استاذا للطب الباطنى كما كان ، بل استاذا للتشريح . وقبل بلهارس .. وبدأ عمله كأستاذ للتشريح ، فوجد ذات يوم دودة طويلة فى ثنايا احدى الجثث . وكانت هذه الدودة هى دودة البلهارسيا التى اكتشفها والتى سميت باسمه منذ ذلك اليوم .ولو أن بلهارس ظل يعمل أستاذا للامراض الباطنية لما وفق الى هذا الكشف الطبى الخطير

## بعل الكلاب

وقال لى الدكتور احمد الحلوانى وكيل ، وزارة الصحة ، انه حدث عندما كان مديرا لمعهد الابحاث ان احضر كمية من الفسيخ لاجراء بعض الابحاث عليها فى اليوم التالى ، لمعرفة مدى ضرره كطعام . وترك الفسيخ فى صفيحته الى صباح اليوم التالى . ولكن احد خدم المعهد كان قد طمع فى هذا الفسيخ ، فلم يغادر عمله فى الليل الا بعد أن فتح حجرة المعمل وسطا على الفسيخ

ولم يحن صباح اليوم التالى حتى كانت اعراض الاسهال الشديد قد ظهرت عليه ، وظهر من الكشف انه اصيب بديدان —

« الهتروفس » وهى الديدان التى كنا نريد اكتشافها بعد اطعام هذه الفسيخة لاحد الكلاب ، وبذلك توفر علينا الجهد !

## يخلع ملابسه

وقالت الدكتورة علية عبد الرزاق الطبيبة بمستشفى كتشنر: « كان مريض بالملاريا يتردد على احد المستشفيات ، فأمر له الطبيب ببعض حبات « الاتيبرين » يوميا ، وعز على صاحبنا أن يطول مرضه فتناول الكمية كلها وهى « ٢١ » قرصا فى يوم واحد ، متعجلا الشفاء ... وكان على موعد مع احد اصدقائه ، الذى اصطحب معه زوجته وخرجوا جميعا الى الطريق ، وما هى الا خطوات حتى توقف المريض فى الطريق ، وبدأ يخلع ملابسه امام صديقه وزوجته ، بل أمام المارة جميعا . وصار عاريا كما ولدته أمه ، وكانت مفاجأة لزوجة صديقه ولم يجد صديقه بدا من ان ينقذ الموقف ، فنادى سائق التاكسى ليقله الى اقرب مستشفى . وهنالك بعد الكشف عليه تبين أنه مصاب بخبل فى عقله نتيجة لتعاطيه كمية الاتيبرين كلها ، وكانت المصادفة سببا فى معرفة ضرر الاتيبرين كعقار سام اذا اخذ بكمية كبيرة »

## الفضل لمصر

وعاد بى الدكتور محمد رضوان قناوى اخصائى الأمراض الباطنية الى سنة ١٩٤٤ ، حينما كان يتردد عليه زميل له يشكو من مغص كلوى ، وكان فى الوقت نفسه مريضا بالذبحة الصدرية ، ويشكو من حصوات بالحالب الايمن ، فأشار عليه باستعمال مغلى بذور الخلة . وتناولها صاحبنا بانتظام حتى نزلت الحصوات . ولكنه قابله بعد ذلك فى الطريق وكان يسرع فى خطاه فنصحه بالتمهل حرصا على قلبه . وكان رده أن قلبه صار « زى الحديد » لمواظبته على مغلى بذور الخلة وطلب الدكتور اليه أن يوقف تعاطيه وأن يزوره بعد اسبوعين واستمع المريض لنصحه ولكن عاد اليه مرض القلب فطلب اليه أن يتعاطاه ثانية ، وكانت النتيجة انه شعر بتحسن ملموس ، وهنا عرف الدكتور انه لابد أن يكون لبذر الخلة علاقة بمرض القلب ، وبدأ يدرس مع هذا الزميل المريض مدى هذه العلاقة ، واثر مغلى بذر الخلة فى توسيع شرايين القلب ، واجريا عدة تجارب على الكلاب ، وعلى بعض الحيوانات الاخرى ، وكان عجيبا ان يتوصلا عن طريق المصادفة الى اكبر كشف حتى الآن

وهو اكتشاف « الخلين » لعلاج الذبحة الصدرية والجلطة القلبية.. ومن هنا ، من مصر ، انتشر هذا الكشف فى جميع أنحاء العالم

### غلطة افادت

وقال الدكتور سعيد برادة استاذ جراحة الاسنان بالقصر العينى انه لا ينسى عندما كان طالبا بالسنة الثانية بمدرسة طب الاسنان ، فقد حدث ان جاء دوره ليعمل بقسم « خلع الحريم » وبدا يستعرض تذاكر المريضات ، وتصادف ان كان بينهن فى هذا اليوم أثنتان كل منهما اسمها « فاطمة » ، ومؤشر أمام كل منهما بخلع ضرس فى فكها الاسفل ، وان كان الضرس المطلوب خلعه للاولى بالطبع غير الضرس المطلوب خلعه للثانية . وامسك باحدى التذاكر ونادى « فاطمة محمد » ولكن المصادفة ساقت اليه فاطمة محمود ظنا منها ان الدكتور يناديها هى بالذات وكانت فاطمة محمود قد أخذت حقنة البنج واصبحت فى حالة لا تسمح لها بمناقشته ، ومن واقع تذكرة زميلتها بدأ الطبيب يمارس مهمته ولم تمض لحظات حتى كان ضرسها السليم فى يده فوضعه الى جانبه وبدا عليها التعب فطلب اليها أن تستريح بعض الشىء حتى ينتهى . وفى هذه اللحظة بالذات ساق اليه القدر زميلتها الثانية فاطمة محمد ولم تكن قد اخذت البنج بعد ، ومن مناقشته لها عرف كل شىء ، وكان لابد ان « يكفى على الخبر ماجور » ، وينقذ الموقف حالا ، وفى الحال طلب الى فاطمة محمود ان تجلس ثانية على كرسى الخلع وامسك بالضرس المخلوع ووضعه فى مكانه وثبته بسلك رفيع ربطه به مع الاضراس التى كانت على جانبيه ، وكان كل همه ان ينقذ الموقف خشية ان يلومه استاذه ، ومع انه كان يعلم تماما الا فائدة من ربط الضرس ، فقد طلب الى فاطمة ان تعود له فى اليوم التالى اعتقادا منه ان الله لابد ان يتداركه برحمته قبل ان تعود هى بعد ٢٤ ساعة

ومضت الاربع والعشرون ساعة، وجاء موعد فاطمة واستقبلها وهو يضع يده على قلبه مشفقا على نفسه وعلى المريضة المسكينة ،واذا به يفاجأ بأن اللحم الذى حول الضرس قد بدأ يأخذ مكانه حوله ، واكد له هذا مالاحظه بعد فك السلك ،من ان الضرس قد بدأ يثبت ثانية فى مكانه ، وتعود اليه طبيعته مع اللحمية التى حوله فى اللثة ، وبدأ يتنفس الصعداء وهو يدعو الله

له وللمريضة المسكينة . وظلت المريضة تتردد عليه أكثر من أسبوع وهو يواصل معها عمليات المس والغسيل ، حتى استقر الضرس فى اللثة تماما ، ودبت فيه الحياة من جديد

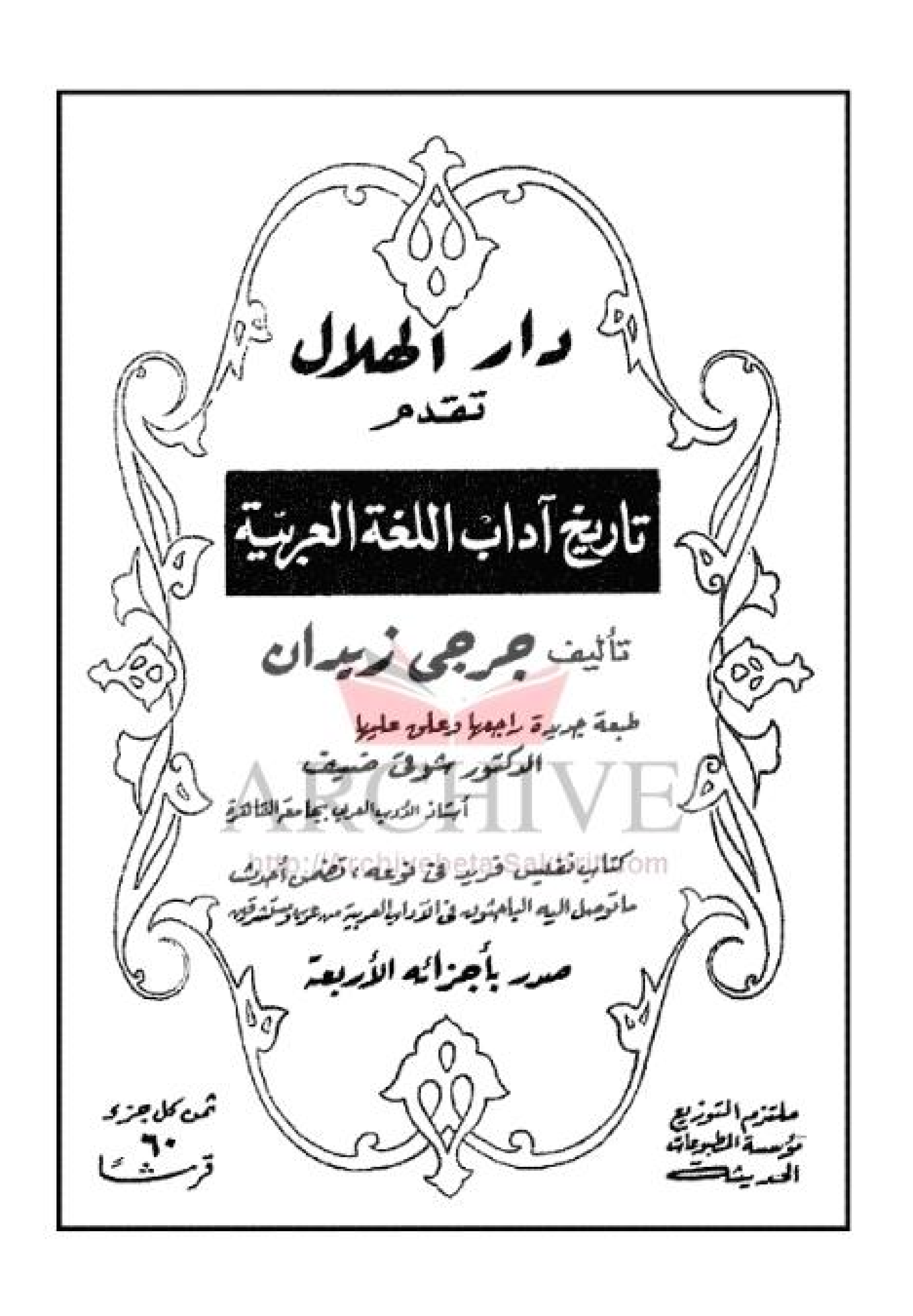
واغرب من هذا واعجب ان هذه الغلطة نفسها شفت السيدة من الالم الذى كانت تعانيه فى الضرس فعلا ، اذ انه بمواصلة المس والغسيل فى فكها كله ذهب الالم من الضرس الآخر وبدات السيدة تحس بزوال الداعى لخلعه . وباعادة الكشف عليها ثانية ، راى انه من الممكن فعلا ، مادامت السيدة قد استراحت ، أن يستبدل الخلع بحشو بسيط فى الضرس يعفيها من الخلع مادام الالم قد ذهب عنها

### غلطة صيدلى

واكد لى الدكتور فوزى ريصا مدير صيدليات وزارة التربية والتعليم أثر الصدفة فى الطب ، وكيف أن غلطة زميل كانت السبب فى اكتشاف علاج لم يكن معروفا من قبل ، فلقد صادف أن تلقى صيدلى روشتة طبيب ليصرف له اليود كدواء لهبوط القلب ، ونسى الصيدلى فقدم له « الديجتالا » بدلا من اليود . وتعاطى المريض « الديجتالا » ولمس تحسنا كبيرا ، ولما عاد المريض الى الطبيب فوجىء بأنه عولج بالديجتالا بدلا من اليود . فعرف فضلها ... وقد أصبحت « الديجتالا » اليوم علاجا أساسيا لمرض هبوط القلب بفضل هذه المصادفة السعيدة

### علاج السكر

وقال الدكتور محمود رافت : « بدات علاج السكر بالانسولين ، ثم لاحظت أنه روتينى وغير مجد فبدات اجرى تجارب جديدة ، ولاحظت مصادفة ان الاحماض الامينية بالذات ، لها اثرها فى مرضى السكر ، والمسنين منهم بصفة خاصة .. وركزت تجاربى على هذه الآثار التى لاحظتها فى مريض وفى ثان وثالث وكلها حالات كانت تتحسن بانتظام . وبدات أدرس ، فتأكد لى أن أسباب السكر متعددة ولا يمكن أبدا ان يكون البنكرياس وحده سببا لهذا المرض ، ولما كان الانسولين لا يصلح الا لحالات عجز البنكرياس عن افراز مادة الانسولين ، فلابد من علاج آخر لحالات السكر الناجمة عن ضعف الغدد الصماء او الصدمات القلبية او الشيخوخة أو تصلب الشرايين مثلا .. وكل هذه مسببات للسكر فى الدم وفى البول . ومن هذه اللحظة بدات أثور على الانسولين الذى أخذناه من الكتب الطبية وجعلناه علاجا وحيدا للسكر .. والفضل للصدفة فيما أقوم به الآن من علاج السكر على أساس هذه النظرية الجديدة »



دار الهلال
تقدم
تاريخ آداب اللغة العربية
تأليف جرجي زيدان
طبعة جديدة راجعها وعلق عليها
الدكتور شوقي ضيف
أستاذ الأدب العربي بجامعة القاهرة
كتاب تفصيلي فريد في نوعه، تضمن أحدث
ما توصل إليه الباحثون في الآداب العربية من عرب ومستشرقين
صدر بأجزائه الأربعة
ملتزم التوزيع
مؤسسة المطبوعات
الحديثة
ثمن كل جزء
٦٠
قرشا




يشترك فى الرد على هذه الاستشارات حضرات الأطباء الآتية أسماؤهم ، مرتبة بحسب الحروف الأبجدية :

الدكتور ابراهيم فهيم
« أنور المفتى
« صلاح الدين عبد الغنى
« عبد الحميد مرتجى
« عز الدين السباعى

الدكتورة عطية السعيد

الدكتور فخر الدين عبد الجواد
« كامل يعقوب
« محمد الظواهرى
« محمد خطاب
« محمد شوقى عبد المنعم
« محمد فريد على رعية
« محمد مختار عبد اللطيف
« مصطفى الديوانى
« محمود حسنين
« نجيب رياض
« يحيى طاهر

## مواد دهنية بالوجه

**انى اعانى من ظهـــور مواد دهنية على وجهى ، ولا تذهب هذه المواد الا بعمـــل العادة السرية ، وانا لست ميالا اليها. فارجو افادتى عن علاج يزيل هذه المواد الدهنية**

**ا . ع . ـ اسوان ـ مصر**

عليك بغسل الوجه بماء ساخن ، وتزال البقع الدهنية ، من الوجـــه بالكؤول كل مساء ، ويمكن استعمال دهان مكون من :

حامض السليليك 2
كؤول 100

كل مساء مع استعمال فيتامين ب ، اقراصا او حقنا . اما عن العلاقة بين هذه الحبوب والعادة السرية فهى وهمية اذ لا علاقة بين الامرين بالمرة

## السرطان

**ما هى اعراض السرطان ؟ وما علاماته ؟ وهل هو معد ؟ وهل توصل الطب لعلاجه ؟ وهل يشفى المريض منه ؟**

**محمد توفيق احمد**
**مصلحة السكك الحديدية ـ القاهرة**

اعراض السرطان كثيرة ومتعددة ، فقـــد يظهر على شكل ورم أو الم فى مكان ما ، أو على شكل نزيف دموى بسيط أو كثير ، الى غير ذلك مما يعرفه الاطباء فى العادة . وعلى كل حال اذا لوحظ أى تغير فى حالة الانسان الطبيعية ، فيجب عليه استشارة الطبيب . وهناك بعض بلاد يعمل فيها كشف دورى على الناس لكشف هذا المرض فى اوائله . والمرض

غير معد ، ويمكن علاجه ، بل والشفاء منه ، خصوصا في أوائله

## زكام ورشح

اشكو من الم الانفلونزا من برد وزكام ورشح شديد ، وذلك حوالي ثلاث مرات في الشهر . فهل من علاج يمنع هذه الحالة ؟

محروس ابراهيم القريب
المحلة الكبرى ـ مصر

استعمل حبوب بليماسين Plimasine حبة بعد الاكل ثلاث مرات مع تقط بريفين Privine للانف ، وتجنب الاسباب المؤدية لذلك كالتعرض لتيارات الهواء او المعيشة غير الصحية

## الكبد والصفراء

انا طالب عمري ١٨ عاما ، يعتريني بعد المذاكرة حالة غريبة ، فاشعر بدوخان شديد وزوغ بصري ، وتضطرب أعضاء جسمي ، وأكاد أقع على الارض من شدة الحالة ، وبعد الراحة أجد جسمي أصفر اللون ، فما هذه الحالة وما علاجها ؟

ا . ب . م
ميت غمر ـ مصر

ان الحالة التي تشكو منها تشير الى وجود كسل في الكبد واحتباس في الصفراء ، وننصح بعدم تناول المواد الدهنية والدسمة مع تعاطي نصف ملعقة صغيرة من الملح الانجليزي في نصف كوب ماء في الصباح

## ورم وحبوب

اصبت منذ ثلاث سنوات بورم وانتفاخ تحت العين اليسرى ، وبقي الورم رغم العلاج وانتشر في نصف وجهي الايسر دون الايمن وتظهر عليه حبوب ودمامل تكبر احيانا ، ويزداد الانتفاخ ظهورا عند القيام من النوم او السير او ارتفاع درجة الحرارة او بعد الاكل . علما باني سليم الجسم والبول واللثة والاسنان . ارجو الافادة عن العلاج

وحيد عماد ( بغير عنوان )

نرجو تعاطي حقن فيتامين ب المركب بمقدار حقنة سنتي واحد في العضل يوما بعد يوم ، وتعاطي اقراص فيتامين ج « Vitamin C » ٢٥٠ مللیجراما ، بمقدار قرص ثلاث مرات يوميا ، مع عمل مكمدات غسول تحت خلات الرصاص لمدة نصف ساعة ، ولعدة مرات يوميا ( ٢ ـ ٣ )مرات فوق منطقة الورم

## انسداد الانف

انا شاب عمري ٢٥ سنة متزوج ، شعرت منذ سنة بانسداد في الانف وعملت عملية ازالة اللحمية من الانف ،ثم فوجئت بانسداده مرة أخرى ، فهل من علاج ؟

جميل محمد أمين
شبرا ـ القاهرة

أغلب الظن أنك تشكو من حساسية الانف والشعب الهوائية ، فما دام سبب الحساسية لم يعرف ، فان لحمية الانف تكون ثانية ، فاعمل العملية في الانف مرة ثانية ،واستعمل حبة من نيو انترجان بعد الاكل ثلاث مرات يوميا ، مع تقط بريفين في الانف الى ان تعرف السبب المباشر لهذه الحساسية ،وعند ذلك ستشفى تماما

## تساقط الشعر

كنت في العاشرة حين أصبت بالقراع وعولجت بالعقاقير والكهرباء وشفيت ونبت الشعر ولكنه كان ابيض في موضعين من الراس ، ولما بلغت ٢٥ ربيعا بدأ الشعر يتساقط ، فهل من علاج يجدد شعري او يوقف تساقطه ؟

بدر الدين العلبي
دمشق ـ سورية

اعتن بصحتك وبغذائك واكثر من الرياضة وادهن رأسك تدليكا كل مساء بدهان مكون من :

| | |
|---|---|
| حمض السليك | ٣ |
| كلورور الزئبق | ار |
| زيت خروع | ١٠ |
| كحول | ١٠٠ |

## حالة نفسية

عمري ٢٨ سنة والوزن ٦٧ ك . ج .
اصبت عام ١٩٤١ بالدوسنتاريا وأهملت علاجها ؟ سنوات ولم أشف منها . اشعر بتعب ومضايقة من الوقوف بالفصل وكثرة التلاميذ وضيق الفصل بهم . هل من علاج ؟

محمد أحمد سالم
المدرس بمدرسة الاسماعيلية الصناعية ـ مصر

ان التحليل الذي أرسلته الينا لا يوجد به شيء ، فدعك من التحليل ، لانك لا تشكو من التحليل ، انك تشكو من تعب التلاميذ وضيق الفصل بهم كما تقول ، والواقع انها شكوى نفسية ، فأنت ضيق الصدر

ومتبرم من عملك ، ولهذا تحس بأعراض التعب من الوقوف لانك لا تريد أن تقف . حاول ان تجد لذة في عملك المدرسي ، واهتم بما حولك من أوجه النشاط وانس التحليل

## ديدان الاكسيروس

**تظهر حبيبات حول نهاية الشرج على شكل نتوء صغير ، وهذا يؤلمني كثيرا وخاصة وقت النوم ، واحيانا أجد في المكان المذكور دودة صغيرة بيضاء اللون طولها يقرب من نصف سنتيمتر وعرضها مليمتر ، وفحصت البراز ثلاث مرات ولم اجد أي نوع من الطفيليات ، فما هذا المرض وما علاجه ؟**

**احمد غالب**

**لواء كركوك ـ العراق**

أنت مصاب بدودة الاكسيروس ، وقد يكون فحص البراز سلبيا لان هذه الديدان تخرج من الشرج وتضع بويضاتها خارجه ، ولعلاج هذه الحالة تؤخذ حبوب ميروكسيل (Meroxyl) بعد استشارة طبيبك الخاص لانه يوجد من هذه الحبوب صنفان ، صنف للبالغين وصنف للاطفال

## حبوب التراءس

**انا شاب عمري ١٩ سنة ، ظهر في صدري حين كان سني ١٥ تقريبا ما يسمى بالتراءس وظلت موجودة الى الآن بل اصبحت كبيرة وظاهرة فما هو العلاج ؟**

**س . ع . ف . ( بغير عنوان )**

يمكن استعمال المس المكون من الآتي كل مساء

| | |
|---|---|
| كلورور الزئبق | ١ ر |
| حمض السلسليك | ٣ |
| كؤول | ٢٠٠ |

# ردود خاصة

**ـ محمد بدر الفويك ـ توكره ـ برقة ـ ليبيا**

هذه الحالة تحدث كثيرا في حالات اضطراب المعدة . وفي الاغلب تكون نتيجة ابتلاع هواء مع الريق ، لكثرة بلع الريق يكون معه في كل مرة ملء الفم هواء ، وهذه تسبب التكريع ، وقد يسبب انحباس الهواء في المعدة آلاما نتيجة امتلائها بالهواء فانصح بالاقتصاد في بلع الريق والامتناع عن (١) مضغ اللبان (٢) شرب السجاير (٣) شرب المشروبات الفوارة (٤) أخذ بيكربونات الصودا مثلا . مع العناية بالاسنان ومكافحة حموضة المعدة بواسطة قلويات لا ينتج عنها غاز كاملاح المغنسيوم مثلا

**ـ س . ع . ح ـ بغداد ـ العراق**

يجب فحصك بواسطة اخصائي الجراحة لنفي وجود أي مرض جراحي . فاذا تم ذلك فلاتخف فهذه حالات طبيعية ويزول الها مع الزمن وبالزواج

**ـ خير الله محمد جبريل ـ طبرق ـ ليبيا**

هذه الحالة التي تصفها حالة عقلية تحتاج لعلاج بالصدمات الكهربائية ، ولذا يجب أن تعرضها على أخصائي للتأكد من ذلك وعلاجها

**ـ موديس س . ( بغير عنوان )**

تنتج هذه الحالة من اضطراب الغدد الصماء ، نرجو عرض حالتك على أخصائي في علاج تلك الغدد

**ـ عبد الغني المكي الميداني ـ سيدي عون ـ الجزائر**

ان دواء السكر الذي تقصده والذي أشارت اليه الجرائد هو عبارة عن أقراص تؤخذ من الفم ويسمى راستنون (Rastinon) ويؤخذ بمعدل قرص بعد كل أكلة ، ولابد في

تفى الوقت من ملاحظة النظام الغــذائى الخاص بالسكر

**ـ سيف النصر خليفة ـ سمنود ـ مصر**

يجب أن تعرض نفسك على جراح لاستئصال هذا الورم

**ـ ا . ى . ـ السودان**

استمر فى علاج الاسنان والمعدة والامعاء فقد تكون احداها هى السبب فى هــذه الرائحة

**ـ ا . س . ع . ـ الطفيلة ـ الاردن**

كثافة الشعر وتوزيعه هذا التوزيع ليس بغريب بالمرة ، بل هو تكوين ، ولا يوجد لذلك علاج ، الا أن يكون له ضرر أكثر من ضرر وجود الشعر ، فلا تكترث بذلك

**ـ عباس ابراهيم محمد ـ المحلةالكبرى ـ مصر**

يحسن أولا أن تعرض نفسك على أخصائى فى الامراض الباطنية ، لاستبعاد أى مرض عضوى باطنى يكون سببا لهذا الهزال ، فاذا كان جسمك سليما من الوجهة الطبية فاعرض نفسك على طبيب أخصائى فى الامراض النفسية

**ـ معذب بالسودان**

ابتعد من كل أنواع العمليات الجنسية بعض الوقت ما أمكن ، وفكر فى الزواج ومارس بعض أنواع الرياضة الخفيفة ، واشغل وقتك بعمل مفيد ، واعتن بصحتك وستزول كل الاعراض التى أفزعتك

**ـ ق . ا . س . المدينة المنورة ـ السعودية**

**ك . ع . ع . الاسكندرية ـ مصر**

هذه اعراض حالة نفسية فيجب أن تعرض نفسك على أخصائى فى الامراض النفسية للبحث عن السبب واعطائك العلاج

**ـ قارىء من العراق**

يمكن بواسطة الجراحة استئصال الغشاء المبطن للجيب الأنفى المريض وسوف تشفى بعد هذه العملية

**ـ م . ك . ـ حلب سورية**

يرجح أنك تشكو من ضعف أو تأخر فى نمو الخصيتين أو الغدد المسيطرة على الجنس فيجب العرض على طبيب باطنى لمعرفة المرض وبالتالى العلاج

**ـ م . ح ، م . ـ السودان**

لا تلق بالك الى مسألة منظرك الى هذا الحد ، وتعاطى القويات والاغذية الغنية ، وننصحك بتعاطى كبسولة فيتامين « ا » ٥٠.٠٠٠ بمقدار كبسولة مرتين فى اليوم ، وكذلك تعاطى شراب ب . ج . فسوس Phos بمقدار نصف ملعقة شوربة ٣ مرات يوميا

**ـ ع . الدالى ـ بورت سودان**

استئصل اللوزتين ، لتشفى من الرائحة الكريهة ، العملية بسيطة فلا تخف لا فائدة من استعمال المطهرات الموضعية

**ـ الفرارجى ى ـ سوهاج ـ مصر**

يظهر أن عندك التهابا بالبروستاتا فاعرض نفسك على أخصائى وستجد العلاج الناجع السريع ان شاء الله

**ـ أحمد ع . ع . ا ـ المنوفية ـ مصر**

ما دمت لا تزال فى السادسة عشرة من عمرك فتأكد أن طولك سيزداد من تلقاء نفسه فى خلال الاعوام القليلة القادمة ، واذا كان طولك الان هو ١٦٩ سم كما تقول فأنت لا تعتبر قصير القامة . ومع ذلك فالمستقبل أمامك

**ـ اباشى عبد الصمد أحمد محمد ـ نكتات العباسية ـ مصر**

اشغل وقتك بالرياضة أو القراءة أو بأى شىء نافع حتى تستطيع أن تقلل من العادة بقدر الامكان ، وفكر جديا فى الزواج فانه خير علاج لمثل حالتك